

مجلة المجمع العلمي

بحوث مؤتمر
الدورة الحادية والخمسين

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
لمعهد السويسرى سابقا (بالزمالك

مجلة بجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء السادس والخمسون

شعبان ١٤٠٥ هـ - مايو ١٩٨٥ م

المشرف على المجلة:

الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير:

إبراهيم التريزي

الفهرس

تصديير :

بقلم : ابراهيم التري

ص ٥

● كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمي

ص ٧

● كلمة الدكتور ابراهيم مذكور

ص ٩

● كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

ص ١٢

● كلمة الأعضاء العرب

للأستاذ محمد بهجة الأري

ص ٢٠

البحوث :

● مقدمة لفهم الكون

للدكتور حسن على ابراهيم

ص ٢٥

● حاشيه على كلمة « حورية »

للدكتور اسحاق موسى الحسيني

ص ٢٢

● تعريف التعليم

للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

ص ٢٧

● تسعر الملحون في الأدب العربي ولماذا

يسمى بهذا الاسم ؟

للأستاذ محمد العاسي

ص ٤٣

● درجات الخطأ والصواب في النحو

والاسلوب

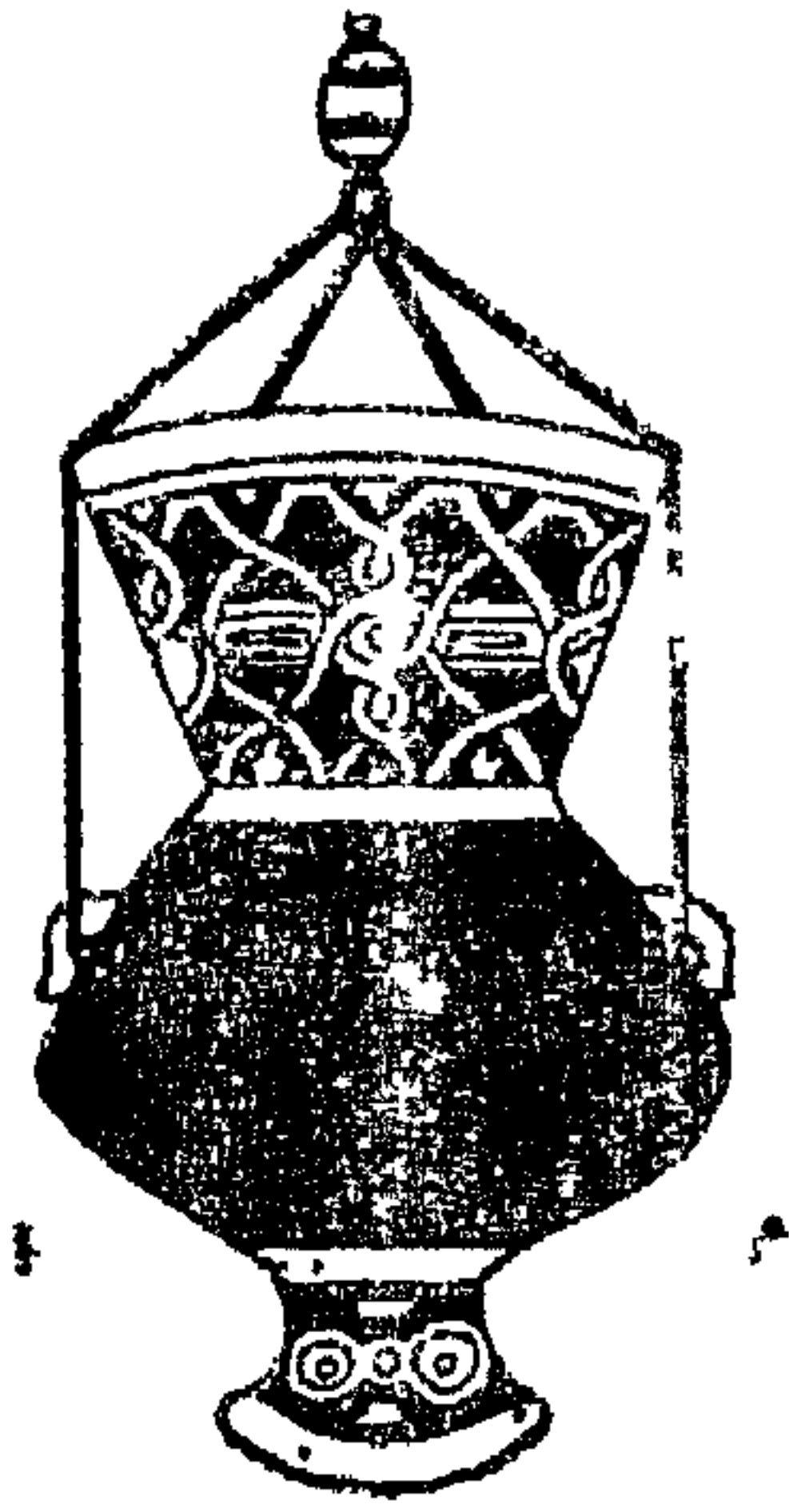
للدكتور بهام حسان

ص ٥٥

● س لغة الأدب ولغة العلم

للدكتور بوفيق الطويل

ص ٨٩



● مر السنين
قصيدة للدكتور حسن على ابراهيم
ص ١٠٩

ص ١٦١

● من كاشة النوادر « ٦ »
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ١١٣

ص ١٧٩

● كلمة « الا » في القرآن الكريم
للأستاذ سعيد الأفغاني
ص ١٣١

● الأثر النفسى والاحتماعى فى عرب
التعليم
للدكتور يوسف عز الدين
ص ١٤٥

ص ١٨٩

● ترتيب الحروف الأبجديه بين المشاركة
والمقاربة
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ١٩٧

ص ١٩٧

● تعريف التعليم العالى والجامعى
فلسطين
للدكتور اسحاق موسى الحسينى
ص ١٩٩

ص ١٥٣

ص ١٥٧

● معوقات تعريف التعليم الجامعى
للدكتور محمود مختار
ص ١٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للمستاذ إبراهيم التريزى

كان التتريك ثم التغريب يخيما على مرافق الدولة وحياتها التعليمية والثقافية . .
في كل أرجاء الوطن العربى .

ومع صحوة الحركات الاستقلالية ، واسترداد قدرتها على مواجهة الاحتلال التركى .
ثم الأوربى ، واقتحامها المعارك صده فى جسارة وقوة وإصرار أخذت الدعوة إلى
تعريب الثقافة والتعالم تطهر على الصعيد العربى ، مع كل انتصار تُحرزه هذه الحركات
الاستقلالية ، فى كل قطر عربى

بدأت حركة تعريب التعليم تتجه إلى المراحل التعليمية التى تسبق مرحلة التعليم
العالى والجامعى ثم أخذت تشملس طريقها إلى هذه المرحلة منذ زمن يهاز حمسين
عاماً ، حتى فطعت أشواطاً محدودة فى مجالات بعصر العاوم ، وبخاصة فى مصر
وسورية والاردن والعراق

وقد أخذت حركة تعريب التعليم العالى والجامعى تنشط ، وتزدهر ، وتمتد إلى
الكثير من العلوم العملية كما أخذت تلح إلحاحاً متواصلاً على المسئولين عن
التعليم العالى والجامعى ، حتى أصبحت حركة التعريب قضية قومية تحتشد لها
الطاقات ، وتتساند الجهود ، لتغمر ساحة التعليم العالى والجامعى

ولا ريب أن خير معين على ذلك ما في لعتنا العربية من قدرة فذة على التعبير عن مختلف العاوم . يشهد لها بذلك تاريخها القديم ، حين كانت لغة العلم السائدة لعدة قرون . في عصر ارداد الدولة الإسلامية الكبرى .

ولمحمدا في القاهرة أعظم إسهام في تعريب التعليم العالي والجامعي ، وحسبه معجزة العلم المتحصصة التي يوالي إصدارها في كل دورة

وفي هذا الحراء من المحلة رحوت ضافية أولت هذا الموضوع حقه من الدراسة والبيان . فمقد كان هو الموضوع الرئيس لمؤتمر هذه الدورة

ابراهيم الرزى

رئيس التحرير

كلمة الدكتور مصطفى كمال حلمي

نائب رئيس مجلس الوزراء
وزير التعليم العالي والبحث العلمي

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية
الأساتذة الأحباء أعضاء المجمع
سيداتى . سادتى

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد
وأبته ليشر فى أن أفتتح مؤتمركم السوى
الذى يلتقى فى رحابه أعضاء المجمع المصريون ،
وغير المصريين من الوطن العربى ، والعالم
الإسلامى والأجيبى . فتحية خالصة لكم ،
وتهنئة طيبة بانعقاد مؤتمركم المجمعى ، الذى
تعمهون فيه على ما أنجزه المجمع ، خلال عام ،
من مصطلحات علمية ، وألفاظ حصارية ،
وقرارات ومواد معجمية . كما تقدمون به
بحوثاً تعالج قصايا علمية وتعليمية ، لغوية
وأدبية وغير ذلك من القصايا التى تسجل الباحثين
والدارسين ، بل تشعل العالم العربى ، وكل
دارس لغتنا فى الشرق والعرب .

أبها السادة الأحباء

لقد أسعدنى أن يكون الموضوع المقترح
لمؤتمركم « قضية تعريب التعليم » ، وهى قضية
طال عليها الأمد ، شغلت الأمة العربية ،
وما زالت تشعلها ، حتى صار علاجها أملاً
قومياً لكل عربى

وإلى بوصى من العامين فى مجال
والتعليم . أشكر لكم هذه الالتمانة العلمية .
لمحت « تعريب التعليم » ، ورصد الجهود
التي تمذل لتحقيقه ، وبيان اسبل التي تصل
بنا إلى غايته المنشودة

ولا يعوتى - فى هذا المقام - أن أشير
بكل الإعزاز والاعتزاز إلى تراء لغتنا العربية
فى الميادين العامة . وإلى ما تمتاز به من قدرة
على التعبير العلمى ، فى مختلف صورته
مصطلحاً وأسلوباً ، وفى مختلف مستوياته
وتحالاته . يشهد بذلك ماضيها العريق .
حين كانت سيدة اللغات فى العالم كله . مما
استوعبته من علوم نقاتها عن اليونانية
والمارسية والهندية ، وبما أبدعه العقل العربى
الخالق من حضارة علمية وأدبية ودية .
ظلت مزدهرة طوال قرون عديدة وما كان
للهمزة الأوربية أن تظهر فى ذلك الحين إلا هنا
العطاء العلمى الواهر لحضارتنا الأصيلة الخالدة
وإذا كان هذا شأن لغتنا فى الماضى وهى
حديرة باستعادته فى الحاضر ، وهؤلاء لأن
تكون فى طبيعة اللغات العالمية ، بالجهود
المتواصلة لأبنائها العلماء .

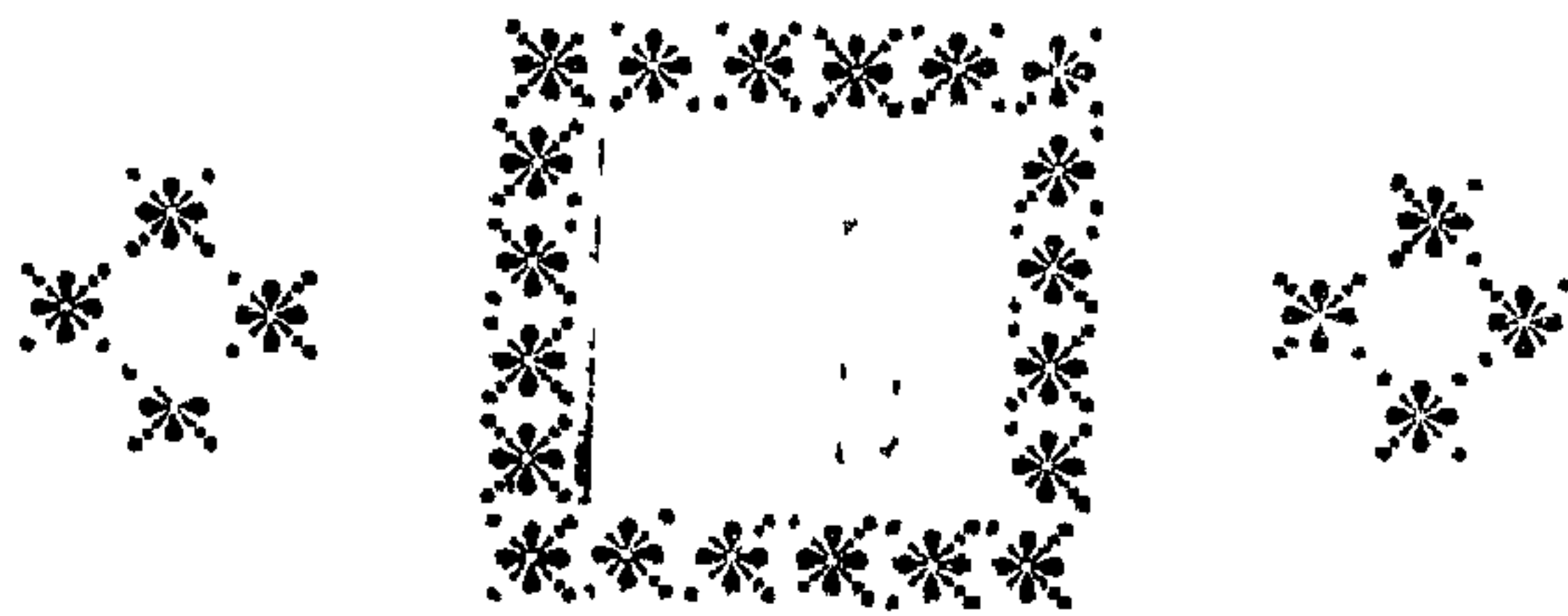
وكم أشعر بالسعادة والمخر حين أرى
مجمعكم قد أخرج—إلى جانب معجماته اللغوية—
عديداً من المعجمات العلمية المتخصصة، وهي:
المعجم الجيولوجي، والمعجم البيولوجي،
ومعجم الميزيقا الحديثة، ومعجم الميزيقا
النووية، والمعجم الجغرافي، والمعجم
الماضي، ومعجم ألماط الحضارة والفنون
هذه المعجمات العامة وما سيتلوها من
معجمات في الطب والهندسة، والرياضة،
والأحياء والزراعة، والكيمياء والصيدلة،
والتربية وعلم النفس، والقانون، والاقتصاد
والتاريخ، وغير ذلك من المعجمات، ستكون
المدعائم الراسخة للتعريب

ولهذا كان مجمعكم—هذه إنشائه—معقد
آمال أمتنا العربية في «تعريب التعليم» على
أسس علمية قومية.

ولعل اختياريكم لهذا الموضوع، لمحت
مؤتمركم، إيذاناً بالبداية في تعميم حركه التعريب
في وطننا العربي... فقد آن الأوان لأن تؤتي
ثمارها المرجوة على أوسع نطاق، وفي كل
مستويات التعليم ومراحله... وإني لأتطلع
إلى تاتي بحوثكم في موضوع «تعريب التعليم»
ولا يمتوتى التثويه بحرصكم على عقد حلقة
علمية لمحجور المتقنين، يلقي فيها أرميل
الدكتور محمود حائط محاضرة صافية في هذا
الموضوع

أسأل الله تعالى أن يحفظكم سدة وحمة
لأختنا الخالدة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،



كلمة الدكتور إبراهيم مكرم رئيس المجمع

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم
العالي والبحث العلمي .

سيداتي سادتي

يسعدني حقاً أن أرحب باسمي واسم زملائي
المصريين بضيوفنا الكرام ، من أعضاء
عامين ومراسلين أرحب بهم جميعاً متمنيا
لهم طيب الإقامة خاصة بتعاونهم
الصديق وعطائهم السخي ، وقد عول مجتمعنا
منذ إرشائه على هذا التعاون ، فكون في
البداية من هيئة واحدة يلتقي فيها المصريون مع
زملائهم من العرب والمستعربين في دورة
سنوية تدوم نحو شهرين وتعد ما يقرب
من خمس وثلاثين جلسة ، وفي هذه
الجلسات تدرس المشاكل اللغوية والأدبية
المتخلفة ويرسم منهج العمل وتوضح تقاليد
البناء المجمع الذي أسهم فيه معنا إخواننا
من العرب والمستعربين. وسار الأمر على هذا
الحو حتى عام أربعين حين توقفت دورة
المجمع بسبب الحرب العالمية الثانية ، وكان
لا بد أن نهى السبيل لاستعادة الشمل. وفعلاً ،
رفع عدد الأعضاء من عشرين إلى اثنين
وثلاثين عضواً ، وتابعنا السير على الطريقة
المألوفة ، وأذكر أنه كان من أعضاء مجمع
اللغة العربية - أثناء الحرب العالمية الثانية -
ضباط في جيوشهم قعدوا إلى جانبنا

وجلسوا معنا في ربهم العسكري ولم تمنعهم
الحرب ، ويلاتهما من أن يسهموا معنا .
وتخفيفاً وتيسيراً على الرملاء ، انتهينا إلى
تكوين هيأتين إحداهما مجلس المجمع ،
الذي ينعقد طوال ثمانية أشهر ، ويعقد
كل أسبوع جلسة على الأقل ، وفي خلال
هذه الأشهر الثمانية ، يلتقي معنا أيضاً ضيوفنا
الأعضاء العرب والمستعربون ، يلتقون في
دورة تدوم شهراً أو نصف شهر على نحو ما
بدأنا ، ثم روى تقديراً لارتباطاتهم وأعمالهم في
بلادهم ، أن يهبط بهذه المدة إلى أسبوعين
كاملين ، على أننا ، إلى جانب هذا ، نحرص
دائماً على أن نبعث إليهم بما تنهى إليه
لحاننا المتخصصة ومحاسنا ، فهم على صلة
دائمة بنا طوال العام .

ومن مبدئنا : ألا يتخذ قرار لعوى ولا
يعتمد إلا إذا أقره المجمع في لقائه السوي .
ومطبوعاتنا : محاتنا ، كتبنا ، تحقيقنا ، معجماتنا
لإخواننا فيها إثراء وعطاء ملحوظ ولا ترد
في أن نبعث إليهم مستفسرين ومستحويين
ومستوضحين ، وبخاصة فيما يتعلق ببعض
المسائل الإقليمية ، وأعتقد أن أسماء
الحريرة العربية - على سبيل المثال - مدينة
لزميل كريم وجايل ، هو الأستاذ حمد
الحاسر ، سعت إليه بها وسجل ما يقترحه

ليظهر في معجمها الكبير - على أنها إلى جانب دراسات، المتخصصة درج مؤتمرا على أن يعالج مشكلة من مشاكل العوية الكبرى . وقد عالج من قبل - مثلا - لغة الصحافة . كما عالج تعليم اللغة العربية ، إلى غير ذلك من موضوعات محرص دائما على أن تجتمع فيها الكلمة بين شيوخ العروبة في العالم العربي جميعه . وهذا أنتم أولاء ترون - وقد استمعتم إلى حديث السيد النائب - أفنا في هذه المرة بعالج مشكلة من مشاكل الكبرى . وهي مشكلة تعريب التعليم في مختلف مراحل . وخاصة . التعليم العالي والجامعي ، وليست في حاجة أن أقول لكم إن النهضة العلمية الإسلامية الأولى . قامت على أساس من التعريب . إنما اعتمدت على حركة ترجمة دامت نحو قرين أو يريد . أحدثت عن مصادر الأحذية الختمة . كما أشار السيد النائب هذه الحركة العلمية التي بدأت في نقرن ثمانى للهجرة ، واستمرت نحو قرين متتالين . وكنت له آثارها على الفكر الإنساني بعامة عندما إليها مرة أخرى في نهضة الحديثة ، . فحين أشأ محمد على مدارس العالية في طب والهندسة كان يقوم فيها ومدرسون بلغات أجنبية . ولكننا التزامنا - من جانب هذا - أن نترحم دروسهم إلى اللغة العربية . وما ترال بين أيدينا مؤلفات عربية من تمار هذه الحركة تعليمية في أوائل القرن الماضي ، وكان من دعائهم . رفاعة الطهطاوى ، ثم جاء

محمد عبده بعد ذلك ، وشدد الدعوة لتقوم هيئة على العناية باللغة وتطويرها لتفي بحاجات العصر ، ولقد اشترك في مجمع أهلى في أحرىات القرن الماضي تم تتابع الأمر بعد هذا بأن أشأنا - في بدء هذا القرن - جامعة أهلية هي الجامعة المصرية القديمة ، وليس بعريب أن يكون التعليم في هذه الجامعة باللغة العربية . سواء أكان على أيدي مصريين أم مستعربين . أدكر على سبيل المثال أن من ثمار هذه الجامعة المصرية القديمة كتابا للمستشرق نليو في تاريخ الملك العربي ، ما يرال يعد حجة للدارسين في تاريخ الملك حتى اليوم ، وكان من آثار هذا أن اتجه سعد رغال نحو الدعوة إلى التعليم في مرحلة التعليم العام باللغة العربية ، وعلى الرغم مما كان للاستعمار الإنجليزى من أثر في هذا ، وسرنا في هذا حتى اليوم . وأستطيع أن أقول إن مرحلة التعليم العام في مصر تقوم أساسا على اللغة العربية ، اللهم إلا أن خالطها تنى من العلمية أما تعليمها الجامعي فدراساتنا الإنسانية كلها من قانون وتاريخ وفلسفه ، فكأنها تدرس باللغة العربية وتؤلف فيها كتب تعد حجة في موضوعها .

على أن الأمر يتطلب أن تتابع السير ، ولا شك في أن الدراسات العلمية من فلك وطبيعة وكيمياء أخذت طريقتها ، وأكثها لا ترال في حاجة إلى تعهد ومتابعة ، وربما كانت دراسة الطب من الدراسات التي يقال إن العربية لم

تهيئتها ، واسمحوا لي أن أقرر أن هذا ظالم
لواقع والتاريخ ، فقد كتب الطب بالعربية
وعملته كتب قديمة ترجمت إلى اللغة اللاتينية
والعربية معا كالقانون لابن سينا والخاوي
لارارى .

فرنسية أو إنجليزية ، أما العربية فإنهم
يدررون الآن الطب المسمى باللغة العربية ،
وأحلاقيات الطب أيضا باللغة العربية ،
وكذلك الطب الإكينيكي - كما يسمى -
يدررس باللغة العربية

وقانون ابن سينا بالذات ترجم إلى
اللاتينية وبقي عمله الدراسات الطبية في أوروبا
طوال أربعة قرون : من القرن الثالث عشر
الميلادي إلى القرن السابع عشر ولست في
حاجته أن أقول أيضا إن كتاب القانون هذا
نشر أول ما نشر باللغة العربية في روما
قبل أن ينشر في العالم العربي نفسه

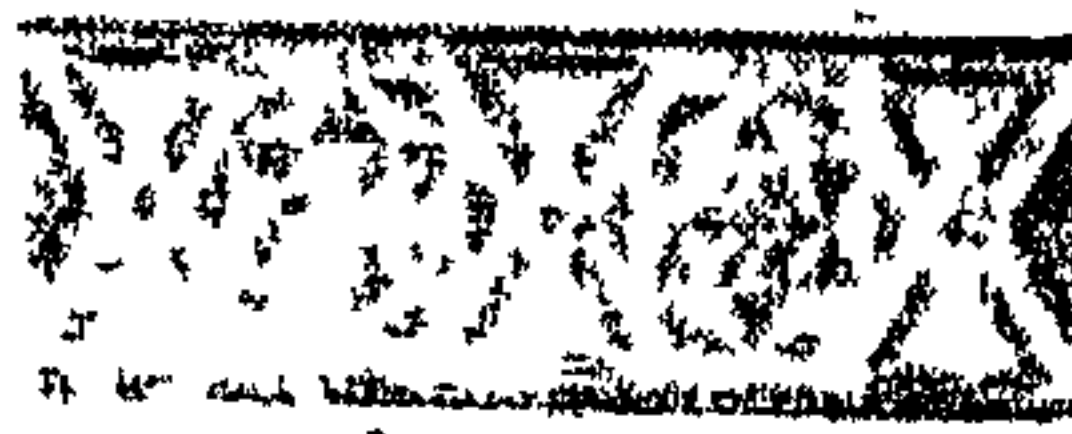
وأنا إما أعبر - في هذا كله - عن لوائح
وتطبيقات وصغت منذ ثلاث سنوات ،
وكان من ثمارها أن رسالة الدكتوراة أو
الماستير إذا ما كتبت باللغة الإنجليزية لا بد
أن يعد لها ما يخص باللغة العربية ولا أشك
في أن الطالب المصري الذي يعد نفسه ليكون
طبيب المستقبل يسعده أن يعرف كيف
يحدث مريضه باغتته وكيف ينقل إليه أفكاره
بلعته أيضا .

كل هذا يثبت أن لغتنا حديره ومهيأه
لأن تؤدي رسالتها في أي مادة من مواد
العلوم الطبيعية أو الرياضية وأحب أن أشير
إلى تجربته بدأتها كإيه طب مصرية في جامعه
عين شمس ، أعتقد أنها تجربته هادئة متدرجة
تعالج الأمور في حكمة وتقبح أود العربية في
تدريس الطب وتعزز تدريس اللغة
الإنجليزية ، بدليل أنها ألزمت طلابها بدرس
إنجليزية طوال ثلاث سنوات في مرحلة
البكالوريوس ، وفتحت الباب للغات أخرى
أجنبية في مرحلة التخصص التي تلي هذه من

تلك تجربة أشرت إليها لأنها تدلنا على
الطريق ونحن ، ولا شك ، سائرون وأداواثق
كل الثقة من أن العربية ستستعيد مكانتها كتابة
وتأليفا وتدرسا ستجد ذلك كله في أيادي
التخصص المختصة

وشكرا لكم جميعا على كريم استماعكم
والسلام عليكم ورحمة الله .

ابراهيم مذكور
رئيس المجمع



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للجمعية

سيد رئيس الوزراء ووزير التعليم
السيد وسمو سعادة

سيد رئيس الجمعية
سادة رملاء الأجلاء من مصر وشقيقاتها
سيوف الأشراف من مصر وسائر الوطن
مصر.

سأله الله عيكم ورحمته وبركاته. وأثابكم
بثباتكم على ما كنتم عليه من
حرر وودع بعنكم العربية التي تجمع شعوبنا
على سائر وحد. وأنتم الواحد مهما
صوتت. صوتت لأرض في شرقها أو
غربها. وشأنها وحواها.

باعت. هي الأمة العالية في أعناقها ،
وهي في يد حبيب. ويعصب الله ويغضب
مروء. ويأثم من يخرط في حقها أو
يهدمها في حيل شائها.

نحن جميع نساء على لغتنا لغة القرآن ،
حرص على كيانها وعلى لغتها وتنمية
نصوصها. وعلى رفع شأنها في هذا الخضم
عرب من ثمة ليس في هذه الأرض .
وب من ضل عن منهجها المحكم . ومسلكتها
مستند على عروسة سليل .

نتمنى يوم وما نجتمع في كل

عام للحج إلى هذا المؤتمر إلا لنجتمع قلوبنا
المتزامنة في نضاتها ، وعقولنا المتناسقة في
خلجاتها . وآمالنا المتساوية في أهدافها
على خير ما يجمع هذا كله وهو الجلوس في
مؤتمرنا لتشاور ، يعاود فيه الحق ، ويبدحر
الماتل والشك إخلاص في الية ، ومسارة
إلى انتباج أقوم السبل ، في خدمة لغتنا
الحالدة ، وأنتم صهوة العلماء ونخبة الرجال ،
الذين يمثلون ثقافة بلادهم أصدق تمثيل ،
كما يمثلون عزة العام وساطان الحق النبيل .

هذه عودة كريمة أخرى نحظى فيها باللقاء
جميعا على مدى أسبوعين لتتدارس ما أجزته
لجان مجمعكم الجامع ، وما أقره مجلس المجمع
في هذا العام بعد انقضاء الدورة السابقة
التي مرت كأنها الأمس . كما أن هناك نحو ثا
تلقى ، ودراسات تقدم فيكون موضع مناقشة
ومدارسة مشمرة إن شاء الله . وما ذلك إلا
رغبة منا جميعا في رفع شأن الفصحى
والبرهان على صدق طواعية كلماتها ومشتقاتها
وأساليبها للتعبير السليم في مجالات العلم
والآداب والفنون .

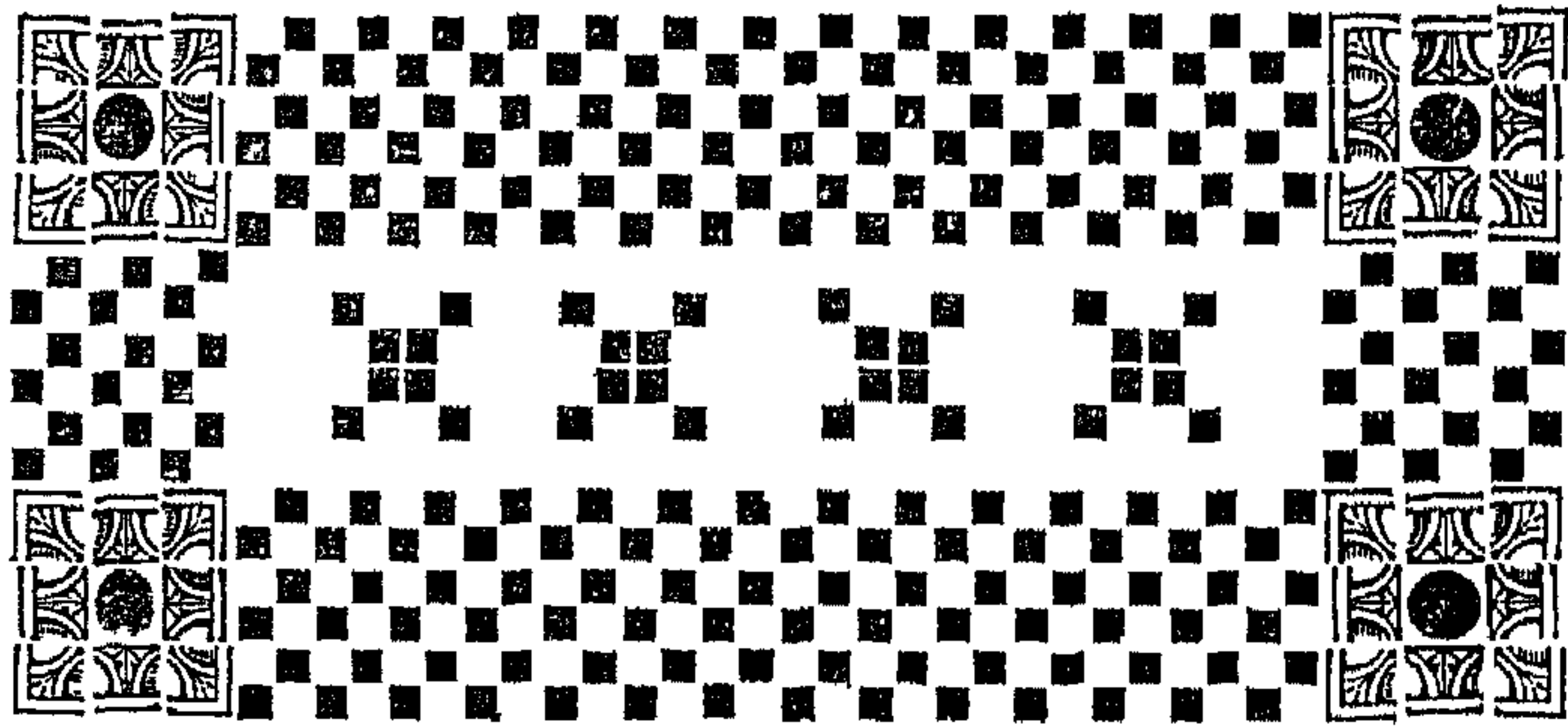
إن قرارات مجمعنا ، وهي وليدة الشورى
والتحقيق الجماعي ، إنما تستمد شرعيتها من
هذا المؤتمر الذي هو بمثابة المحكمة العليا التي

لها السلطان الأعلى ، ولا فضل لها لرأى
على رأى إلا بما ينال من إجماع ، أو ما يحظى
به من رضوان .

إن مجامعنا كلها تقوم على الشورى المكرية
والعلمية ، وعلى إنكار الذات وإنكار الدوات
أيضا . ومن هنا كان لا بد للمخطئين أن يحاولوا
النيل من جهودكم السامية التي تسرى وحدها
إلى مساربها دون ضجيج أو هدير . وهل
القول بأن المجمع ليست له مجاة ناطقة مع أنه
قد صدر من أعدادها رهاء الخمسين مجلدا
ضخما ضخما ، إلا إنكار لا واقع بالعمد ،

أو هو ضرب من القول غير المستول ، وهل
هذه المعاجم التي أصدرها المجمع التي كادت
أن تربي على العشر ، هل هذه المعاجم العتيقة
إلا وليدة جهد حارق غير مصحوب كما قلت
بصحيج أو هدير إنما يعرف المتصل من
الناس ذووه وليس يعوتى أن أعبر — بالبيان

عن محمديكم — عن عظيم شكرنا وتقديرنا
لحضوركم أيها الرملاء العرب الأشقاء .
والرملاء المستعرون الأصدقاء . راحين
لكم طيب الإقامة في بلادكم هذا



المجمع بين مؤتمرات

الدكتور عبد الرارق محي الدين عضو المجمع من العراق، والثانية كانت لتأبين المغفور له الأستاذ أحمد توفيق المدني، عضو المجمع من الجزائر.

أما الجلسات التسع الباقيات فكانت مغلقة عرض فيها على المؤتمر ما أعدته لجان المجمع وأقره مجلسه من مصطلحات في

— الميزيقا

— العلوم الطبية

— الفلسفة

— الكيمياء

— التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

— علم النحس والتريية

— التكاليف

وبعد مناقشة في هذه الجلسات تواصلت على مدى تسعة أيام أقر المؤتمر أكثر ما عرض عليه من هذه المصطلحات العامة والألفاظ الحصارية والمواد المعجمية، كما أقر المؤتمر القصايا التالية من أعمال لجنة الأصول، وهي:

— حذف أن في بعض الأساليب المعاصرة

— إن وأخواتها المونيات إذا اتصل بها

الضمير «نا»

— جمع فعلة على فعل.

كان العام الماضي مناسبة طيبة للاحتفال بالعيد الخمسين للمجمع. وقد وفد إلى هذا العيد من دعى إليه من الأعضاء العرب وجميع الأعضاء المراسلين من العرب وغيرهم والممثلون للمؤسسات العلمية والثقافية، والجامعات المصرية والعربية والإسلامية ومندوبو الإعلام

وقد استمر انعقاد الاحتفال بهذا العيد على مدى أربعة أيام نشر فيها ما كان مطويا من تاريخ المجمع وجلال أعماله وتطوره الوثاب على مدى نصف قرن، وألقى فيه من البحوث الحادة المستفيضة ما سيظهر منشورا في كتاب

كما أصدر المجمع هذه المناسبة التاريخية كتابين.

أحدهما: مع الخالدين بقلم الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس المجمع والثاني: مجمع اللغة العربية في خمسين عاما للرميل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

المؤتمر السابق:

كان المؤتمر السابق—كما هو المعهود—حافلا بالنشاط، راخرا بالمواد التي قامت شاهد صدق على خصب اللغة العربية وحيويتها وثرائها، فانعقدت خلاله إحدى عشرة جلسة، منها اثنتان علميتان. إحداهما كانت لبسط يد الوفاء في تأبين المغفور له الأستاذ

وأقر أيضا ما عرصته عايه لجنة الألفاظ
والأساليب من ألفاظ وتعابير تناولت

— الحديد في دلالة التعبير .

— الشفرة

— عشر كلمات على صيغة فعيل بمعنى

مفعول

— ملحظ ، ملحوظة ، ملاحظه .

كما وافق على الموضوعات التالية من أعمال
لجنة اللهجات :

— ظواهر لغوية من لهجة طيء القديمة

— دراسة في لهجة بني أسد

— الأحبال الصوتية

كذلك حمل المؤتمر ببحوث لغوية وأدبية
وفلسفية ، كما كان للشعر نصيب ملحوظ
في أعماله أيضا بقصيده «الوحود» للزميل
الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم ، وبقصيده
أخرى للزميل الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب
عصو المجمع من السودان التي حيا فيها المجمع
وهما بعيدة الذهبية

وفي الجلسة الختامية أصدر المؤتمر

التوصيات التالية :

— يوصى المؤتمر أن يتحقق التعاون بين

المجامع العربية والجامعات والهيئات العلمية
لتوحيد المصطلحات العلمية حتى نصل إلى
لغة علمية موحدة .

— أن تعنى وسائل الإعلام جميعها بالترام
العربية المصحح نطقا وأداء مع وجوب تعيين
مصححين متخصصين لكل ما يكتب في
الصحف والمجلات أو يداع من أخبار ومواد
مختلفة ، يقومون بتقويم الألفاظ وضبطها
صبطا دقيقا . وأن يعنى في الإذاعة والتلفزيون
خاصة بتسميه المهارات والقدرات اللغوية
بمحاضرات يلقيها على المديعين متخصصون
في اللغة العربية

— يوصى المؤتمر بأن تلتزم مسارح الدوله
باللغة المصحح في تمثيلياتها ، ويطلب إلى
مسارح المطاع الخاص أن ترتقي بلغة تمثيلياتها
إلى مستوى المصحح تدريجيا .

— يوصى المؤتمر بأن يلتزم أساتذة
الجامعات ومدرسو المدارس المختلفة باستعمال
اللغة الفصيحة السهله في إلقاء المحاضرات
والدروس ، وكذلك في المناقشات والمحاورات
— يوصى المؤتمر أن تزود مكاتب مدارس
التعليم العام بتسجيلات المصحح المرتل
لتمكن الطلبة من محاكاة الفصحى والنطق بها
نطقا سليما ، وأن تهتم وزارات التربية بزيادة
رصيد الطلبة من حفظ القرآن الكريم ليزداد
وعيمهم بالألفاظ والأساليب القرآنية .

— لاحظ المؤتمر تدهور مستوى المصوح

التي تقدم إلى الطلبة ولا سيما نصوص الشعر
لذلك يوصى وزارات التربية والتعليم
بضرورة المعد عن المصوح التي تصدر
عن أقلام غير معترف بها .

— يوصى المؤتمر بأن تقلل وسائل الإعلام من الاهتمام بالآداب الشعبية لتريد من ناحية أخرى اهتمامها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلقى الآن ترحيباً من مختلف الطبقات على امتداد العالم العربي.

١١— وجوب مراقبة الخطب العامة على اختلاف أنواعها من جهة ألفاظها ، ومن جهة ضبطها لما لها من آثار خطيرة في توجيه لغة الجماهير ونطقها وأن تبلغ هذه التوصية إلى مختلف الجهات الرسمية ، ولا سيما وزارة الأوقاف التي تخاطب الجماهير أسبوعياً ، لتلقى العناية الواجبة .

أعمال المحاسن واللجان في الدورة الحالية :

عقد مجلس المجمع تسعاً وثلاثين جلسة منها ثلاث جلسات علنية استقبل في إحداها ثلاثة من الزملاء الجدد فازوا بعضوية المجمع هم :

— فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد

الطيب السجار

— الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري

— الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

أما الجلستان الأخريان فكانتا لتأبين اثنين من أعضاء المجمع الراحلين هما :

— المغفور له المهندس أحمد عبده

الشرباوي

— المغفور له الشيخ أحمد هريدي .

كما فجع المجمع بفقد عضو آخر من أعضائه هو المغفور له الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذي كان فقدته خسارة كبيرة لدولة اللغة والأدب والشعر ، وسيقوم المجمع بتأبينه في إحدى جلسات هذا المؤتمر العلنية إن شاء الله .

أما سائر الجلسات فكانت مغلقة نظر المجلس فيها ما أُنجزته لجان المجمع من مصطلحات في :

— الجيولوجيا

— الكيمياء والصيدلة

— الفيزياء

— الرياضة

— هندسة القوى الميكانيكية .

— علوم الأحياء والزراعة .

— العلوم الطبية .

— ألقاظ الحضارة .

وثمة لجان أخرى كان لها نتائج ووير من المصطلحات ، وسيتم عرضها على المحاسن عقب انتهاء المؤتمر إن شاء الله ، وهذه اللجان هي :

— لجنة النفط

— علم البص والتربية

— الاقتصاد

— الفلسفة :

— المعالجة الإلكترونية للمعاملات

— الجزء السادس والأربعون من مجلات
المجمع .

— الجزء السابع والأربعون من مجلات
المجمع .

— الجزء الثامن والأربعون من مجلات
المجمع .

— اتحاد الرابع والعشرون من مجموعة
المصطلحات العلمية والتسمية

— ما يحق الدورة السادسة والأربعين

— الجزء الأول من كتاب عريب الحديث
للهروى تحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعة
عبد السلام هارون

— الجزء الثانى من كتاب عريب الحديث
للهروى بتحقيق الدكتور حسين شرف
ومراجعته المرحوم الأستاذ محمد عبد العزى
حسن .

هذا إلى أنه في قيد الطبع أيضا هذه الكتب
والمجموعات

١ — محاضر جلسات المجلس للدورة ٤٨

٢ — محاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٨

٣ — محاضر جلسات المجلس للدورة ٤٩

٤ — محاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٩

٥ — الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط . ولى
طبعه حديده مسقحة أضيف إليها الكثير من
المواد التي استدركت على الطبعتين السابقتين
وبأسف لعدم وجود الفرصة الآن لتقديمه
كاملا إلى السادة الصيوف في هذا المؤتمر .

مسابقات المجمع :

كان موضوع المسابقة الأدبية للعام الماضى
هو « لغة الصحابة وتطورها من توره سنة
١٩١٩ حتى العصر الحاضر » وقد تقدم إليها
كثيرون فار من بينهم الأستاذ عبد العزيز
أحمد موسى بالجائزة الثانية أما الجائزة الأولى
فقد حازها هذا العام لعدم إرتقاء شئ
من الإناح المقدم الى متواها

كما أعان عن مسابقة في إحياء التراث
لعام ٨٤ - إلى ٨٥ يماول موضوعها إحياء
كتاب في متن اللغة العربية أو أحد عناوينها
أو تحقيق نص من مصونها الأدبية شعرا
أو نثرا

وأعلنت لجنة الأدب بعد موافقة المجلس
عن مسابقتها في هذه الدورة الحالية ،
وهو موضوعها « القاهرة في الأدب العربي
فدائه وحداثته » .

مطبوعات المجمع :

أصدر المجمع في هذه الدورة المطبوعات
التالية :

— المعجم البيولوجى .

— معجم الكيمياء والصيدلة .

— معجم علم النفس والتربية

— معجم الفيزيكا الحديثه (الجزء الأول)

٦ - الطبعة الرابعة من معجم ألفاظ القرآن الذى أعيد تنقيحه وتنسيقه على أيدى لجنة مختارة ، ويجرى العمل الآن على تقديم الجزء الأول منه إلى المطبعة

٧ - الجزء الأول والثانى من كتاب « التكملة والذيل والبصاة لما فاب صاحب القاموس من اللغة » من تأليف السيد مرتضى الربيدى بتحقيق الأساذ مصطفى حجارى مراجعة الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام .

٨ - يشرح شواهد الإيضاح لآلى على الشارضى . من تأليف العلامة ابن بوى بتحقيق الدكتور عيد مصطفى درويس ومراجعته الأستاذ الدكتور مهدي علام

صلات المجمع الثقافية :

يحرص المجمع على تربيت صلاته بالذامع والهيئات والمؤسسات التعاونية فى مختلف الميادين . وفى شتى المناسبات . وفى إطار هذا اشترك المجمع فى الاحتفال الذى أقيم فى مدينته بدابست بالحر . احتمالاً بالذكرى المئويىة ولد المستشرق المحرى الدكتور عبد الكريم حرمانوس وذلك بمبحث للأستاذ الدكتور أحمد السعد سليمان

كما أسهم فى الدعوة التى أقامها الاتحاد الدولى الأكاديميات فأباب عنه فى حضورها الرميل الأستاذ الدكتور محمدي وه

كذلك شارك المجمع فى الندوة التى أقامتها كايه الآداب حواءه الإسكندرية إحياء

لذكرى المغفور له الأستاذ محمد خلف الله أعضاء عضو المجمع

ولم تنقطع صاه المجمع بمكتب تنسيق التعريب بالرباط ، فقد تلقى المجمع من هذا المكتب مشروع « معجم الكيمياء العامة » « كما تلقى مشروعات لثلاثة معاجم فى « التربييه وعلم النفس » و « الميريقا » والماط الحصاره وأحيلت جميعا على اللجان المختصة بالمجمع ارى رأيها فيها

أعضاء جدد للمجمع :

سعد المجمع بضم عدد من العلماء الأكفاء إلى عضويته ، وكان هذا العام عاما حصبا مصم إلى عضويته اتى عشر عضوا عاملا أربعة منهم من المصريين . وحشد من العرب وثلاثة من المستشرقين أما الأعضاء المصريون

١ - الأستاذ الدكتور حسين مؤنس - أستاذ التاريخ السابق بكايه الآداب - جامعة القاهرة

٢ - الأستاذ الدكتور عبد العظيم حمى صابر أستاذ الصيدلة بجامعة القاهرة وهو من أوائل الخراء الذين دخلوا المجمع .

٣ - الأستاذ الدكتور محمود على مكى - أستاذ الأدب الأندلسى بكليته الآداب جامعة القاهرة

٤ - الأستاذ الدكتور كمال بشر - أستاذ
الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم .

ويسعدنا أن نعلن صدور قرار السيد
رئيس الجمهورية باعتماد انتخاب هؤلاء
أعضاء في مجمع اللغة العربية . فاسم
المجمع نقدم إليهم التهنئة بهذا التكريم أما
الأعضاء العرب فهم .

١ - الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار
الجواري من العراق

٢ - الأستاذ الدكتور حسني سبيح من سوريا

٣ - الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب من
سوريا .

٤ - الأستاذ الدكتور عبد الكريم حايمة ،
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني .

٥ - الأستاذ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي .
من الجزائر .

وأما الأعضاء المستشرقون فهم .

١ - رودلف زلهام (من ألمانيا)

عضو المجمع المراسل منذ عام ١٩٧٦

٢ - جاك بيرك (من فرنسا)

أستاذ التاريخ ، والتاريخ الاجتماعي
الإسلامي في الكوليج دي فرانس .

٣ - روبرت سرجانت (من بريطانيا)

أستاذ اللغة العربية بجامعة كيرديج

وقبل أن أحتم كاستي هذه لا يبرئني
أن أبوه باعتدال بعض السادة الزملاء
الذين حالت ظروفهم دون تمكنهم من
الاشتراك في هذا المؤتمر :

وهم السادة .

١ - الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي
رئيس المجمع العالمي العراقي

٢ - الأستاذ الدكتور ناصر الأسد عضو
المجمع من الأردن

٣ - الأستاذ السادلي القايي عضو المجمع من
تونس .

٤ - الأستاذ عبد الله بن خمس عضو
المجمع المراسل من السعودية

وعسى أن يطهر بمشاركتهم لنا فيما
يستقبل بإذن الله
أيها السادة

إليكم جميعاً تحياناً وشكرنا وتقديرنا
لتشريعنا بحضوركم وآتم أيها الإخوة الكرام ،
والزملاء الأعزاء من أعضاء المؤتمر ،
دوى المسهمة العربية الواحدة والحقيقة الإسلامية
الواحدة ، والمطرة العالمية الواحدة ، إليكم
أيها الأشقاء الأصفياء من مجتمعكم حية
الود أصدق ما يكون الود ، وأمسية الأخوة
آن يحفظكم الله سبحانه ، وأن يرعى مساركم
ومواطنكم أيما يكونون منها ، وتشكرا
لاستجابتكم لدعوة الأم الواحدة والوطن
الواحد .

والسلام عليكم ورحمة الله

عبد السلام هارون
الأمين العام

كلمة الأعضا والعرب للأستاذ محمد باجة الأثري

حصرة السيد الحليل نائب رئيس الوزراء
ووزير التعليم العالي والبحث العلمي
حصرة السيد حليل رئيس مجمع اللغة
عربية

السادة الزملاء لأجلاد وشهيد الاحتمال
تؤتمر مجمع اللغة العربية من سادة وسيدات
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
في مثل هذه اليوم من العام هجري
في عصر وفي هذه الساعة . قاعة جامعة
لدول عربية . احتفل مجمع اللغة العربية
بعيده الذي . انقضاء خمس عاما على زوال
شده في كما . حرب . وأطالنا على أعواد
تلك من تفرقات جهاده انكمز في سبيل
مخ . العربية . دأبنا يعروده واء . وعمره
لا يسوره حرره . واصلا عاما وصحى
عمره . ويده أدر بيوم مقبل وهو يحود
عضده . التي ندر متلاحقة متتابعة وعريده
دوقه ومحل عربية هو محل العرب ما بين
عرق تسمع الدائح لاريج الصمراء عن
سردته وكرايته وعرفته . ومن العرب
حار حيف اهادر الخافل — كما مثاله من
تصمعه . العربية — اتحاد العروبة والإسلام .
ولن نغمت تلك الأعوام الخمسون دواهب
ويأت في حساب ثقل الشمس على وجه

الديسطة . طاموعا ومعيبا ، لها في واقع
الحال اوراق حوالدي الأفعال . شوارق
على الزمن . لانطفأ لها أنوار . كما تطفأ
الشموع حين يحتمل المترفون بتوديع عام
من العمر قدم . وستقال عام حديد أقي .
واكبها تطل أبدا رواهر في سماء الخياه
الاساسه تملا التآوب والعقول صياء ونورا

وهذا المجمع الحشد الذي أدت في
كتاب العرب هذه . لواقمة النهضة العلمية
والفكرية التي استأنفها العرب واصليها
همتهم الأولى الخالده الذكر ما أخاهه .
وله الهمة من موقعه الرسمي على توحيه
لسانها في علما دراهبه ما أحلته بأن يوب
أواصره . هذه الحصاره . وهذه الهضه
ومصادر تسميتها من المجمع العربية ببغداد
ودمشق وعمان والرباط وبجميع مراكز
العالم وقواعده في الوطن العربي كله ، فيجعل
الشأن كاه شركه دائمة مستمرة بانه وبينها
يأخذ منها ويعطيها . ويجتهد في أن يوصل
إنتاجه إلى كل ناحية وراونه ما استطاع
إلى ذلك سبيلا

وما أمدته الدولة . وما أحرأها بأن تفعل .
بكل عون وأن يرتصد وترتصد معه كل هذه
القواعد العامية — في الوطن العربي الكبر
هذه الحياه الحيده التي يفرصها العصر فيملها
من تروه هذه المصحن الحيه الغنية بالراد الطيب
الذي يحتاج إليه . وهي في صعودها لا تستعني

عن مواكبه لها في حال من الأحوال
أن يصرف طاقاته العلمية واللعوية والهمية
في جميع نواحي هذه الحياة على طراى واحد
لازا نفسه معا في قرن إلى الآفاق العاليا
التي تتسامى إليها ، غير وان في عزمه .
ولا منحصر من عباده

ولست أشك في أنه من يوم انشاى
فجره الصادق قبل واحد وحمسين عاما
إلى ساعته هذه . قد وفق في معظم ما قدم
من راد الالة . أصولها وفروعها ، توفيقا
ملحوظا مشرق الوجه وواضح القسما
وقد أعطى وأحرل العطاء ، وفطع أشواطا
بعيده مما أريد منه من راد للقصصى . لسان
الأمة والملة . ورادها كثير وغرير وهي
تستحب له وتعطيه عطاء من لا يحشى العاقه
سبحه سحبه ، لا تحصن على طالب ردها
بشيء مهما كبر . وهو ما برح يستمد منها
الخير ، وسوف تظل سيرتاها على هذا النحو
من التعامل الكريم إلى ما يشاء الله

أعطته هذه العربية - لسان الأمة والملة
وموحدة الشمل وجامعته - الفيض الثمن الألفاظ
المأنوسة و لأساليب السهلة الرشيقة . وطوعت
له أن يصنع من مادتها العنية آلاف بعد آلاف
من المصطلحات للمسميات الجديدة في مجالات
العلم والفكر والفنون والصناعات كافة في
مطالب الحياة الاجتماعية ومطالب الحياة
السياسية والإدارية في التحاره والاقتصاد . في
الرياضيات والطبيعات والإعمار والفلك ،

في علم الفضاء وعلم طبقات الأرض .
في الزراعة والنبات والحيوان والجماد .
في المعد والمعادن . وما يزال العمل متواصلا
والجهد دائما وسيصل الشئ كبد على هذا
المسوان . والعربية في كل هذا تثبت اليوم
كما أثبتت في ماضيها حصرى العريق
أبها الالة الحية أو لود حقا وصدق . نحتقت
من الجهاد ويسرت ، حية مؤهلا ، بنبه فض
بأنقل الأعداء وللأصلا . أصغر تكليف .
لاتعود حمل ولا تتكبر عليه . على كبر
الخدائين وحمد طور حية وترى
مطالبها . وقد كدت قديم وحديث . البرهين
المعملية . دعاوى التعويية الشئ . عتسها
وقصورها عن نقل علوم العصر وثقافته .
فدفت في وحوه الأمكن عمها ففقت
ما أفكوا وستلقف ما يأفكون . وما أشبه
اليله بالارحة

وما على الجميع اسوقر ومراكز العلم
في الوطن العربي الكبير إلا الالتقاء الدائم
على هذا النهج اللاحب الواصح وما تنصيه
النهضة من تطبيق جاد . ومن إبداع
متحدد متصل الحلقات لتنتهى إلى حيث
تستشرف من السمو ومن الارتقاء
في مراقى الحضارة الإنسانية العالمة .
ومن معدنها الكريم نبتت وأثمرت في أول
الدهر في مثال من الحلال والجمال ما أكرمه
وما أنمله وما أحلاه

حصرات السادة : نحن - أعضاء هذا
الجمع الميمون المبارك القادمين إلى كنانة
العرب ، مشاركين توفيق من الله في هذا
الشان العظيم - لسان ضيوفا على مصر .
وكيف يكون المرء صيغاً في داره . وإن

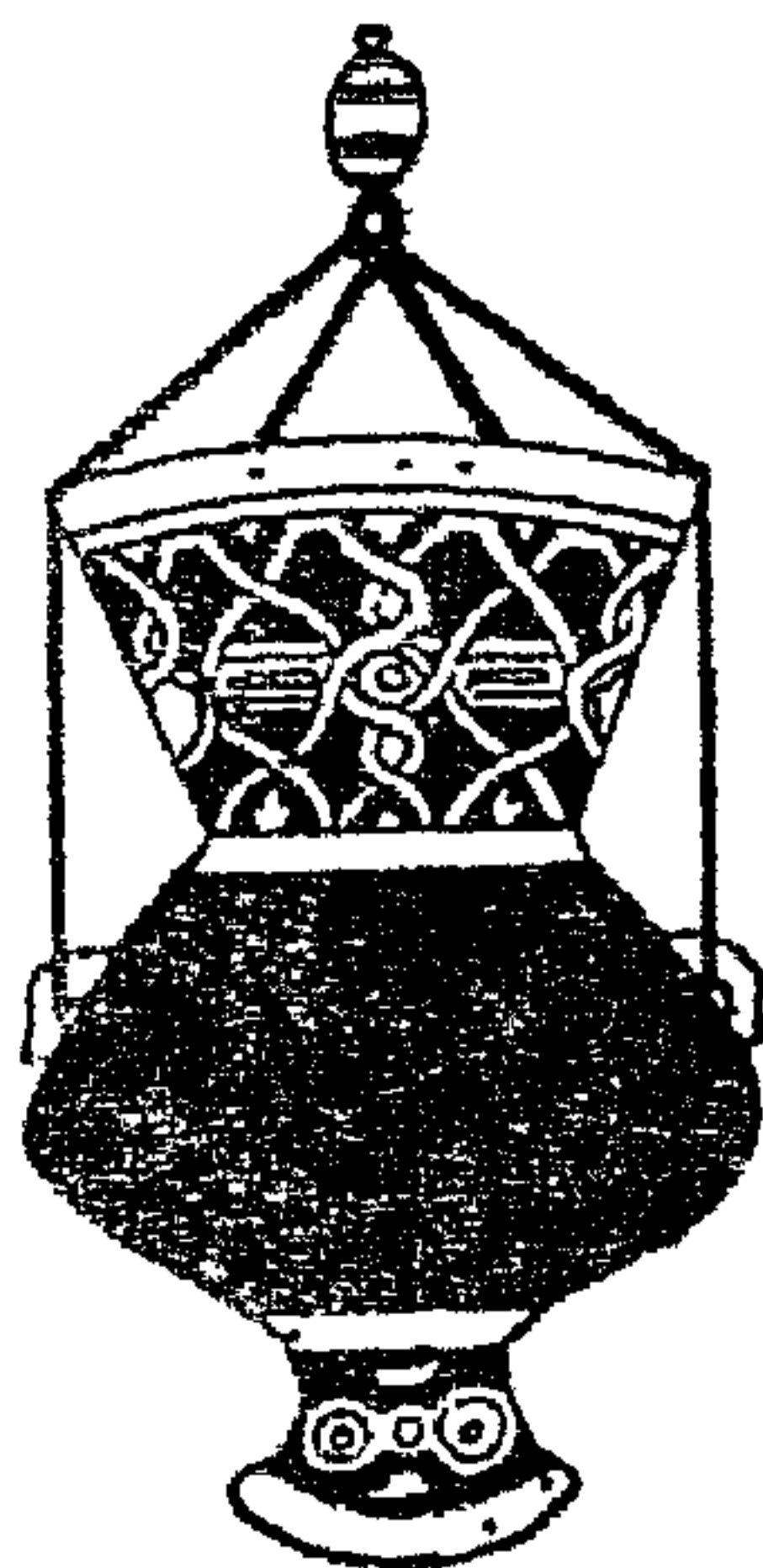
نعمة السعادة تظلال الإنسان في مأواه وحيث
يحل من ديار قومه ، بل من قلوب إخوانه
في هذا الوطن العربي الحبيب العزيز .

دامت هذه اللقاءات ودامت الأمة العربية
حرة عريضة .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد حتى الآن حيث شكر على ما تلقاه
من ترحيب وحدوة صادقة المؤثرة بالحب
وسير . فلأن المرء لا يشكر نفسه ولكنه
يحمد الله . حل وعلا - وهو سبحانه
- سودي جميع الأخوان . يحمده على النعمة
في يومه . وأي نعمة أحلى وأعلى من

محمد بهجة الأتري
عضو المجمع من العراق





مقدمة لفهم الكون

للدكتور حسن علي إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم
قال سبحانه وتعالى

« إن في خلق السماوات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين
يلذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتذكرون في خلق السماوات والأرض
ربما ما خلقنا هذا باطلا سبحانه » .
[صدق الله العظيم]

إذا ترى إذا بطرت إلى السماء في أيات
صاويه لا قمر فيها ، إياك ترى عدداً كبيراً
من المجوم وكل نجم تراه - شمس مثل شمسنا -
(قد تكون أكبر أو أصغر منها) -
فكم نجما ترى ، ستقول أنها لا تحصى
لأنك تشع في أعماق نفسك بأنك تنظر
إلى شيء عظيم جداً لا نهاية له وهو إحساس
صادق ولكنه أول كثيراً من الواقع وقد
لا تصدق إن كل ما يمكن أن تراه العين
السوية هو ألف وحشائه نجم وإذا تذكرنا
أن سماء الشتاء تختلف تماماً عن سماء الصيف
لأن الأرض تسكون في الناحية المقابلة
من الشمس فإليك ترى ألف وحشائه نجما آخر

ثلاثة آلاف نجم هو كل ما تراه العين السليمة
أما ما يبدو كسحابة تحرم السماء صيفاً
وشتاء فهو درب التبانة ولكنك تراه كسحابة
أو سديم متصل الضوء ولو أن السحابة
تتكون من عدد لا يحصى من المجوم
وهي باقة من المطر في اتجاه المعد الأكبر
للمجرة التي نعيش فيها .

تري ما مكان الأرض والشمس في هذا
الكون ، الأرض كوكب سيار على بعد ثلاثة
وتسعين مليون ميلاً من الشمس وهي تدور
حول الشمس مرة كل سنة وبعد الأرض
عن الشمس يعرف بالوحدة المملكية وهذه
الوحدة تستعمل في قياس المسافات المملكية
القريبة والأرض كره صخرية معدنية قطرها
يزيد قليلاً عن ١٢٧٠٠ كياو متر وفيها بعض
المرطحة الناتجة عن دورانها حول نفسها
مرة كل ٢٤ ساعة فقط الأرض بين القطب
الشمالي والجنوبي يقل عن القطر بين قطبين
مقابلين على خط الاستواء بما يقرب من

هشرون ميلاً ولكن هذا لا يمكن أن تدركه عين ويحتاج إلى قياسات دقيقة ثم أظهرت قياسات دقيقة أني أحريت بعد ذلك أن الأرض ليست كرة تامة التكوين من ناحية أخرى أيضاً فشكاتها مثل الكثرى والجزء الواقع تحت خط الاستواء أقل محيطاً بعكس الجزء الواقع إلى جنوبه ولكن لمدع لرحال يملك قياسهم وتقدير التي توصلوا إليها لا تكاد تذكر فالنسبة لنا وإذا نظرنا للأصغر التي أخذت لكرة الأرضية من أعماق الفضاء نجد أنها كرة كاملة التكوين فتكون قشرتها الخارجية - هذا إذا وضعت البحار والمحيطات والصحارى والجمال والصحور جانبا وتعمقنا - فإن قشرتها الصلبة تتكون من طبقة من الحرايت وبداخلها طبقه من البارلت ثم طبقة سميكة من الأوليمين وورن الكرة الأرضية يقارب ستة مايون مليون مليون طن وهذه أيضا أمكن التوصل إليه بالتحارب العملية الدقيقة وذلك بقياس قوة التجاذب بين كرتين من معدن ثقيل البعد بين مركريهما مقاس بدقة شديدة ثم مقارنة هذه الكرة وهي بالطبع صلبة جدا ولا تقاس إلا بميزان بالغ الدقة مقارنتها بجاذبية الأرض لكرة منهما على سطحها وبما أن المسافة بين مركزي الكرتين معروفة وكتلتهما معروفة وبتطبيق المعادلة المشهورة أن الجاذبية تزيد طرديا بمقدار ما تجمع في الجسمين المتجاذبين من كتلة وتقل طرديا حسب مربع المسافة

بينهما وبما أن البعد عن مركز الأرض معروف فيكون معرفة وزنها أمرا سهلا. وقد لوحظ أن كثافة الأرض الخارجية لا يفسر كل هذا الوزن الأرض إذا لا بد أن يكون قلبها كبيرا وتقيلا وحتى الآن لا يعرف شيئا بالتحديد عن طبيعته الجزء المركزي من الأرض ولكنه غالبا يتكون من حليط من الحديد المائع وذلك لشدة الحرارة في الداخل وربما مع بعض الميكل ولعل الحديد هو السبب في مغناطيسية الأرض ووحد القطب الشمالى والقطب الجنوبى المغناطيسيين كما تشير البوصلة المغناطيسية.

كان القدماء يظنون أن الأرض ثابتة وأنها مركز الكون وأن الشمس والكواكب السيارة والنجوم تشرق وتغرب وتدور حول الأرض إلى أن أتى الفيلسوف الاغريقى المابغة اريستار قوس الساموسى فلدجأ إلى الطريق العلمى العلمى للقياس بما أتيح من أدوات بسيطة فاستطاع أن يدرك أن الشمس أبعد عشرات المرات عن القمر ولكنها ليست فى اللانهاية وإذن فهي أكبر من القمر بكثير واستطاع أن يدرك أن الأرض كروية مثل الشمس والقمر تماما كما عرف أن القمر يدور حول الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس وكان ذلك قبل ميلاد المسيح بعدة قرون ثم جاء أرسطو المعلم الأكبر فبنى كل ذلك وأعاد الأرض لتكون مركزا للكون ثم ابتدع نظام السماوات الكروية

الشفافة التي تحمل كل منها كوكبا سيارا في سماء وكذلك الشمس والقمر وأن حركته كل سماء محالها للأخرى فالشمس والقمر في سماء والكواكب السيارة كل منها في سماء أما النجوم الثوابت فكأنها في سماء واحدة وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى العصور الوسطى وبذلك آخر أرسطو العالم دون أن يدري ما يريد عن خمسة عشر قرنا من الزمان ولم يتقدم العلم ثانيا إلا بعد أن عاد الإنسان إلى العلم في تفسير طواهر الكون كانت تعاليم الكنيسة حتى القرون الوسطى هي أن الأرض مسطحة وأن بيت المقدس مركز الأرض وكل من خرج على هذا التفكير كان يعد مارقا .

ويرجع الفضل الأول لحل نظام المجموعة الشمسية إلى كوبرنيكوس ثم إلى غاليليو بعد ذلك وبالرغم من أن المنظار الملكي كان لم يخترع بعد فقد تمكن كوبرنيكوس من أن يضع نظاما صحيحا للمجموعة الشمسية وجعل الشمس هي المركز الذي تدور حوله الكواكب السيارة كما جعل الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة وفسر جميع تحركات الكواكب السيارة تفسيراً صحيحاً ولم يبق إلا أن يأتي من يثبت هذا بطريقة علمية وكان هذا الشخص هو النابغة العالم الفلكي جاليليو الإيطالي كان المنظار قد اخترع في هولندا فتلقف جاليليو ذلك الاختراع وحسنه حتى ركب منظارا يكبر ستا وثلاثين مرة وفي أيامنا هذه يعتبر هذا المنظار لعبة أطفال إذا قيس

بالمناظير الحديثة في المراصد حتى أن المنظار الذي في مسرى وأراقب به النجوم يكبر ١٠٠ مرة أي نحو ثلاث مرات أكثر من منظار جاليليو ولكن بالرغم من ذلك استطاع جاليليو أن يستعمل عبقريته في إرساء قواعد علم الفلك الحديث وكان ذلك بعد عام ألف وستمائة ميلادية بتقليد (على ما أذكر) كان ذلك في عام ألف وستمائة وثلاثة عشر) فما الذي فعله جاليليو ؟ لقد أثبت كروية الأرض بشكل علمي فقد وحه منظاره إلى البحر إلى الأفق البعيد وتأمل الشمس وهي تظهر وتختفي عند الأفق ورأى أن السفن المادمة تظهر أعالي أشرعتها أولا وكلما زادت اقترابا بدأ جسم السفينة في الظهور ويحدث العكس في السفن الراحلة إذ يختفي جسمها أولا تحت الماء ثم الشراع أخيرا إحد فسطح البحر مقوس فهو إذن حرم من سطح كرة ولو كان سطحه لاحتفت السفن من المعد دون أن تعوض في الأفق وقال للناس تعالوا وراقبوا وانظروا فראوا ولكن لم يصدقوه أحد ففكر في كروية الأرض ما كان ليتصورها أحد وذكر أليس القمر عالما آخر مثل عالمنا؟ والقمر كروي فنظر إليه فوجد فيه الجبال وسلاسل الجبال والأنحاديث أما السهول المداكنة على سطحه فقد ظنها خطأ بحارا وسماها وما زالت تعرف بسحور القمر حتى الآن وقد سمي أحداها بحر العواصف لأنه ظن أن كثبان الرمال التي فيه والتي تشبه الأمواج ظنها أمواجا فعلا وقال للناس تعالوا وانظروا إن هذه الكرة التي أمامكم عالم مثل عالمنا فهل اقتنع بكلامه أحد ؟

ثم نرى الأرض تدور حول الشمس فبهذا
يفسر اختلاف سماء الليل من وصل إلى آخر
كما يبين سبب انتقال الشمس بين الأبراج
المختلفة . حس فهل يمكن بالمشاهدة رؤية
كوكب آخر يدور حول الشمس فاتجه
إلى الزهرة ورأى أن لها وجوها مثل
القمر تماما وأحيانا ترى هلالا وأحيانا
أخرى نصف بدر وهكذا وأحيانا تمر
بيننا وبين الشمس وتبدو قرصا صغيرا
أسود أمام قرص الشمس المضيء كما عرف
أن الكواكب الأخرى مثل المريخ والمشتري
ورحل تدور في مدارات خارج مدار
الأرض كما أن بطء حركتها حول الشمس
بالنسبة لسرعة الأرض يفسر تماما ما تنديه
هذه الكواكب من تراحم في مداراتها أحيانا
وكان أمامه البرهان العملي على أن كل كلام
كوبير نيكوس صحيح كما أن اختلاف
الليل والنهار ينتج من دوران الأرض حول
نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فهل هناك كوكب
آخر يمكن رؤية دورانه ؟ بمطارد الصغير لم يكن
أمامه إلا الشمس والمشتري فراقب الشمس
أو البقع السوداء على سطح الشمس وعرف
أن الشمس أيضا تدور حول نفسها كذلك
أثبت أن المشتري يدور حول نفسه ومن حسن
حظه أنه يدور حول نفسه بسرعة تسمح
بمراقبته ومن حظ أيضا أن على سطحه بقعة
كبيرة حمراء يظن أنها من الهيدروجين
السائل أو المتجمد ورأى أن هذه البقعة تدور
وتختفي وتعود لظهور مرة أخرى من الجانب
الآخر وفي الواقع تدور الأرض عند

خط الاستواء بسرعة تجاوز ألف ميل في الساعة
وذلك مصداق للأية الكريمة « وترى الجبال
تحسبها حامدة وهي تمرمر السحاب » .
(صدق الله العظيم)

كذلك عرف جاليليو أن لكل كوكب
مدارا محدد في حاله الممر فمداره حول
الأرض أما باقي الكواكب السيارة فمدارها
حول الشمس وقد قال سبحانه وتعالى في كتابه
« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون » .
(صدق الله العظيم)

وقد فكر جاليليو هل هناك مشاهدة
عملية لجرم سماوي يدور حول الآخر
خلاف الزهرة والشمس فوجه منطاهر نحو
المشتري فرأى حوله أربعة أقمار وما رالت
تعرف هذه الأقمار بالأقمار الجاليلية ونظر العظم
كتلة المشتري (قدر الكرة الأرضية ما يقرب
من خمسمائة مرة) واقرب هذه الأقمار
من المشتري فانها تدور حوله بسرعة فيمكن
متابعتها بسهولة وهي تمر أمامه ثم تختفي
خامه لتظهر مرة أخرى من الجانب الآخر
فكان هذا برهانا عمليا آخر لدوران جرم
سماوي حول الآخر وبعد وقت أحدث
تعاليم جاليليو تنتشر بين الناس فحاكمته
الكنيسة وأحبرته على أن يكتب أن كل ما قال
غير صحيح وأن الأرض مسطحة ولا تدور
ونخرج جاليليو منبوذا وتتم بصوت خافت
« إنها تدور » ثم فقد بصره إذ أتلّف عينيه
لكثرة نظره إلى الشمس من خلال منظاره
دون استعمال عدسات واقية من الضوء والوهج
وقد دفن هذا الرجل العظيم في فلورنسا بعد
أن أسس علم الملك الحديث وجدير بالذكر

أن الفاتيكان منذ بضع سنوات فقط رد
لجاليليو اعتباره وذلك بعد وفاته بأكثر
من ثلاثة قرون .

والآن لبعد بسرعة واختصار إلى عالم الفلك
الحديث فالمجموعة الشمسية مركزها الشمس
والكواكب السيارة تدور حولها والشمس
كرة غازية متوهجة حجمها كبير جدا
لإذ إنه قدر حجم الأرض مليون وربع مليون
مرة وبقدرة الله ظلت الشمس ترسل النور
والحرارة مدة خمسة آلاف مليون سنة وقد
حير ذلك العلماء ولكن عرف الآن أن الشمس
تحول ما فيها من هيدروجين إلى هليوم أي أنها
تحول الكتلة إلى طاقة لأن عملية تحويل
الهيدروجين إلى هليوم يحدث فيها فقدان
لجزء طفيف من الوزن وهذا يتحول إلى النور
والحرارة التي يعيش عليها العالم وتحفظ
الحياة وقد استطاع الإنسان أن يبنى القنبلة
الهيدروجينية التي تطلق طاقتها في عمضه
عين ولكن الإنسان يعجز عجزا كاملا عن
إحداث تفاعل متواصل كما يحدث في
الشمس إن الحرارة اللارمة لبدء التفاعل
عالية جدا مركز الشمس ثقيل وبالغ الحرارة
لشدة الضغط فتبلغ حرارته عدة ملايين
من الدرجات المئوية وهذا يبدأ التفاعل
ثم يستمر بسبب البرود الدائم للهيدروجين
أما في القنبلة الهيدروجينية فقد جعل الإنسان

فتيلها قنبلة ذرية لكي تعطى الحرارة اللازمة
وقد ظلت الشمس في هذا التوازن العجيب
ما يقرب من خمسة آلاف مليون سنة أما أقرب
السيارات إلى الشمس فهو عطارد وهو على بعد
ثلاث وحدات فلكية من الشمس تقريبا وهو
نجم ميت لا جو يحيط به ويدير دائما وجهها
واحدا نحو الشمس أي أن الشمس لا تشرق ولا
تغرب عاياه ووجهه الذي يواجه الشمس
باستمرار بالغ الحرارة أما وجهه الآخر
المظلم دائما فهو بالغ البرودة ثم يلي عطارد
كوكب الزهرة وهي تكاد تماثل الأرض
في الحجم وتدور على بعد ثلثي وحدة فلكية
من الشمس تقريبا تدور حول نفسها ببطء
شديد (أربع مرات في السنة) ويغلفها
جو كثيف من ثاني أكسيد الكربون وحمض
الكبريتيك ويزيد الضغط الجوي عليها
عشرات المرات مما هو على سطح الأرض
وتبلغ الحرارة على سطحها حدا لا يسمح
بأي نوع من الحياة ولم تستطع مركبات
المصنعة تصوير سطحها لكشافه جوها وما عدا
سفينة روسيه هبطت إلى سطحها ولم تنجح
إلا في إرسال صورة واحدة ثم تحطمت
نتيجة الضغط الجوي الشديد وظهر أن
سطحها صحري فاحل ثم تأتي بعد ذلك الأرض
التي نعيش عليها وهي على بعد وحدة فلكية
واحدا عن الشمس تدور حول نفسها كل
٢٤ ساعة مع اختلاف بسيط بين يوم وآخر
لا يريد عن جرد من الثانيه وذلك لسبب
غير معروف بالضغط كما تدور حول

الشمس مرة كل سنة ولو أن السنة تطول كل عام بما يقرب من الثانية الواحدة ، وذلك عالماً ناشئ من نقص كتلة الشمس لأن الشمس تمقد بعض كتلتها في عملية الإشعاع كما أسلفت

تم يأتي كوكب المريخ وهو كوكب كان يأمل الإنسان أن يجد حياة فيه خاصة بعد أن وصف سكيببارت وحوود قوات عليد تم جاء بعد ذلك برسيمال لويل فقال إن هذه القنويات تمثل نظاماً متقدماً جداً للرى يستغل دوران تايوح المظيين تم طهر أن ما يبدو كغطاء تاحي على قطب المريخ الجنوبي عبارة عن ثائي أكسيد كربون متجمد وأن ثايج الماء لا يوجد إلا على القطب الشمالي وذلك لسبب غير معروف كان يأمل الإنسان أن يجد حياة على المريخ من نوع ما وذلك لوجود جو حوله والاعمال السى لحرارته خاصة في مساطقه الاستوائية ولـسكن مركبة الفضاء الأمريكية التي نزلت عليه خيبت الآمال إذ ظهر أنه كوكب قاحل وما فيه من ماء إما أن يوجد على شكل تلح على القطب الشمالي وبحار الماء فقط في الجو . . ثم يأتي بعد المريخ حزام الكويكبات وهو يتكون من عدد لا يحصى من الصخور بعضها حجمه مئات الأميال وبعضها لا يريد على قدم أو قدمين وعالماً ما نتج هذا الحزام من تعنت كوكب كان يدور بين المريخ والمشتري ثم يأتي بعد ذلك المشتري وهو كوكب في المجموعة الشمسية وهو حجمه قدر حجم الأرض

ألف مرة ويدور حول المشتري كما نعرف الآن اثنا عشر قمر لم يستطع جاليليو بمطاره إلا أن يرى أربعة منها وهو على بعد يقرب من خمس وحدات فلكية من الشمس وهو غير صالح للحياة وحوه مكون من الهيدروجين وغاز الميثان بكميات كبيرة ثم يأتي بعده رحل المعروف بالمناطق المثير الذي يدور حوله تم دبتون فأورابوس فساتو وكالها غير صالحة للحياة وبلوتو أبعد كوكب عن الشمس في المجموعة الشمسية وهو يدور حولها على بعد يريد قليلاً عن أربعين وحدة فلكية ولم أذكر القمر ككوكب لأنه تابع يدور حول الأرض وهو قريب جداً مما بالنسبة للمقاييس الملكية فالمسافة بينا وبينه ٢٤٠.٠٠٠ ميل إن الشمس والكواكب التي ذكرتها مع أقمارها مع سمع الغاز والمذنبات والشهب والنيازك تكون ما يعرف بالمجموعة الشمسية .

كم عدد الكواكب ، عددها الذي ذكرت تسعة وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم « إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » وكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي يلاحظه أولاً أن الآية لم تصع الشمس والقمر مع الكواكب وهذا صحيح مائة في المائة وقد نزلت هذه الآية عندما كان الناس لا يعرفون إلا خمسة كواكب سياره فقط هذين إثنين الأحد عشر

كوكبا؟ أين الكوكبان الباقيان ليكتمل العدد لقد ظهر خلال السنتين الأخيرتين مناظير خاصه ضخمة وباتطور الدقيق أن بلوتو وهو أبعد كوكب في المجموعة الشمسية ظهر أنه ليس كوكباً واحداً بل كوكبين يدور أحدهما حول الآخر فيصبح عدد الكواكب بذلك عشرة كما أن الفلكيين مشعواون الآن بتحديد موقع كوكب بعيد جداً وتشير حساباتهم إلى أنه على بعد ٧٧ وحدة فلكية عن الشمس فيكون هذا هو الكوكب الحادى عشر وحتى إذا أخفق هذا البحث فإن خزام الكويكبات الذى سبق أن أشرت إليه نتج من تفتت كوكب كبير ويمكن اعتباره كوكباً بالرجوع إلى أصله وهكذا يكتمل العدد الذى أشار إليه القرآن

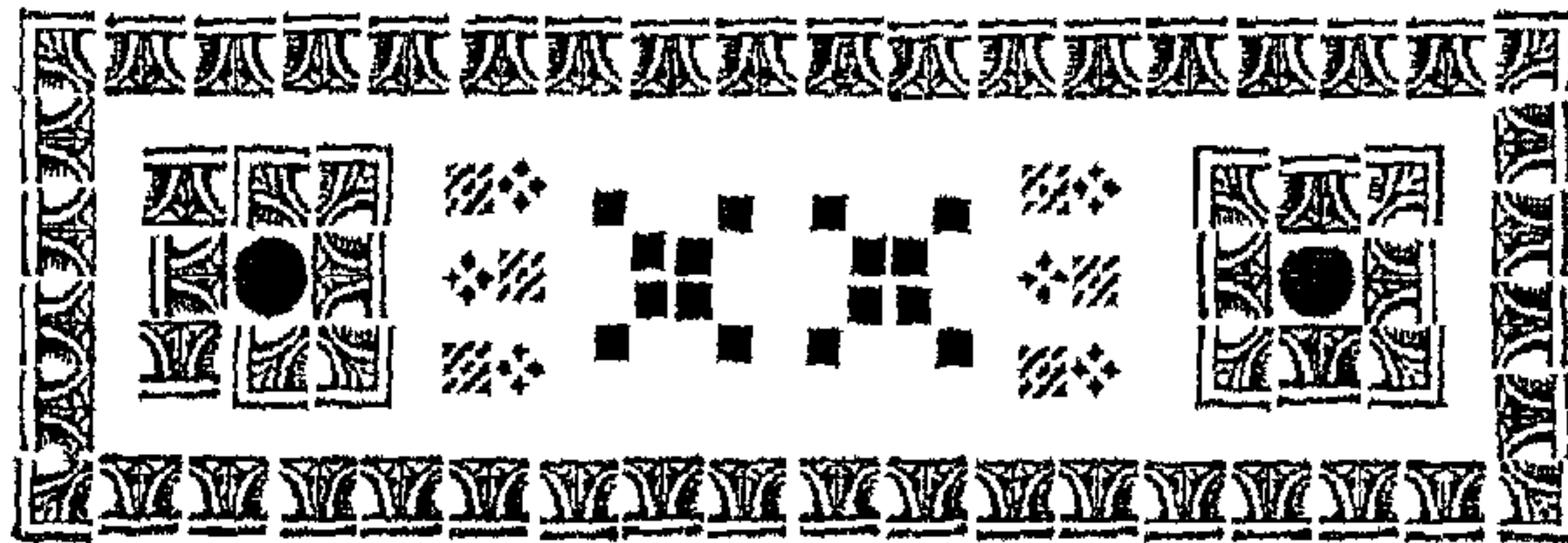
وإذا خرجنا من المجموعة الشمسية لنستكشف ما وراءها فإن الوحدة الفلكية وهى بعد الأرض عن الشمس لا تصاح للقياس ويجب أن نستعمل سرعة الضوء فى مقاييسنا فالضوء يسير بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية ويصلنا من الشمس فى حوالى ثمانى دقائق ولو قدر لشعاع الضوء أن يدور حول الكرة الأرضية فإنه يدور حولها سبع مرات ونصف مرة فى الثانية الواحدة فإذا خرجنا من المجموعة الشمسية فإن أقرب جارين لنا هما الأقرب المظورى وألفا قنطورى وهما على بعد أربع سواب ضوئية وتنتظم شمسنا مع النجوم التى سراها والتى لا نراها مجموعة ضخمة تسمى الحجرة وهى مستديرة

مسطحة مثل رغيف الخبز وتحتوى مائة ألف مايون شمس ويقطع الضوء الحجرة من حافتها إلى الحافة المقابلة فى مائة ألف سنة ومن العت وصع أرقام لمعبر عن هذه المسافات لأنها لن تعنى شيئاً للعقل البشرى ولكن لنعبر عنها بشكل آخر أقرب إلى الفهم وهو أنه إذا صغرنا مدار الأرض حول الشمس ليصبح دائرة فى حجم رأس الدبوس وفى هذه الحالة لا ترى الكرة الأرضية حتى تحت المجهر فإن الحجرة على نفس المقياس يكون سطحها قدر سطح قاره آسيا ولكن هل توجد مجرات أخرى مثلاً؟ نعم هناك ألف مايون مجرة أخرى فى كل منها مائة ألف مايون شمس وبالحساب البسيط نجد أن عدد الشموس فى الكون الذى نعرفه يزيد على عدد حبات الرمل على جميع شواطئ العالم الذى نعيش فيه والله أعلم بما يدور حول كل شمس من هذه الشموس من كواكب مثل كوكبا وهذه المجرات البعيدة لا يمكن أن ترى بالعين حتى من خلال المناظير الفلكية الحديثة العملاقة التى يبلغ قطر عدستها خمسة أو سبعة أمتار ولكن لابد من أن نأجأ إلى التصوير ممتدح المظار على مكان الحجرة ويبدأ التصوير الموتحراى لعدة ساعات وربما لليال متتاليه وهناك آلات دقيقه تدير المنظار دائماً نحو نقطه واحده فى السماء بهذا وباستعمال المنظار اللاسلكى استطعنا أن نرى المجرات والأحسام التى تسمى بالكوازار على بعد ثمانيه ألف مايون سنة ضوئية لما ظهر بمراقبة خطوط

طيفت هذه المحررات أنها تتناعد عنا باستمرار
 بسرعة رهينة تزداد طرديا مع بعدها عنا
 وتبلغ سرعة تراجع المحررات المائبة إلى ستين
 ألف ميل في الثانية الواحدة ولكم أن تحسبوا كم
 اتسع الكون منذ بدأت حديثي هذا والكون
 إذ يتسع بسرعة رهيبه وقال تعالى في كتابه
 الكريم « والسماء بديهاها بأيدي وإنا لموسعون »
 وإن أحوض الآن في أسباب هذا التمدد فهذا
 حديث يطول شرحه وقد احتضرت كثيراً
 في كلامي وكل بلد فيها من الشمس إلى الأرض
 إلى الأقمار إلى كل كوكب إلى النيازك
 والشمس والمذبات والسدم وحب الأيدروحين
 والمحررات الخ يحتاج كل بلد فيها إلى جلسة
 خاصة طويلة وكنت أريد أن أشرح كيف

توصل الإنسان إلى كل هذا وكيفت هيا الله
 سبحانه وتعالى السبل ليعرف كل هذا
 ويتعجب ويسبح لله ويدرك عظمه الخالق
 كما كنت أريد الكلام عن منشأ الكون
 وهايته ولكن لا يوجد وقت لكل هذا وإلى
 جلسات قادمة إن شاء الله وسيكون كلامي
 كله مستنداً إلى ما جاء في كتاب الله .
 والآن أنت تعلم أنك إذا نظرت إلى
 السماء في ليلة صافية وطلعت أنك ترى شيئاً
 في الواقع أنت لا ترى شيئاً بالمرّة من هذا
 الكون العظيم .
 أشكركم أيها السادة والسلام علىكم
 ورحمة الله وبركاته .

حسن ابراهيم
 عضو المجمع



حاشية على كلمة "حورية"

لدكتور أحمد موسى الحسيني

وهذه هي البيئات :

- ١ - إن لفظة (حورية) يونانية قديمة وردت في الأدب اليوناني القديم وورد في الملاحم اليونانية اسم أوريا هيلينا الطروادية .
- ٢ - إن اللفظة ليست دخيلة في اليونانية إذ ورد منها اسم وفعل .

- ٣ - إن اللفظة لم ترد في العربية إلا في العصور المتأخرة . ولم ترد في المعجم التاريخي concordance ولا في المعاجم العربية القديمة .
- ٤ - وردت لفظة «حوارية» من مادة حور جمعها : حواريات جاء في أساس البلاغة : قال الأنحطل : حوارية لا يدخل الدم بيتها : مطهرة يأوى إليها مطهر .

- ٥ - ووردت لفظة حوراء مؤنث أحور .

- ٦ - وردت لفظة «الحواري» في القرآن الكريم غير مرة ، جاء في سورة آل عمران : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله واشهد

رَزَقْنَا

الله في أثينا حفيذة حوراء ، لكأنها من حور العين ، سماها والداه «زيه» وسمع البحيران اليونانيون الاسم فاستمحوه وسألوا عن معناه فشرح لهم فقالوا : إذن هي «أوريا» huria

واسترعى انتباهي اللفظ «أوريا» أهو حورية الاسم الشائع في مصر وكثير من البلدان العربية ؟ وقصيت أياما طوالا أنقب في المعاجم العربية والغربية والتركية والفارسية ، وانتهى بي المطاف إلى أن اللفظة يونانية دخلت العربية ، ولا علاقة لها بمادة (حور) العربية ولا بلفظة (حور) التي وردت في الآية الكريمة «كذلك وزوجناهم بحور عين» (الدخان ٥٤) وتكررت في سورة الرحمن (آية ٧٢) وسورة الواقعة (آية ٢٢) والتفسير المتفق عليه أن معناها «نساء بيض واسعات الأعين حسناتها» .

انا مسلمون » (آية ٥١) وتكررت في المائدة (١١٥) والصف (١٤) وشرحها المفسرون بالخالص النقي من كل شيء، وشاع استعمالها في الخالصاء للأنبياء، وردت في الشعر القديم ويرى فنسك A. J. wensick في بحثه المنشور في دائرة المعارف الإسلامية، اعتمادا على رأى لنولدكة (Noldeke) في reitioe Z sem spnoch wiroonchalt ان الحوارى مأخوذة من اللغة الحبشية، ويكر القول أنها عربية بمعنى من يلبس البياض كما ذهب بعض المفسرين وهذه مسألة ثانوية في بحثنا .

٧ - أما لفظة (حور) الواردة في القرآن الكريم فقد دخلت اليونانية ، اللاتينية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والفارسية والتركية وكتبت houri جمعها houris وفي معاجم جميع هذه اللغات شرحت اللفظة بالنساء الجميلات الوارد ذكرهن في القرآن الكريم (ومن الجدير بالذكر أن «أوريا» تبدأ بحرف W أو مي جاي حين تبدأ أوري O باو H في اليونانية وفي اللغات الأوربية الأخرى وهذا دليل إضافي على أن اللفظتين مختلفتان) وأود أن أصيف إلى ذلك أن معهما الوسيط أثبت حورية وشرحها «بمئة أسطورية تترعى في البحار والأهوار والغابات وهذا الوصف يختلف عن وصف حور الواردة في القرآن الكريم، وأغلب الظن أن وصف حورية «أوريا» الواردة في الأساطير اليونانية .

ومن الصعب تحديد دخول (أوريا) في اللغة العربية وكيف دخلت؟ أبو ساطة التركية أم العربية؟ وكذلك لا نستطيع تحديد دخول لفظة (حور) في اللغات الأوربية، ومن المرحح أنه حدث في كلتا الحالتين في عصور متأخرة، ومن الإصاف أن أثبت هنا رأيا محالما لرأى أطرحه على الرملاء للمناقشة ويذهب هيروفتس في كتابه (أبحاث قرآنية) المنشور، سنة ١٩٢٣ أن حور مفردها بالفارسية (حورى) وهي الصورة الواردة في المعاجم الغربية والتركية، ويصيف أحد كبار علماء الاستشراق المعاصرين. الأستاذ قسطنطين J. M. kister. إن لفظة (حورى) انتقلت إلى العراق وهناك صيغ منها المؤنث، فقالوا (حورية) وحورية مستعملة في اللهجة العراقية، وبذلك تكون اللفظة عربية أصلا وليست دخيلة من اليونانية .

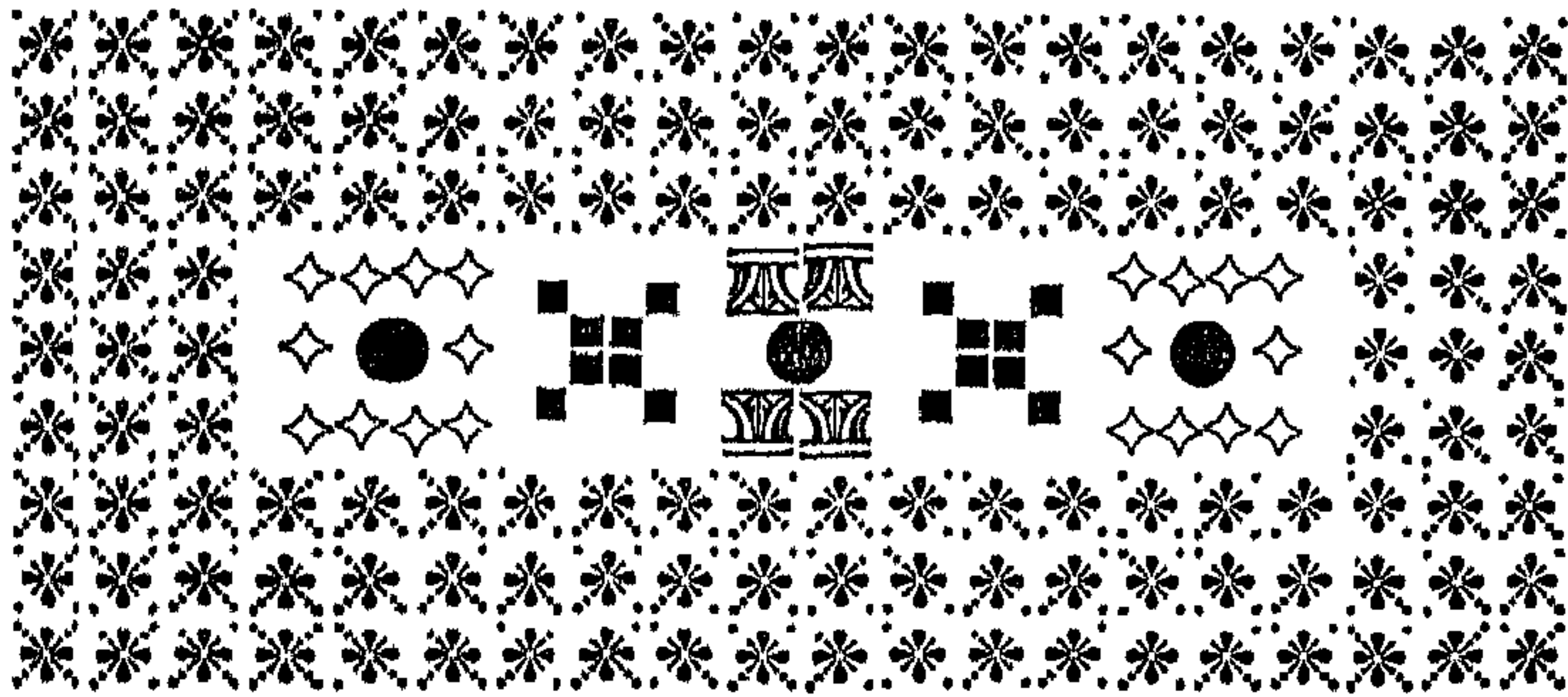
وقد التبس الأمر على أصحاب المعاجم الحديثة ودوزى في معجمه sup aux Dict Arabes يذكر أن لفظة «حورية» استعمالها العوام بدلا من حوراية وذكر J B Havas في معجمه (العوائد الدرية) في اللغتين العربية والإنجليزية أن (حورية) بمعنى حوراء، أى «مئة الجميلة» ذات العين السوداء، وجاء بعده معجم أكسفورد للإنجليزية والعربية، وأثبت (حورية) بمعنى حور وذكر صاحب المورد (مير بجايكى) أن (حورية) إحدى حور الحمة وهي منهنجه صاحب المهمل (سميل إدريس وجبور

يونانية دخلت العربية في عصر متأخر ، ولا علاقة لها (بحور العين) ، وأن لفظة (حورى) الواردة في اللغات الأوروبية والفارسية والتركية عربية الأصل والله أعلم .

اسحاق موسى الحسيني
عضو المجمع من فلسطين

عبد النور) وذكر W. Redhouse sir James في معجمه: اللغة التركية والإنجليزية الصادر سنة ١٩٧٨ أن (حورية) اسم فرقة صوفية تعتقد بالعلاقة الحسية الغيبية بالخور .

ولم أتبع هذه المسألة لخروجها عن الموضوع والخلاصة أن لفظة (حورية) - كما أرى -



فى تعربى التعلللم

لللكئورأعمرعبدالله السارالءوءارى

شعاعاً من أن يعين على الإبصار . وكذلك
يمكن أن يكون اللسان وكذلك يحتفل أن تكون
اللغة من حيث القدرة على اصطناعها للتعلللم .

ولكن اللسان العربى غنى بمزايا اللسان
الصالح للتعلللم ، القادر على التعبير عن معانى
العلم والفن والحضارة .

لقد كان كذلك منذ عهد بعيد ، وهو
لا يزال من أطوع الألسنة تعبيراً عن الفكر
والشاعر .

ولربما كان فى تجارب الأمم الأخرى
ما يؤيد هذه الحقائق ويشد من أزرها .

(١)

فلقد بدأت العناية باللغات القومية فى
أوروبا منذ نشأت فيها الدول على أساس
قومى ، وبعد أن توحدت الدويلات والإمارات
فى دول قومية شعرت تلك الدول بالحاجة
إلى لتمكين اللغة القومية لتكون وسيلة

قد يبدو الكلام فى تعربى التعلللم أشبه
ما يكون بتردد المسلمات ، وأحرى أن يكون
قد بت فى أمره منذ زمان فهو ما عاد ذا
طبيعة مشكلة ، يشكو فيه التجمع العربى
من فقر فى العنصر البشرى اللازم له ، أو
يحبس حاجة فى تطويع اللسان العربى وإعدادة
ليكون وسيلة صالحة للتعلللم والتدريس ،
ولا اكتساب المعارف والمهارات كما يقول
أساتيد التربية .

ثم إن اللسان أو اللغة فى التعلللم جزء منه
مهم ، بل لعله أهم الأجزاء فى محيط
الإنسان المعلم المتعلم ، إنه كالهواء الذى تتردد
فيه الأنفاس ، وكالنور الذى تنصر به الأبصار
وكالماء الذى يقع غلة الصديان . على أن
الهواء قد يخلو قليلاً أو كثيراً مما لا بد منه
للتنفس ، والماء قد يمر طعمه أو تشوبه شوائب
تجعلها غير خلاق بما وجد من أحلاه ،
والنور قد يكون أضعف وأكسف

(*) أنى البعث فى الجلسة الثالثة ٢٨ / ٢ / ١٩٨٥ م .

التعليم والتثقيف ولسان الفكر والحصارة والفنون التعبيرية التي أخذ الطابع القومي يضاف عليها خصوصية ويميزها عما حولها :

في الولايات المتحدة الأمريكية بدأت الدعوة إلى توحيد لغة التعليم في منتصف القرن الثامن عشر. ولما أخذت الدولة بنظام التعليم الإلزامي في مفتتح القرن التاسع عشر شرعت بمزيد من الحاجة إلى لغة واحدة تكون الوسيلة لنشر التعليم وتعميمه وهي اللغة الإنكليزية .

ثم أصبحت بعد أن انصمّت إليها ولايات جديدة في حاجة إلى ترسيخ الولاء للدولة الجديدة فكانت اللغة الموحدة وهي الإنكليزية أساسا من أسس الولاء .

والصين بملايينها الألف ورقعتها الوسيعة وعناصرها المتعددة لا تستخدم في التعليم إلا اللغة الصينية ، وهي معروفة بصعوبتها وكثرة حروفها وتعقد المقاطع فيها وعسر الكتابة بها .

واليابان لا تعلم أساسا إلا بلغتها القومية وهي اليابانية ، في مراحل التعليم كلها لا تقعد بها مشقة الدراسة بها على الدارس والمدرس . إذ أن على التلميذ في المدرسة الابتدائية أن يتقن ٨٨١ حرفا ، ثم يضاف إلى هذا القدر ٤٠٠ حرف في المدرسة

المتوسطة حتى يستطيع أن يتقن ما يحتاج إليه لمتابعة القراءة اليومية للحرائد وما يشبهها (١)

(٢)

وكثير من الأمم يحتاج إلى مجهود مص ومشقة وعناء لتعلم لغته القومية وسيلة صالحة للتعليم والتعبير عن الأفكار العلمية والثقافية الرفيعة ، لأن كثيرا من تلك اللغات كان لا يريد على كونه لهجات محلية وأدوات تخاطب قد تكون وافية بحاجات الناس اليومية وشؤونهم العامة .

ومنها ما ران عليه صدام السنين وغشاها الإهمال والهجران فانقطع ما بينه وبين الحياة العامة ، ولم يعد يسرى فيه دم الحياة ، فأخذ أصحابها يزيحون عنها ذلك الرين ويجهدون في إعادة الحياة إليها لتصير لغة علم وفكر وتعليم كالذي يصنعه الغزاة المحتلون في فلسطين باللغة العبرية .

أما لسانا العربي فهو خلق بأن يتبوأ مكانته في حياتنا الفكرية والعلمية والتعليمية بلا مشقة ولا تكليف، ولكن بإيمان وثقة وقدرة على إدراك مزاياه والعناية بكسوزه ورخائره وهي منا على طرف الثمام، إذ أن قدرة الله وعمايته قد أثرت هذا للسان العربي بالحفظ والرعاية وتجدد الحيوية بما شرفته بالكتاب الكريم (قرآنا عربيا غير ذي عوج) (بلسان عربي مبين) .

(١) استأيت في استخلاص هذه الحقائق من بحث الأستاذ الدكتور عبد العزيز السام دعوان « العربية المصيصة لغة التعليم » في ندوة اللغة العربية والوعي القومي

ثم كان لهذا اللسان أن أصبح لسان العلم والفلسفة والحضارة قرونا من الزمان وأهله اليوم يفهمون ويتذوقون ويسمعون بآثاره ونفائسه وزخائره مثلما كان أسلافهم يصنعون .

(٣)

إذن فالتعليم بالعربية ضرورة من ضرورات الحياة للعرب ، لأن العربية هي جوهر تكوين الأمة ، وتداولها في التعليم والتعبير عن الأفكار والمشاعر سبيلهم إلى تقوية الوحدة بين أجزاء الأمة وأقطارها وقناة التفاهم والتعاون وإقامة العلاقات الأخوية بشعوب الأمة الإسلامية ومن يجاورهم ممن تربطه بهم صلات الود الإنساني ورغبات التعاطف والتنسيق بين الأفكار والمصالح . ومن الأمور المعروفة بالضرورة أن اللغة هي وسيلة التفكير وهي وعاء وعدد الأفكار والمشاعروهي وسيلة التعبير وذلك أن المرء إذا أحس بالحاجة إلى التعبير عما يشعر به ، وإذا فكر وجد في نفسه الحاجة إلى إيصال أفكاره إلى غيره وكل ذلك لا بد فيه من أداة التفاهم والتواصل بين أفراد البشر وهي اللغة .

ومن أهم تلك الأمور البديهية وأولها بالذكر أن الفرد من نبي الإنسان يفكر بلغته الأم التي يكتسبها ممن يحنو عليه من مبدأ تناسله ريح الحياة ، ويثقف عنه مفرداتها وتراكيبها وجرس ألفاظها ، ودلالات تلك الألفاظ والتراكيب

ويدأ ذلك تقليداً ومحاكاة وتريداً ، حتى إذا بلغ أشده صار قادراً على استخدام تلك التراكيب والألفاظ استخداماً مستقلاً ، يكتسب به المعرفة ويمهم به عن غيره ، ويقل به

ما يعرف إلى الآخرين ويعبر به عن مشاعره أحاسيسه ويتلقى به ما يأتي إليه غيره من كبار ومشاعر .

ويظل ذلك يجري في عروقه مجرى الدم ويخالط جسمه ونفسه وفكره فيكون الجزء الأهم من كيانه العقلي ، حتى إنه ليأبى الدخيل ويرفضه بل إنه قد يقباه حين يقباه ويستقبله استقبال الطيف لا يقيم ولا ينفذ في الصميم وإنما يظل غير قادر على الامتزاج والمخالطة ولكن يؤخذ منه بمقدار لأن فيه غربة الجرس وغربة التأليف والتركيب وليس فيه إلا ألفة المصدر الإنساني المشترك .

إن التعليم لغة الأم إذن هو الوسيلة المثلى لاكتساب المعرفة ، لأنه يقيم بناءه على أساس صحيح من التربية الأولى في كنف الأسرة وفي حضن الأم في مراحل التربية المبكرة . وإن ذلك يبدو واضحاً أشد الوضوح إذا كانت لغة الأم وافية بحاجات التعليم ، حفية بالفكر ، قادره على التعبير عن المشاعر والأفكار .

وفوق كل ذلك فإن التعليم باللغة الأم يظل يصل الفرد بمجتمعه سواء في ذلك مجتمع الأسرة والبلد والوطن ، أم مجتمع الشعب والأمة في قديمه وفي جديده ومستحدثه .

أما تغريب التعليم أو تعليم التغريب ، فهو مجلبة للغربة النفسية والفكرية ومسوخ للشخصية ، لا يصل الأفراد بالمجتمعات الغربية ولا يبقى لهم على الصلة الوثيقة بالمجتمع الذي هم منه وهو منهم ، وإنما يحياهم التغريب إلى صورة شبيهة بصورة ذلك الذي فارق أصله ولم يلحق بمن قامه وحاكاه .

(٤)

إن هذه المشكلة من مشاكل حياتنا الفكرية تحتاج إلى مواجهتها في صدق وصراحة ، وأن لا يتستر على المواقف الحقيقية فيها .

لأن التهاون في علاجها يتجاوز حدود التعليم المنهجي المعروف ، فيكون زمانة فكرية شعورية حصارية ثقافية ، تقوم فيها الحواجز بين أولى العلم والمعرفة الذين أخذوا من ذلك بنصيب ، وبين المجتمع الذي يعيشون فيه حياة عقلية سطحية لا يتأثرون بها إلا بقدر الحاجة اليومية ، ولا يؤثر فيها إلا مقدار ما يؤثر فيها الأفراد العرباء .

إن لنا أن نتساءل : لماذا يؤثر فريق مما أن يعلم بلغة أجنبية ؟ الشعور بقصور العربية عن الوفاء بالحاجة الفكرية في التعبير عن الأفكار واستيعاب حقائق العلم ونظرياته ؟ أم لشعوره هو بعجزه عن التعبير بها والهيمنة على أدواتها ، والقدرة على فهم جوهرها وأسسها وقواعدها ؟ أم للتستر على كثير من العيوب والمآخذ الفكرية والعلمية التي لا يكشف عنها التعبير باللغة الأجنبية .

ولو أننا استنطقنا أمثل هؤلاء طريقة وأدناهم إلى الصدق محبة ، لما زاد على أن يقول إنه يريد التعبير بلغة عالمية مرنت على البحث العلمي وطوعت له واستوعبت حقائقه ، وهي ما تزال ماضية في هذه المضامير لا يقعد بها عجز ولا عسر

ولا تعقيد : ولو أنه ركن إلى اللغة القومية لاحتاج إلى جهد في تدليل قواعدها وتطويعها للتعبير عن حقائق العلم ونظرياته ومصطلحاته .

كأن العربية لم تكن لغة العلم والحضارة قره نا عديدة ، نقلت عنها جملة العلوم إلى اللاتينية في أوروبا من قبل أن تتخذ تلك اللهجات المحاية في أوروبا لغات معتمدة كالفرنسية والإسبانية والإنكليزية والألمانية

وكان التعليم والبحث والثقافة مواطن مقفلة معلقة مثل مواطن البحث في البوابة وفي صنع القابل البوابة أما المجتمع العريض وجمهوره فلا شأن له بتلك المواطن والمواضع إلا بقدر ما يتلقى من نتائج أبحاثها ودراساتها من وراء الجدر الصم السماك .

(٥)

إن الثقافة اليوم غداء للناس كافة ، وهي لم تعد وقفاً على المتخصصين أو على الذين يأخذون بأطراف من العلوم والمعارف والفنون بل إنها أصبحت تسعى إليهم صحيحة أو غير صحيحة ، نافعة أو غير نافعة ، بوسائل النشر ووسائطه المختلفة المسموع منها والمرئي والمقروء وهذا مما راد في حاجة الجمهور إلى ما ييسر له التمييز بين الصحيح والسقيم والمفيد وغير المفيد ، القيم وما لا قيمة له وإلى أن يتحروا مواطن الانتفاع ، ويرصدوا مزلق الزلل في ماتقدم إليهم وسائل النشر ، سواء في

ذلك ألوان المعرفة ، مما يتصل بالحياة الفكرية
كالعلوم الحديثة وما يطبق منها في حياة الناس
بوجه عام

(٦)

ولا ريب أن اصطناع اللغة القومية في
أمور المكر : التعليم أو البحث العلمي ، يكون
أكثر اقتصاد في الجهد ، وأدعى إلى اختصار
الزمن ، لأن الإنسان إنما يفكر باللغة الأم ويركن
إليها حتى في ترجمة ما يتلقى من صنوف
المعرفة باللغة الأجنبية ، فيكون الجهد
الذي يقتضيه العمل الفكري حينئذ مضاعفاً ،
إن كان يتخذ مساراً صحيحاً ، ويقوم على
أساس ممكن من المعرفة باللغة الغربية وهذا
الأمر ، أي التمكن من اللغة الغربية قريب
غير محقق ولا متحقق ، وأسباب ذلك
معروفة وصوره واضحة في المجتمعات التي
استبدلت بلغاتها القومية لغات أخرى
ورضت عليها

وإن مما يتذرع به القائلون بصعوبة التعام
بالعربية أمرين مهمين : الأول عسر قواعدها
ووعورة أساليب تدريسها ، والثاني شدة
حاجتها إلى المصطلح العلمي في صنوف العلم
وهروع المعرفة ، وكلا الأمرين حقيقة لا مراعاة
فيها .

فإن قواعد اللغة العربية وأساليب تدريسها
في حاجة إلى التيسير وتمهيد السبيل حتى
يتسنى ضبطها والتمكن منها ، وحتى
لا يضيق الدارسون بها ذرعاً :

والمصطلح العلمي ليس بالأمر المشكل ،
فليفظوه كما هو في اللغة الأجنبية إن استعصى
عليهم أن يجدوا له ما يقابله باللغة العربية
ولكن الأمر الأهم أن تكون العبارة ويكون
التركيب الذي يفصحون به عن بالعربية
لتتضح الأفكار وتستقيم المفاهيم .

وإن ما يقوم به مجمع اللغة العربية
والمجامع العربية في بغداد ودمشق وعمان
والرباط من عمل في إخراج المصطلح العلمي
ليكاد يسد تلك الذريعة ويسقط تلك الحجة
وهذه المجامع واتحادها لا تكتفي بالجهود
المستقلة وإنما تعاود ، في اتحاد المجامع
البحث في تيسير قواعد اللغة وتسهيل إملأها
ابتغاء التيسير على الدارسين والباحثين ، بل
على الجمهور بعامة .

* * *

أما العناية باللغة الأجنبية بهذا الاعتبار
فأمر مطلوب مرغوب لأنه يصل أولى العلم
من أساتذة وطلبة وباحثين بالوسط العلمي
في البلاد الأخرى حيث يزدهر البحث
العلمي وتقوم سوقه ويكثر نتاجه . ذلك باب
لا بد أن يشرع ليكون مصدر اقتباس وانتفاع
ولكن في وعى وإدراك بأن لغتنا العربية هي
وعاء الفكر ووسيلة التفكير والتعبير ،
لا يستبدل بها لسان آخر مهما كانت الدوافع .

وليس اعتزاز أمم أخرى بألسنتها ولغاتها
بخاف على ذي بصيرة . على أن هذه الأمم
وألسنتها لا تبلغ العربية في قدرتها على التعبير
عن قضايا العلم والمعرفة وأساليب الأدب

والفن والحضارة وهي بعد أقل عدداً وأيسر
شأناً من هذه الأمة العربية التي أكرمها الله
بأدين والإسلام وشرف بكتابه العزيز لسانها
العربي المبين ، وجعل من الشعوب المسلمة
إخوة لها تستظل وإياها بطل الكتاب الحكيم
وتتلهف لمعرفة وتسعد بتلاوته وتعتر بلسانه
العربي المبين .

أهلاً يجدر بهذه الأمة وهي بهذه المثابة أن
تقبل على لسانها وتتجه إليه في التعليم واكتساب
المعرفة ، بل تيسر تعلمه وإتقانه على أبنائها
وأبناء إخوتها في الدين والحضارة ، ممن
لو أعينوا على اكتسابه لأثروه ولما عدلوا
عنه إلى السنة لا تصلهم بها غير صلة الماضي
البغيض ، ماضى الاستعباد والاستغلال

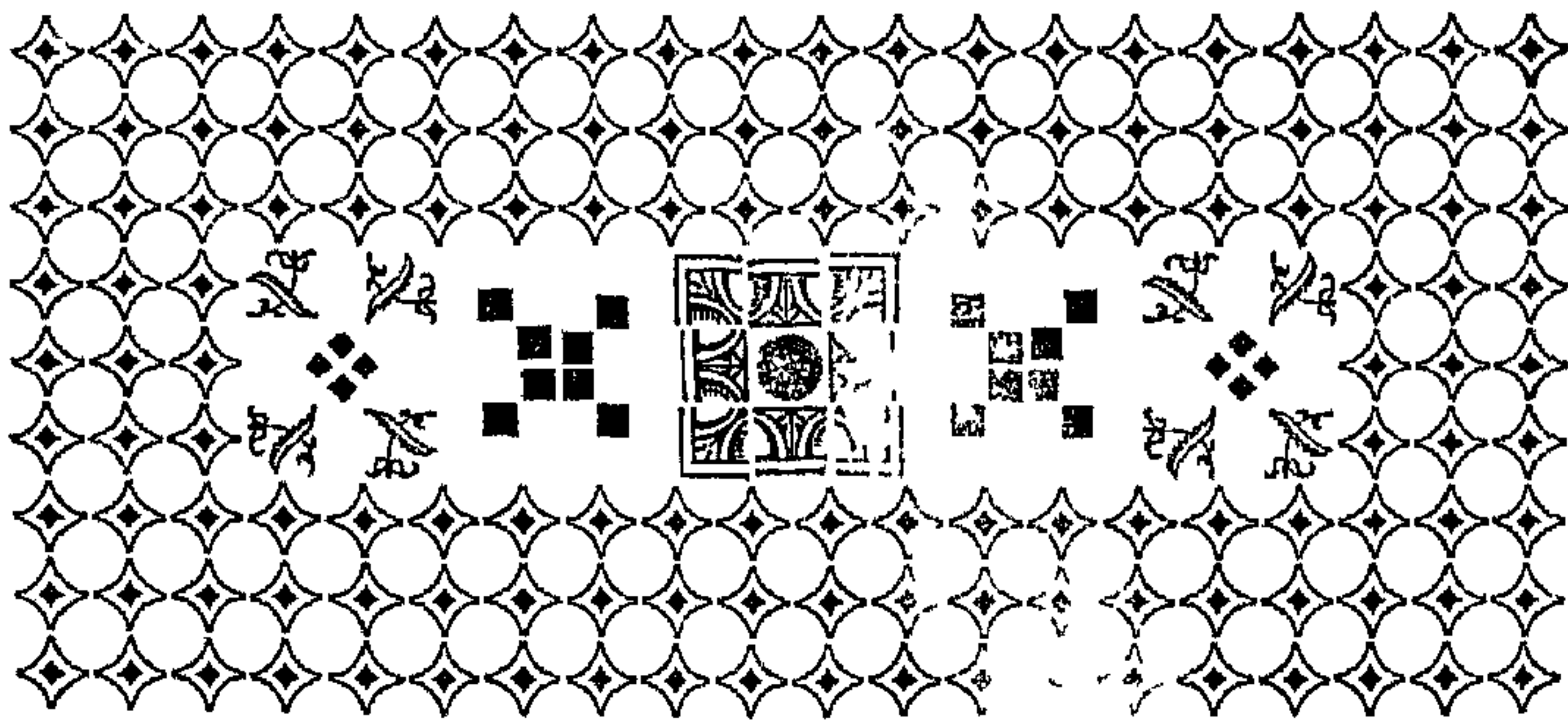
أولا يجب على أولى الأمر أن يستجيروا
لداعى العلم والإخلاص في خدمته وبشره

بين أساء الأئمة فعيروا على وضع الأمر
في نصابه ويقرروا قطع دابر السبلة والتردد
في معاهد التعليم ومؤسساته بين الامة الأم
وهي العربية ، وبين اللغات الأخرى الدخيلة ؟

ولعل في ما ينهض به نجمعنا هذا - مجمع
اللغة العربية - من عمل متواصل وجهد متصل
في وضع مصطلحات العلوم الحديثة وفي
التذكير بواجب الحفاظ على لغتنا العربية
وهي جوهر وحدتنا - نحن العرب - لعل
في ذلك ما ينهض العزائم ويشجده الهمم
لتحقيق هذا المطلب الحيوي وإنجاز هذه
المهمة الجلية .

والله يؤيد بنصره من يشاء إنه نعم المولى
ونعم النصير .

احمد عبد الستار الجوارى
عصو المجمع المراسل من العراق



شعر الملحون في الأدب المغربي

ولما في اسمه بهذا الاسم
لأنه تناو محمد الفاسي

الملحون

هو الشعر باللغة العامية ،

وقد برز المغاربة ،

وأبدعوا قصائد رائعة في كل فنون

الشعر :

وأول ما يتبادر للذهن أنه شعر بلغة

لا إعراب فيها ، فكأنه كلام فيه

لحن . وهذا الاشتقاق باطل من وجوه ،

لأننا لانقابل الكلام الفصيح بالكلام

الملحون ، وإنما باللهجات العامية ،

ولم يرد هذا التعبير عند أحد من

الكتاب القدماء ، لا بالشرق ولا بالمغرب .

ولا يعقل أن يسمّى أحد شعره بكلمة

تنم عن الجهل .

والذي أراه أنهم اشتقوا هذا اللفظ

من التلحين بمعنى أن الأصل في هذا

الشعر الملحون أن يُنظم ليُتغنى به قبل

كل شيء . ونجد مايؤيد هذا النظر

في قول ابن خلدون في المقدمة في

الفصل الخمسين « في أشعار العرب

وأهل الأمصار لهذا العهد » بعد أن

تكلم على الشعر باللغة العامية فقال :

« وربما يلحنون فيه ألحانا بسيطة

لا على الصناعة الموسيقية ^(١) » . ومعنى

هذا أنهم لا يدخلون أشعارهم في موازين

الموسيقى المعروفة ، من بسيط وبطائحي

ونحوهما ، وإنما يجعلون لها ألحانا

خاصة . وقد وقفت أخيراً على نص

لأحد العلماء الإيرانيين من أهل القرن

الثاني عشر الهجري يقول فيه عن

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة ٢٨ / ٢ / ١٩٨٥ م .

(١) ص 582

الرباعي في الأدب الفارسي . « إن
الرباعي الذي يغني به الملاحون يسمى
ترانه بالفارسية » (١) .

ومن أسماء هذا الشعر عندهم « الموهوب »
وهذه العبارة تدل دلالة واضحة على
أهم يعتسرون الشعر كهبة من الله ،
وليس هو مجرد نظم وإنما هو إيهاء
وإلهام ، وكأنه يجري على لسان الشاعر
عفواً ، لذلك يسمونه أيضاً « السَّحِيَّة » ،
ويميزون بين الأشياح الذين يقولون
الشعر والذين يحفظونه ويغنونه بقولهم
« شيخ السَّحِيَّة » للشاعر و « شيخ
القَرِيحة » للمغني .

ويطلقون عليه كذلك لفظة « الكلام »
كأن الشعر هو الكلام الحقيقي الذي
يستحق أن يحمل هذا الاسم ، وعيره
كأنه لغوٌ ، وكل هذه العبارات تدل
على تقدير الشعب لهذا الشعر ونظره
إليه بعين الإكبار والإجلال

وفي الحقيقة ، دراستنا للملاحون
من بين الإنتاجات الأدبية الشعبية ،
فيه تحوُّزٌ ، إذ أخصَّ مميزات الأدب

الشعبي أنه لا يُعرف قائله ، وهذا هو
الشأن في الحكايات وفي الأمثال وفي
العروبيات التي تعنيها النساء ، وفي
نحو هذه الأنواع الأدبية الشعبية حقاً ،
أما الملاحون فلا يربطه بالناحية الشعبية إلا
كَوْن قائله في الغالب من عامة الشعب ،
وليسوا كذلك في الغالب من المثقفين ،
بل كانوا أميين ، وأما من حيث
اللغة العامية ، فإنها ليست لغة طبقة شعبية
منحطَّة ، بل هي لغة أرقى من اللغة
التي يتكلم بها حتى المتعلمون ، لأن
شعراء الملاحون يُدخلون في كلامهم كثيراً
من الكلمات الفصيحة بعد إحرائها
على الأسلوب العامي ، ثم إن من بين
شعراء الملاحون من لو تُرجم إنتاجهم
لغة حية لعدُّوا من أكابر شعراء الدنيا ،
فيطبق عليهم من هذه الناحية قول
ابن خلدون في المقدمة في الفصل المشار
إليه آنفاً :

« اعلم أن الشعر لا يختص باللسان
العربي فقط ، بل هو موجود في كل
أمة سواء كانت عربية أو عجمية . »

(١) دائرة المعارف الإسلامية بالفارسية تحت كلمة Rubàr

إلى أن يقول . « ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان ، لأن الموازين على نسبة واحدة في أعداد المتحركات والسواكن وتقابلها ، موجودة في طباع البشر ، فلم يُهَجَّر الشعرُ بفقدان لغة واحدة وهي لغة مُصر . . فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مُصر ، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعراس . . . ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والثناء والهجاء . ثم قال في تقدير هذا الشعر بعد أن ذكر أن الكثير من المستحليين للعلوم يستنكرون لهذه الفنون . « وهذا إنما أتى من فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه ودوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات في فطرته ونظره . . . »⁽¹⁾

وهذه الملاحظة العميقة للفيلسوف

العظيم ابن خلدون ، مازلنا نشاهد آثارها إلى يومنا حيث إن الكثير لا يقدرون الشعر الملحون ، لا شيء إلا لعدم معرفتهم لطرقه وأساليبه ، بل للغته بمعنى أنهم لم تحصيل لهم الملكة التي يشير إليها ابن خلدون . وكل من حصلت له يتذوقه ويعجب به ويقبل عليه

هذا وإن نظم الشعر باللغة العربية العامة وُجد في كل عصر وكل قطر ، إلا أن أهل الأندلس والمغرب فاقوا غيرهم في هذه الناحية ، وذلك أنهم بعد أن اهتموا إلى التحرر من أوزان العروض القديمة الضيقة ، واخترعوا الموشح⁽²⁾ الذي له بحور خاصة ، أخذوا ينظمون بعد ذلك في أوزان تشبه الموشح ، ولكن بلغتهم العامة ، وهو ما يسمى بالزجل . وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً للكلام على هذه الأزجال عند أعراب المغرب وعند

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ط . بيروت 1961 ص 1124 - 1125 .

(2) اطر عروص الموشح في محلة « الثقافة المغربية » للمؤلف عدد ص .

العلماء المعاربة الذين صحبوا السلطان
أبا الحسن المريني إلى تونس ، وهم
الذين شوقوه إلى التوجه إلى فاس للأخذ
عن علمائها . وهو يعلم أن شأن هؤلاء
مع الأعراب شأن وأى شأن ، فلا
ملامة عليه في تلك العبارة .

ثم ذكر أن هذا الشعر المستحدث باللغة
الحضرية الفاسية (استفحل فيه كثير
منهم ونوعوه أصافاً إلى المزدوج والكازي
والملعبه والغزل)⁽⁸⁾ وقد أورد أمثلة
منه لشعراء من أهل تارة ومن أهل
زرهون . وقال بعد هذا : «وأما أهل
تونس فاستحدثوا في الملعبه أيضا على
لغتهم الحضرية إلا أن أكثره ردىء ولم
يعلق بمحفوظي منه شيء لرداءته » .

موضوعات الملحون :

إن الموضوعات التي يطرقها أشياح
الملحون يمكن أن نقول عنها من أول
وهلة ، إن سائر النواحي التي نعتادها
في الشعر العربي الفصيح نجد لها
مقابلا في الملحون ، فقد نظموا في

أهل حواضر الأندلس والمغرب ، وأتى
بأمثلة من ذلك يظهر منها أن شعر
الأعراب ، وإن كان بلغة عامية ، فهو
لايزال قريبا من الأساليب العروضية
الخليلية ، كالتزام قافية واحدة في
القصيدة وشطرين في البيت . أما
زجل الأمصار فابتعد شيئا ما عن هذه
الأساليب . وذكر ابن خلدون كيف
«استحدث أهل الأمصار بالمغرب فتأ آخر
من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح ،
نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه
عروض البلد»⁽¹⁾ .

وذكر أن أهل فاس أقبلاوا على النظم
على هذه الطريقة ، وكان له هنا
عبارة يراها البعض كأنها تنقيص من
أهل المغرب حيث قال : «وتركوا
الإعراب الذي ليس من شأنهم»⁽²⁾ .
وليس معنى هذا أنهم لا علاقة لهم بالإعراب ،
وإنما مقصوده أن النظم في هذه الطريقة
لاشأن فيه للإعراب ، وإلا فهو يعلم
أن شيوخه الذين أخذ عنهم وهو شاب
بتونس قبل قدومه على فاس ، هم

(1) ابن خلدون ، المقدمة ص 1160 بيروت 1961 .

(2) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة ص 1162 بيروت 1961 .

لتشعر الغنائى بسائر أنواعه من وصفه
للطبيعة فى قصائد تسمى الربيعيات ،
أو تحمل أسماء مختلفة كالعرضة ،
وكالرياض ، وكالصَّبُوحى ، وكالديجُور ،
أى الليل ، وكالفجر ، وكالذهبية أى
غروب الشمس ، ونحو ذلك ، ونظموا
فى وصف محالس الأنس والمرح مع
التعرّض لذكر محاسن الفاتنات فى
قصائد تحمل مثل هذه الأسماء : النزهة ،
والزهو ، وشَعْمَانَة ، والغَزَال ، والمزَيَّان ،
وحمهور البنات ، والفصّادة والحجّام .
وتسمى بهذين الاسمين الأخيرين القصائد
التي يكون موضوعها وصف الحفلات
التي كانت تقام بمناسبة الفُصْد .

وكثير من قصائد هذا النوع التي
موضوعها وصف الحمال تُعرف باسم
من أسماء النساء ، كرينب أو فاطمة ،
حتى إنك لاتكاد تجد اسم امرأة لاتوحد
قصيدة أو عدة قصائد منظومة فيه ،
على أن عددا كبيرا من القصائد التي
تُعرف باسم امرأة هي من باب السوع
العرامى الذى يعبر فيه الشاعر عن
عواطف صادقة ، ولا يكون وصف الجمال

إلا عَرَضًا وليس هو المقصود بالذات .
والقصائد الغرامية تحمل أسماء كثيرة ،
مثل المحبوب ، والمعشوق ، والجار ،
والمرسول ، والجافى ، والهاجر ،
واللأيم ، والمرسم أى الحى أو المكان
الذى يسكنه المحبوب ، والشمعة حيث
يُشبه احتراقها وذوبانها وصفرتها بصفات
العاشق الولهان الذى لاتنقطع دموعه ،
ويحترق فؤاده وتذبل سجنته . وقد
انفرد كثير من الشعراء بأسماء خاصة
للقصائد التي عبروا فيها عن هيامهم
بمحبوبتهم ، مما لا يمكن استيعابه .

ونظم شعراء الملحون الخمریات والقصائد
فى ذلك ، تسمى الدالية ، والكأس ،
والخمرية ، والساقى ، والساجى ،
والخمارة ، وقد برع فى هذا النوع
الأدبى جل كبار الشعراء كالشيخ الجبالى ،
والسّى التهامى المدغرى ، وسيدى قُدُور
العَلَمى ، والكندُوز ، والجاج إدريس
الحنش . ، وغيرهم . وأكثر الشعراء
ينظمون فى هذا الموضوع لإظهار براعتهم
حتى إننى أحصيت نحو الستين ساقيا
لثلاثة وثلاثين من الشعراء .

أما الهجاء فقد برعوا فيه وتفوقوا .
ويسمونه «الشَّخْطُ» ، وهو «الدَّقُّ»
عند أهل مراکش . وإذا كان شعر
المدح لم يحفظ لأن فائدته مقصورة
على المادح والمدوح ، فإن الهجاء لهم
به ولوع ، ويرون فيه الشعر الصادق ،
فإنه غالبا ما يصدر عن غضب وتأثر ،
وذلك أنه كثيرا ما تقوم نزاعات بين
أشياخ الملحون حول قضايا ترجع لفنهم
وتؤدى إلى مساجلات ومناقضات مما
يدفعهم إلى الهجاء . وقد حفظت قصائد
كثيرة ممتازة في هذا النوع الأدبي ،
وهي تحمل أسماء مختلفة ، منها «الدَّعَى» ،
أى الذى يدعى المعرفة والتفوق وهو
دون ذلك ، ومنها المظموس ، ومنها
ما يحمل اسم القافية كالضادية والواوية
مثلا . ومن أشهر القصائد الهجائية
«قصر العنان ، الشَّاوى» ، وقد ابتكر
العرابى وبريسول فى مساجلاتهما معاً
جديدة مقتبسة من الحروب البرية
والبحرية فسموا قصائدهم المهرار .
(المدفع الكبير) ، والقرصان ، أى
السفينة الحربية التى كان القراصنة
يغيرون بها على أعدائهم . وسمى الغرابلى

إحدى قصائده بالغطَّاس قبل أن يُحترع
ويُعرف .

وقد باغ ولوعهم بالهجاء لدرجة أنه
لاتجد قصيدة إلا فى ماقل ، باستثناء
كلام السى التهامى المدغرى وسيدى
قدور العَلَمى ، لا يحتمها صاحبها بهجاء
: خصومه ولو بإشارة خفيفة ، فإذا
أطال فذلك ما يسمى «بالزُّرب» ،
ويعنون بذلك أنهم يحيطون إنتاجهم
بزرَب من الشوك فلا يستطيع أحد من
المعادين الجاحدين الاقتراب منه ولا خرق
ساحته ، ورغم كل هذا فإنهم لا يحبذون
الهجاء الشخصى ، أى الذى لا يكون
سببه خلافا فنيا أو مساجلة ، وإنما
مجرد هجو ناتج عن عداوة مثلا ، ومثل
هذه القصائد يطلقون عليها اسم «فصيحة»
وهي لا تُقبل ولا تُحفظ . ويعاملونها
معاملتهم لقصائد المدح ، ويرون أن
فائدتها شخصية ، ولا تعنى إلا القائل
ومن قيلت فيه .

وينظمون كذلك فى الرثاء ويسمونه
«العزَا» ، أو «العزُو» إلا أن القصائد
فى هذا النوع بما أنه لا يغنى بها فإنها
تضيع ولا تحفظ ، وإنما نجد بعضها

في الكنائش القديمة مثل رثاء المنصور
السعدي لسيدى عبد العزيز المغراوي .

وزيادة على هذه الأنواع التي توجد
في الأدب العربي القصص ، فقد امتاز
الشعراء الملحنون بطرق مواضيع إما لا توجد
مطلقا في الشعر العربي القديم أو الانتاج
فيها كان ضئيلا وضعيفا .

من ذلك ، النوع المسرحي الذي
مع الأسف لم يلهموا إخراجه في شكل
تمثيلي حقيقي ، وإنما بقي في طوره الموسيقي
المحض ، وإن كنت أرى أنهم اقتبسوا
هذه المحاورات والمواقف المسرحية التي
نجدتها في القصائد التي نظمت في هذا
النوع من الألعاب التي كانت تجري بفاس
وبمراكش أيام عيد الأضحى ، وتسمى
الفراجة أو بالشيوخ ، حيث تعرض روايات
هزلية يقوم بتمثيلها أشخاص معروفون
بإتقان أدوار خاصة .

وهذا النوع الأدبي يسمى عندهم ترجمة
والمواضيع التي يطرقونها متنوعة ، لكن
أكثرها هو ما يسمى « الحراز » ، حيث
يصورون شخصا يحب امرأة ويحاول

الاتصال بها ، فيأتي في صور مختلفة
ليحصل على ثقة بعلمها الذي يمعنها ويحزها ،
لذلك يسمى الحراز ، فيصده ولا يترك
له مجالا حتى يوفق إلى المجيء في صورة
ينخدع فيها الحراز ، فيترصل العاشق
إلى مرغوبه .

ومنه أيضا القصائد التي تسمى
« الضيف » وهي تصور محبوبا يأتي
عند محبه متنكرا في صورة من الصور ،
ويطالب منه « ضيف الله » ، وتقع
بينهما محاورات ثم ينكشف له أنه
حبيبه جاء عنده في غفلة من الرقباء .
ومنها القصائد المسماة « القاضي » ،
حيث يصور الشاعر أنه يحاكم محبوبه
عند القاضي ويقدم حجج محبته وغرامه
حتى يقضى له الحاكم بأنه محق في
دعواه .

وتارة يكون موضوع القصائد في
هذا النوع المسرحي مفاخرة ما بين أشخاص
كالعربية والمدينة ، أي البدوية والحضرية ،
أو كالأمة والحرّة ، أو كالعحوز والسنّة ،
وهكذا ، أو بين أشياء كأزهار ونحوها .
والقصائد في هذا المعنى تدعى « خصاما »

ومن المواضيع الطريفة في الملحون الرحلات الخيالية ، وهم يصورون أنهم يوجهون طائرا ، إما لزيارة مكة والمدينة شوقا إلى تلك البقاع المقدسة ليصف المراحل التي يمر بها إلى أن يصل إلى الحجاز ، أو يوجهونه إلى الحبيب أو إلى الأصدقاء في بلد بعيد وفي كل هذه الأحوال توصف الطرق والمارل التي يمر بها الطائر ، والقصائد المنظومة في هذا النوع تحمل عادة أسماء الورشان ، والحمّام ، والمرحول ، والطلعة ونحوها

ومما يمتاز به الملحون أيضا ، وهو شبيه^[١] بالرحلة من جهة وصف البلاد أو أحياء مدينة من المدن ، مايتخيلونه من أن المحبوبة تركت عند حبيبها حاجة كحلي أو نحوه كتذكّار ، ثم ضاعت له^[٢] فأخذ يبحث عنها وتسمى عادة هذه القصائد باسم الشيء الضائع^[٣] «كالخلخال» ، «والدمليح» أي السوار ، «والدوّاح» و «المقياس» ، وهو السوار كذلك ، «والسالف» ، ويعنون به ضفيرة من شعر المحبوبة .

ومن هذا النوع كذلك قصائد رمزية يشبهون فيها المحبوب البافر الهاجر بحيوان كان يألف المنزل ثم هرب وتلف ، فيقوم الشاعر بالبحث عنه كذلك . ومثل هذه القصائد تسمى «الطرشون» ، وهو الباز الصغير ، «والعزال» و «الطير» ونحو ذلك

ولشعراء الملحون براعة في الشعر العكاهي . والمواضيع التي يطرقونها في هذا هذا الباب كثيرة ومتنوعة . وتحمل القصائد الهزلية عادة مثل هذه الأسماء : «الزردة» و «الضمانة» و «الفار» و «الطحين» وغير ذلك .

ويختص الشعر الملحون بنوع يسمى عندهم «الجفريات» ، وهو التسبؤ بالحوادث المستقبلية . والواقع أنهم يتحدّثون هذا الأسلوب كمطية للنقد السياسي متحدين لهذه العاية إشارات ورموزا يدركها المعاصرون ويفهمون مغزاها . وأكبر من برز في هذا النوع : الفقهاء العميري . وكان أيام المولى عبد الرحمن ، وله عدة قصائد جفرية منها اللامية (وكثير من قصائد هذا

النوع تحمل اسم القافية) . وقد ورد
في هذه اللامية هذا البيت :

داك الولد المهجول

أصله من أناضول

الفرخ يشبه أخواله

فلما ثار المولى عبد الحفيظ على أخيه
المولى عبد العزيز ، أخذ الناس يقولون
إن الفقيه العميري غنى في هذا البيت
المولى عبد العزيز ، لأن أمه سر كسيية
جاءت من بلاد الأناضول بتركيا .

ولما هزمت فرنسا سنة 1940 في الحرب
الأنخيرة ، أخذ الناس ينتسخون قصيدة
جفرية لأحد شعراء مراکش يدعى الموقت ،
كان يعيش في أوائل هذا القرن وتسمى
« الزاوية » (أى قافيتها زاي) ، تعرض
فيها للاقتصاص من الفرنسيين والتنبيه
بهزيمتهم

وتوجد كذلك قصائد سياسية نظمت

مناسبات وطنية كالقصائد المسماة

« التطوايات » حول حرب المغرب مع

إسبانيا سنة 1859 — 1860

وقصائد حول فتح تونس بارت لمصر ،

وحول دخول الفرنسيين لوجدة . وقد
نظم الشعراء كذلك في مساندة الحركة
الاستقلالية أيام النضال وأشهر من
برع في هذا الباب الشاعر الملمم الشيخ
العيسوي الفلّوش من أهل فاس رحمه الله
وكل الشعراء المعاصرين نظموا في
التنويه بجهاد محمد الخامس فمدس الله
روحه ، ووارث سره جلالة الحسن
الثاني نصره الله .

وينظمون في الأغاز ويسمى عادة
هذا النوع « السولان أو السؤال » ،
وهذا النوع مطية لإظهار البراعة في
الاطلاع على معلومات عن أشياء غريبة
يستمدونها من اتصالاتهم ولارمتهم
لبعض العلماء ومن مطالعة كتب العجائب
والغرائب .

ولهم قصائد تعاليمية ينظمون فيها
التوحيد والسميرة النبوية والمنازل الفلكية
ومثل هذه القصائد الأنخيرة تسمى
« ترحيل الشمس » ، ومن نظم في
ذلك المغراوي من القدماء والحاح أحمد
الغرابلي من المحدثين .

ومن المواضيع التي نظم فيها بعضهم ما
يسمونه بالقصائد « الحسبية » تسمية

للشئ بنقيضه ، وهى من باب رجوع
الشيخ إلى صباه ونحوها ، وهى من
الشعر الذى لا ينشد إلا فى بعض مجالس
اللهو أو بين جماعة من الناس ارتفعت
من بينهم كل كلفة .

وامتاز كذلك شعراء الملاحون بالنظم
فى موضوع لا نعرفه فى الأدب العربى
القديم ، وهو موجود فى الأدب الغربى
وهو مسخ القصائد (ويسمى بالفرنسية
مثلا Parodie) . وذلك أنهم يعمدون
إلى قصائد جدية معروفة ، ويقلبون
موضوعها إلى الهزل والسخرية . وكثيرا
ما يحولونها إلى النوع الحسى المشار
إليه آنفا . ومن اشتهر فى هذا النوع
من شعراء الملاحون أحد شعراء أحد
مراكش كان يدعى أحمر الرأس من رجال
أوائل هذا القرن العشرين ، ومنهم
الفقيه الرراى من أهل فاس ، وكان
يقطن مراكش .

وأهم نوع برز فيه شعراء الملاحون
الشعر الملاحى « الأبوية » ويسمونه
« العروات » . والحقيقة أن القصائد
التي موضوعها حروب المسلمين مع الكفار

ليست هى كل الشعر الملاحى فى الملاحون
فهناك كذلك قصص « أبوية » تتعلق
بسير الأنبياء والأولياء تتخللها كثير
من الخوارق . ومن أشهر شعراء العزوات
والقصص الملاحية سيدى عبد العزيز
المعراوى وله فى ذلك المؤودة وجريز
والشدادية والشباب الغسانى وغيرها ،
ومسهم سيدى مبارك أبو الأطباق وقد
كان له أثر على شعراء الملاحم .

ومن آثار سيدى مبارك أبو الأطباق
غزوة الصياد بن سلامة المخرومى
والإسرائيلية والراحة ، وتسمى كذلك
غزوة أبيص ابن صلصال ، ويقصد
بالراحة هنا شفاء سيدنا على كرم الله
وجبه من رص ، وله فتوح افريقية
وغير هذا من القصائد الرائعة فى هذا
الموضوع الخيالى أما سيدى محمد
ابن يحلف ، وهـ كذلك من شعراء
الملاحم ، ومن قصائده الرهيب (الراهب) ،
و « الصيافة » ويعنى بها ضيافة رب
العزة لعباده ، وقصة « الشباب مع أبى جهل »
و « أبويزيد البسطامى مع رهبان الدير »
وغيرها كثير ، وقد كان يعيش فى أواخر

القرن الحادى عشر الهجرى وأوائل
الشانى عشر : وهو يؤرخ قصائده .
وما وقفت عليه من كلامه مؤرخ ما بين
1095 ، 1120 هـ

وقد كاد ينعدم هذا النوع ، إذ لم
ينبغ فيه بعد هؤلاء الشعراء إلى أوائل
هذا القرن أحد ، إلا ما كان من قصيدة
أو قصيدتين تعرف لبعض الشعراء
وكأنهم كانوا يتعمدون النظم فى الغزوات
والقصص الملحمية ليبرهنوا على براعتهم
وقدرتهم . فمن ذلك « النباش » للشيخ
الجيلالى مشير و « الصالحية » لسيدى
عبد السلام الزفرى ، و « العيوانية »
للسى الكبير ابن عطية ، و « الكهف »
للشيخ غانم القصرى ، و « النمرودية »
للخرايلى . وفى أوائل القرن أحيا هذا
النوع الشيخ المكى ابن القرشى فنظم
فيه الشئ الكثير « كالعاشقة مولاة
التاج » و « جمجمة » و « البغدادية »
و « اليوسفية » و « الشدادية »
و « الشريفة » وسيدوك النصرى .
وقد كان رجال الاستعمار أيام الحماية

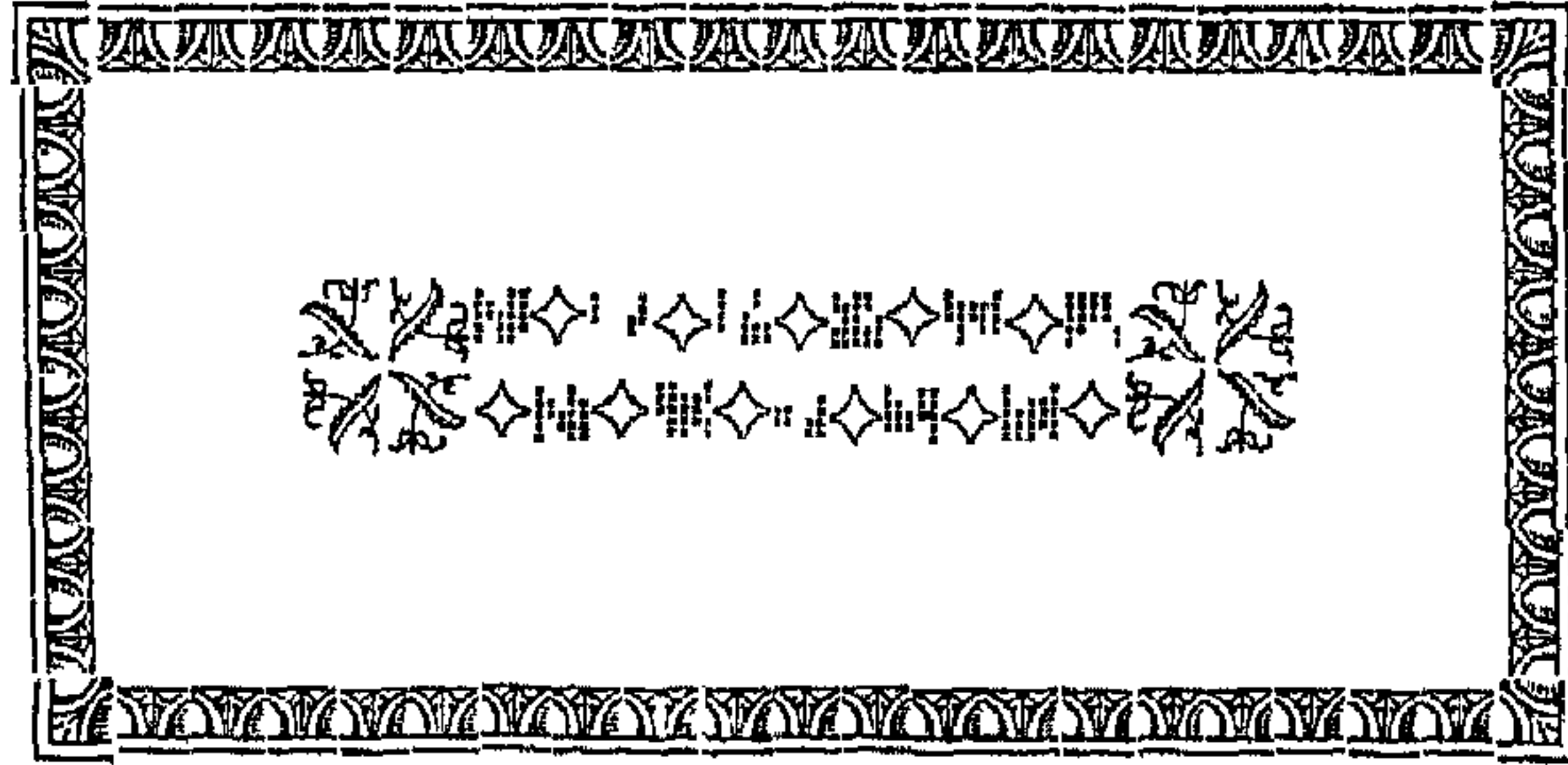
يمنعون إنشاء هذه القصائد فى الأسواق
وكان المراقبون إذا تقدم لهم أحد
« المدّاحين » يطلب الإذن فى السفر
للتجول فى المدن والقبائل قصد ترويح
وضاعته أول ما يسألونه عنه هل يحفظ
العزوات ؟ فإن أجاب بالنفى أعطى
الإذن وإلا مُنع ، لأنهم كانوا يخشون
بعث العاطفة الرومانية والدينية فى النواحي
التي كانت ما تزال بعيدة عن أثر
الدعوة الاستقلالية .

هذه نظرة وجيزة عن جانب من هذا
الفن البديع ، وإننى أهتم به ، وأجمع
الإنتاجات التي أبدعها الأشياخ المغاربة
ونعنى بهذا التعبير الشعراء منذ نعومة
أظفارهم ، وجمعت من القصائد خمسة
آلاف فصيده ، ومن الشعراء خمسمائة
شاعر ، ووصفت أسس عروضه ،
ومصطلحاته ، وجمع من ذلك كله
مؤلف ضخم ، يحتوى على عشرين
جزءا ، أخذت الأكاديمية المغربية تنشره
وسيفهر ، إن شاء الله تعالى ، جزؤه

الأول بعد شهر ، وقدم له صاحب الجلالة
الحسن الثاني ، نصره الله ، برسالة
سامية ، أوضحت قيمة هذا العمل ،
وقدره تقديرا يشرفني ويشرف الأكاديمية

فجراه الله خيرا عن الثقافة والعلم .
وشكرا لكم على حسن استماعكم ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد القاسي
عضو المجمع من المغرب



في انصواب والخطأ في النحو والأسلوب للكنوز تمام صان

للصواب

والخطأ زاويتان. نلاحظ
إحداهما ترتبط بصناعة

النحو ، والأخرى تتعلق بأسلوب
الاستعمال اللغوي ، أي أن لإحداهما فنية
والثانية اجتماعية فأما من وجهة النظر
الأسلوبية الاجتماعية فالصواب ماوافق
الشائع في الاستعمال والخطأ ما ند عنه . ولا شك
لدى أصحاب هذه النظرة أن القاعدة ضابط
مستنبط من كلام العرب ، وأن استعمالات
العرب سنة متبعة تستند إلى سلطان العرف
وأن بين الصابط الذي يصعبه النحاة وبين
السنة المتبعة التي يفرضها العرف وفاقاً في الأغلب
الأعم من الحالات ، وخلافاً في حالات
أخرى هي الأقل بالنسبة إلى ما يقابلها في كلام
العرب.

والقاعدة تاختص لتقلب العلاقات بين
عناصر السياق وما يصاحب هذا التقلب من
تغير في مباني اللغة ، ومن ثم تكون القاعدة
وصفا لهذا التقلب ، ولكنها ليست
قانوناً يسنه النحوي بما أعطاه العلم من

سلطة يشرع بها للغة ، ولا معياراً يحدده
هذا النحوي ليلزم أصحاب اللغة ومستعملها
مهما كان هذا المعيار منسجماً مع تقلب
العلاقات السياقية . نذكر إذاً أن تكون
القاعدة معياراً في يد النحوي ، وإن وجب
لها أن تكون معياراً في يد معلم النحو ، معنى
ذلك أنه يطلب إلى النحوي أن يقول : العرب
تقول كذا ، وتقدم هكذا على ذلك ،
وترفع هذا وتنصب ذلك الخ ولا يقبل إلا من
المعلم أن يقول : يجب كذا ويجوز كذا ويمتنع
كذا فأولى للباحث (وقد كان النحاة باحثين
في لغة العرب) أن ينظر إلى مشكلة الصواب
والخطأ من زاوية اجتماعية ترى في الاستعمال
سنة متبعة ، وأولى بالمعلم أن ينظر إلى المادة
اللغوية من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال
فإن وافقها كان صواباً وإن خالفها كان
خطأً ، فالباحث يستنبط القاعدة بالمنهج العلمي من
مادة الاستعمال (المسموع) والمعلم يفرضها
بالمنهج التعليمي على هذا الاستعمال نفسه .

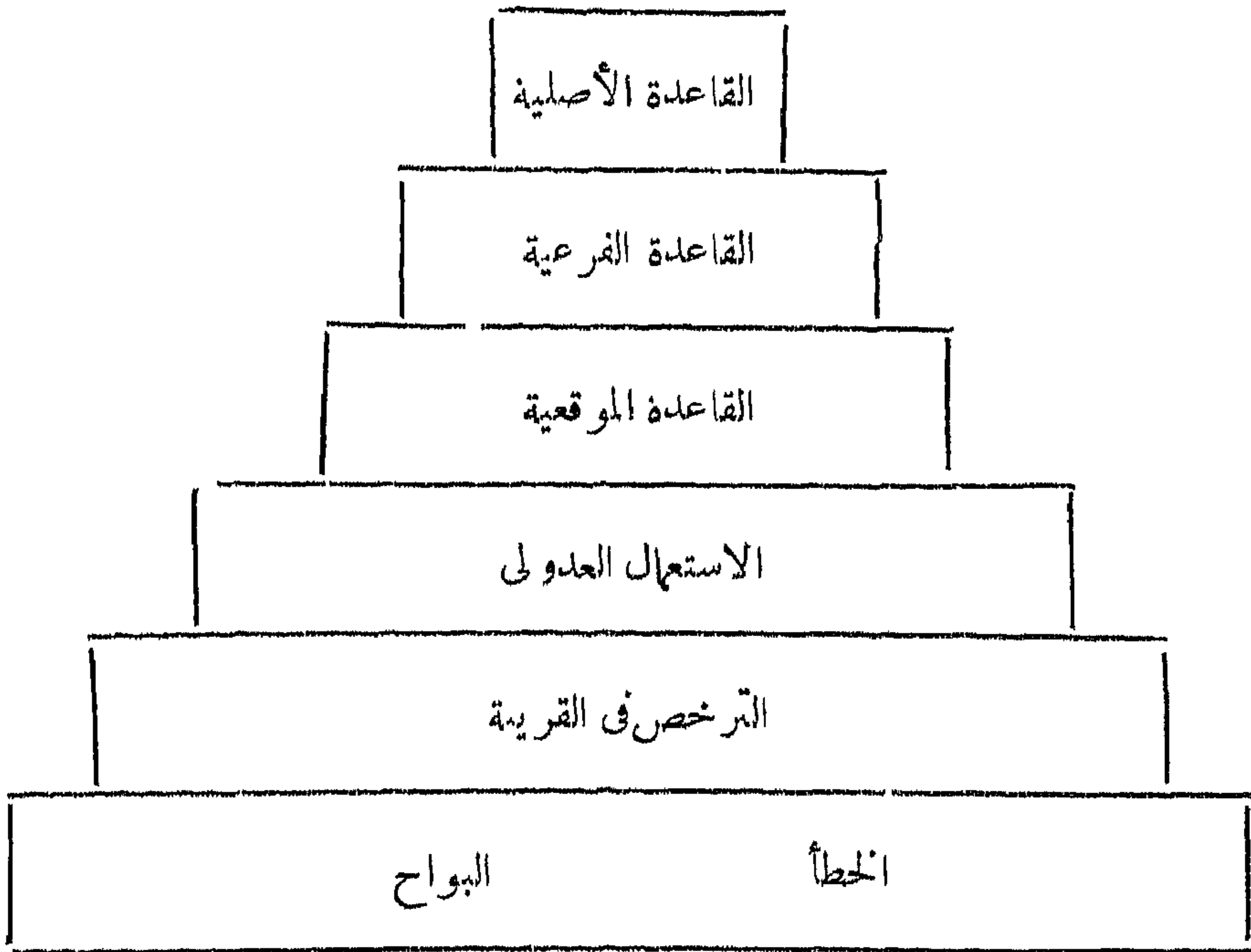
وصاحب السليقة كالباحث لا يهتم للقاعدة إذا عرفها أى قدر من الاهتمام ، مادام حدسه اللغوى (الذى نسميه السليقة) يرى الصواب فيما قيل وتلك هى القضية التى كانت مشار المشاركة بين الفصحاء والطاعين على العرب ، كالذى كان بين الفرزوق وابن أبى إسحق ، إذ قال الفرزوق له : « عاينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا » ويبدو أن النحاة وقدا كتمل فى أيديهم وصف بنية اللغة ، فرأوا صدق قواعدها ، أعجبوا منذ البدايه أشد الإعجاب بما استخرجوا من قواعد النحو ، ومن ثم دافعوا دفاعا غيورا (كما فعل ابن أبى إسحق) عن هذه القواعد ، وعن إطلاقها فى اللغة وتطبيقها على صورة تتسم بالشمول ، كما لو كان كل الاستعمال مسرحا للاطراد أو يبغي أن يكون كذلك

ولكن معترك اللغة أوسع من أن ينحصر لصواب النحو ، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة ، ليس أهمها طموح الأدباء والشعراء إلى الترخص والابتداع ، ولا ما وقع فيه النحاة أنفسهم من التماس الاطراد فى لهجات العديد من القبائل وقد علموا أن كل لهجة قيمية من هذه القبائل تستقل بطرقها الخاصة ، فلا يمكن أن يستخرج نحو واحد من صور استعمالية متعددة ومع هذا ليس من طبيعته اللغة (أى لغة) أن تسلم نفسها إلى قواعد كبرى لاتقبل الاستثناء ، ومن هنا كان من

صلب عمل النحاة أن يقيدوا كبريات القواعد باستثناء هنا ، واستدراك هناك وشرط فى موقع ثالث ، وأن يصوغوا قاعدة لكسر قاعدة أخرى ، أو يقعدوا لعدول عن الأصل ، يتقبلوا أسلوبا فصيحاً عدل به عن الأصل ثم يتأولوه بالتبرير والتأويل ثم كان عليهم أن يضعوا كل ذلك جنبا إلى جنب فى إطار نحو واحد ، وأن يعضوا الطرف عن التضارب بين قاعدة وقاعدة ، ويبرروا تجاوز القاعدتين المتضابيتين بأن إحداهما أصلية والثانية فرعية ، أو أن إحداهما مطلقة والأخرى قيد على هذا الإطلاق . وأخيرا كان عليهم أن يرتضوا بعض الخروج على هذه القواعد لأعراض أسلوبية ، وأن يرفضوا بعضها آخر لكونه شادا أو قليلا ، أو نادرا ولغة لحى بعيهم من أحياء العرب وأن يحكموا على ما خالف قواعدهم عدا كل ما سبق بأنه خطأ من الخطأ ، لاتقبل فيه شفاعاة التأويل ، ولا تبرره الشواهد القليلة

ذلك كان موقف النحاة من جانب ، والعرب الفصحاء من جانب آخر ، أما نحن فلما وقف نظرى آخر نشرح فيه تدرج الصواب والخطأ على مساحة تشمل الموقفين جميعا ، بدءا بالقاعدة المحكمة ، وانتهاء بالسنة المتبعة ، ولقد يمكن أن نقدم للكلام فى هذا الشرح برسم بياني عمهده تمهيدا حسنا لما ننو

أن نتقدم به من شرح ، وفيما يلي ذلك الرسم المذكور :



عبر ابن مالك عن ذلك بقوله « ولا يجوز الابتداء بالنكرة » ولكن هذه القاعدة تنفرع عنها قاعدة أخرى مستثناة منها ، وهي جواز المبتداء بالنكرة إذا أفادت ، وهذا ما عبر عنه هو أيضا بقوله « ما لم نفد » . ومعنى قوله « ما لم نفد » هو ما يهمل من عبارة أخرى نقول : « إلا إذا أمن اللبس » والسؤال الآن هو : كيف يتحقق أمن اللبس ؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بواسطة النظر إلى ما قدمه ابن مالك نفسه من أمثلة ، ليرى الطرف المختار التي تحقق بها أمن اللبس على رغم الابتداء بالنكرة ، وفيما يلي نورد أمثلة ابن مالك والتعاقب على كل منها .

فالقواعد الأصلية هي القواعد الكبرى كقواعد الاختصاص ، والافتقار والرتب المحمودة وتعلق الجار والمجرور ، ومطابقة المعت الحقيقي ، وباء الحملة من ركين ، وعود الصمير ، وامتناع الخلف عند عدم الدليل ، واجتناب ما يؤدي إلى اللبس الح فذلك كله من القواعد الكبرى في النحو العربي ، ولكن من القواعد الأصلية ما تنفرع عنه قواعد فرعية منشؤها واحد من أمرين :

(أ) الحرص على أمن اللبس .

(ب) المحافظة على أصل من أصول الصناعة

والأمثلة على ذلك كثيرة في النحو العربي نورد منها الطائفة التالية .

١ - القاعدة العامة : « المتبدأ معرفة » وقد

(أ) « عند زيد عمرة » إذا تأملنا هذا

المثال وجدنا الظرف مقدما على النكرة المرفوعة ومن المطلوب عند رؤية الظرف أو الجار والمجرور أو سماعهما أن نبحث لهما عن متعلق ولكن ليس في الجملة مع الظرف «عند» إلا النكرة «نمرة» وهذه النكرة جامدة لا تصلح لأن يتعلق بها ظرف أو محرور، ومن ثم يصرف الذهب إلى تقدير كلمه أخرى ليتعلق الظرف بها، فإذا قدرنا هذه الكلمة وحدناها واصفة للنكرة المتأخرة لفظا في الجملة ونحن نعلم أن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى، وأن هذه الكلمة المقدرة لا تصلح نعتا بسبب تقدمها على النكرة ولا تصلح حالا لتقدمها وارتفاعها وتنكير النمرة فلم يبق إلا أن تكون هذه الكلمة خبرا مقدما والنكرة مبتدأ مؤخرًا هكذا يتبادر المعنى إلى الذهب دون الدخول في مضايق تحليل نحوي شبيه بما قدمنا، وهكذا يؤمن اللبس، وتتحقق الإفادة التي قصدها ابن مالك.

(ب) «هل فتى فيكم» لا يحفل من يستعمل اللغة العربية أن «هل» أداة استفهام، وأن الاستفهام لا يصب على المفردات، وإنما يتجه إلى إسناد الجملة فوجب عندئذ

أن تكون «فتى فيكم» جملة بسبب دخول «هل» عليها وإذا كانت جملة فهي ليست فعلية لعدم وجود فعل في تركيبها، وإذا تكون حملها اسمية من مبتدأ وخبر وإذا كانت عبارة «فيكم» لا تصلح مبتدأ فلا بد أن يكون المبتدأ عنصرا آخر من عناصر الجملة، وليس في الجملة عنصرا آخر إلا كلمة «فتى» وهكذا أس اللبس فابتدئ بالنكرة.

(ح) «ما حل لنا» في هذا التركيب حرف أنى، والى إنما يدخل على الجمل وما قيل في «فتى فيكم» يقال في «حل لنا» لتشابه التركيب فيهما.

(د) «رحل من الكرام عندنا» التخصيص في مرحلة وسط بين التوكيد والتعريف وإذا كانت النكرة تعرفها الأداة أو الإضافة المحضة، فإنها يخصصها الوصف في التخصيص، كما في التعريف تضيق لعموم الدلالة التي كانت للنكرة، وليس إلا اختلاف بين التخصيص والتعريف في مجال تضيق عموم الدلالة إلا اختلافًا في الدرجة فقط. وإذا كانت الجمل بعد النكرات صفات فإن شبه الجملة يصدق عليه ما يصدق على

الحملة وهكذا تكون عبارة « من
« الكرام » قد وصفت « رجل »
فخرج بوصفه بها من ليس
كريما من بين الرجال ، وأصبح
مدلول « رجل » أضيق مما كان
لأنه أفادنا بالوصف قدرا من
التعيين جعله صالحاً لأن يخبر عنه
بالظرف أى أنه حين أمن اللبس
صح الابتداء بالكرة .

(هـ) « رغبة في الخير خير » إنما يكون
تعلق الظرف والمحذور بالمصادر
والمشتقات من أفعال وصفات
وواضح أن معنى تعلق الظرف
والمحذور بأحدهما الأمور يجعلهما من
تتمة معناه ، فلا يتم معناه إلا مع
تصور ارتباطهما به دون غيره وإذا
قلت « اشتريت ضيعة لأخي »
فإن المعنى يختلف باختلاف تعليق
الجار والمحذور فإذا علقنا المحذور
بالفعل فالمعنى أن الشراء كان من أجل
الأخ ، أما إذا علقناه بصفة محدودة
وإن الشراء يكون من الأخ بعد
أن كانت الضيعة ملكاً له ويترتب
على تعليق الجار والمحذور أيضاً
تصحيح للدلالة ما تعلقاً به ، ففي
قولنا « جلس زيد » عموم في معنى
الجلوس لا يعرف معه « أين »
ولا (« متى » ولا « لماذا » ولا

« كيف » جلس ، ولكن هذا
العموم في المعنى يضيق بقولنا :
« جلس زيد على الكرسي » وذلك
بالإجابة عن « أين » على الأقل
هكذا يكتسب الجلوس قدرا من
التحديد ، يصبح الفعل معه
أوضح مما كان ، وهذا ما يرد
أيضا على المصدر « رغبة » فلسنا
نجد كبير فائدة في عبارة .
« رغبة خير » برفعهما وتنوينهما
ولكن تصديق معنى الرغبة بواسطة
ذكر الجار والمحذور المتعلقين بها
يعطى الكلمة من التحديد في المعنى
ما يقربها إلى المعرفة وهنا يذهب
اللبس ، ، يصبح الابتداء بالكرة
محققا للمائدة

(و) « عمل برزين » إذا أضيفت الفكر
إضاهوه محضة إلى المعرفة اكتسبت
التعريف ، وإذا أضيفت إلى النكرة
اكتسبت التخصيص وقد عرفنا
منذ قليل أن التخصيص مرحلة على
طريق التعريف ، وأنه إن كان دون
التعريف أثرا في المعنى فهو صنو
للتعريف على أى حال وهكذا
تكون النكرة المخصصة بالإضافة
صالحه لأن يبتدأ بها ، لأن اللبس
معها مأمون والمعنى واضح .

٢- القاعدة العامة . « لا يخبر بالزمان
عن الجثة » وقد عبر ابن مالك عن ذلك
بقوله .

ولا يكون اسم زمان خبرا

عن جثة . .

والمعروف أن المقصود بالزمان ظرف
الزمان ، وأن المقصود بالجثة كل مسمى له
حرم مادي وربما كان السبب في عدم صلاحية
الزمان لذلك أن الخبر إذا كان صفة للمبتدأ
في المعنى فهو من جهة أخرى عين المبتدأ
في المعنى ، لأن الصفة من مقومات الموصوف
وما كان من مقومات الشيء عند « عين الشيء »
وإذا قلت . « الرحل قائم » كان القائم هو الرحل
أما إذا قلت . « زيد عندك » فإن العينية
ليست عين زيد ، ولأن مقوماته ، ولكنها
على الرغم من ذلك تتعلق بما هو من مقوماته
وهو « استقراره » فيكون التقدير : « زيد مستقر
عندك » أما إذا قلنا « زيد اليوم » فلا يمكن
أن يعد « اليوم » من مقومات زيد ، ولا يمكن
كذلك أن يتعلق اليوم بوصف يتبادر إلى
الذهن كما تبادر الاستقرار إلى العينية .
وإذا فلا وجه لتأويل ذلك ، ومن ثم يمتنع
التركيب من حيث يؤدي إلى اللبس .

ولكن هذه القاعدة العامة تتعرض عنها
قاعدة أخرى مستثناة منها ، ومشروطة بأمر

اللبس ويفهم هذا الشرط من قول
ابن مالك « وإن يعد فأخبرا » وهي
تتمة بيت الألفية الذي أشرنا إليه منذ قليل
ولأنما تكون الإفادة وأمر اللبس إذا أصحح
المبتدأ لأن يكون مضافا إليه والمضاف
من أسماء المعاني (كالمصادر مثلا)
وعندئذ لا يكون الإخبار بالزمان إخبارا به
عن جثته وإنما يكون عن معنى فإذا قلت
« الهلال الليلة » والمعروف أن الهلال جرم
يصدق عليه أنه حثه ، صبح التركيب ، لكن
على تأويل حذف مضاف إلى الهلال .
والتقدير « طلوع الهلال الليلة » أو ظهور
الهلال الليلة « ولا شك أن الطلوع والظهور
مصدران ، والمصادر معان لاحتث ، ومن
ها يكون الإخبار بالزمان في هذا التركيب
« عن معنى لا عن جثة وبهذا نصل إلى الإفادة
ونحقق أمر اللبس » .

٣ - القاعدة العامة : « أي الموصولة معربة »
وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله : « أي
كذا وأعربت » ومقتضى هذه القاعدة أنها
معربة في التراكيب التالية .

(أ) رأيت أيا قادم .

(ب) رأيت أيا هو قادم .

(ح) رأيت أيهم هو قادم .

ولكن لهذه القاعدة العامة الأصلية قاعدة أخرى فرعية مستثناة منها ، هي بناء «أى» إذا أضيفت وحذف أول ركني جملة الصلة وهو ضمير وقد عبر ابن مالك عن ذلك أيضا بقوله :
... ما لم تضيف

وصدر وصاحبها ضميراً نحذف
وهكذا تصحح «أى» مبنية في أمثال
التركيب التالي :

(د) رأيت أيهم قادم .

وبناؤها هنا على الضم فلماذا بنيت في هذه الصورة التركيبية دون غيرها ؟ إنني أتصور الأمر هنا أيضا راجعا إلى أمن اللبس ، لأننا لو تصورنا لصلة «أى» أن يكون الخبر فيها من مادة اشتقاقية متعددة ، نحو «رأيت أيهم ضارب» لاحتملت «أى» (إذا كانت معربة مع حذف صدر الصلة) أن تكون مفعولا مقDMA لاسم الفاعل «ضارب» ، واحتمل في الضمير المحذوف من صدر الصلة أن يكون «أنا» ، فيكون ما لنا إلى تقدير جملة ما يدرى معها ما إذا كانت «أى» مفعولا للفعل «رأيت» أو لاسم الفاعل «ضارب» وحكم النحو هنا كحكم المقه : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» ، أى أنه إذا كان بعض صور التركيب ما يمتنع كراه ، وببيت «أى» لأمن اللبس وليس هذا وارداً على المثال رقم (أ) السابق «رأيت أيا قادم» أو حتى «رأيت أيا ضارب» لأن ثمة من الأسباب ما يدعو إلى تقدير ضمير الغائب فقط في صدر الصلة ، وذلك بسبب قطع

أى عن الإضافة ، والتعويض عن الإضافة بالتنوين ، ثم ما في الاسم الظاهر «ضارب» من معنى الغيبة «لأنه في قوة ضمير الغائب وأخيراً لأن الفعل أقوى في طلب المفعول من اسم الفاعل . كل ذلك يرشح الموقع الذي بين «أى» و «ضارب» أن يحله ضمير الغيبة ، لا التلكنم ولا الخطاب . وبذا يؤمن اللبس ولا تدعو الحاجة إلى البناء .

٤ - القاعدة العامة «رتبة الخبر التأخر

عن المبتدأ» وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :
والأصل في الأخبار أن تؤخر . . .

ولكن هذه القاعدة العامة تخصصها قاعدة فرعية تقول بجواز التقديم إذا لم يترتب على ذلك لبس أو مخالفة لأصول الصناعة وقد عبر ابن مالك عن ذلك بقوله :

... وجوروا التقديم إذ لا ضرر

وهلوا الإمكان ذلك بنحو «قائم زيد» من حيث إن «زيد» معرفة و «قائم» نكرة والمعرفة أولى من النكرة أن تكون هي المبتدأ وهكذا يتقدم الخبر وهذا التأويل أولى من تأويل المثال بأن «زيد» فاعل قائم وقد أغنى عن خبره ، لأن هذا تأويل ضعيف عبر ابن مالك عن ضعفه بقوله :
... وقد

يجوز نحو فائز أولو الرشد

فقوله : «قد يجوز» دليل على ضعف التأويل وكذلك مثلاً له بنحو «قائم أبوه زيد» فلو جعلنا «قائم» مبتدأ للزم في «زيد» أن

يكون بدلا من الضمير ، ولو كان كذلك لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، أما لفظا فواضح ، وأما رتبة فلأن البديل متأخر عن المبدل منه في الرتبة لأنه تابع ولو أعدنا الضمير على متأخر لفظا ورتبه لنقصنا بذلك قاعدة أكبر خطرا لاتصالها بأمن اللبس من حيث ينبغي المرجع الضمير أن يتقدم على الضمير ، ليجبر ما للضمير من عموم الدلالة على مطلق غائب أو حاضر وكذلك مثلوا بنحو « أبوه مطلق ريد » ، للسبب المتقدم نفسه ، ونحو « في الدار زيد » و « عندك زيد لأحقه ريد » بالابتداء في الحالتين : والضرر الذي يشير إليه ابن مالك بقوله « وجوزوا التقديم إذا لا ضررا » يوجب حفظ رتبة الخبر من المبتدأ ولا يخلو هذا الضرر من أن يكون واقعا على أمن اللبس أو على أصل من أصول صناعه النحو ، فمن ذلك .

(أ) خوف تساوى احتمالات الإعراب بلا مرجح نحو : أحى صديقي .

(ب) خوف ضياع معنى زائد على الإسناد كالتأكيد أو الحصر نحو لزيد قائم وإنما ريد قائم

(ح) خوف تساوى احتمالي ممط الجملة (أهى اسمية أم فعلية) نحو ريد قام

(د) خوف إهدار قاعدة الصدارة نحو من أت ؟

فيعرب الأول في كل ذلك مبتدأ والثاني خبراً لضمحل أمن اللبس في المثالين الأولين ، وللحفاظ على أصول الصناعة في المثالين الأخيرين ولو انعكس الوصف لوقع ما عده ابن مالك من قبيل « الضرر » ، وما عبر عنه الشراح بقولهم ولو اشتبه الفاعل بالمفعول لراد الخطر وعم الضرر ، وقد جاء ذلك تعليقا على قولهم « صرب موسى عيسى وهو شبيه باختلاط المبتدأ والخبر في المثال الأول من الأمثلة المتقدمة .

لعل فيما قدمناه عاء لتوصيح المقصود بالقاعدة الأصلية والقاعدة الصريحة ، وعلاقة كل مهمل بالأخرى .

* * *

يأني بعد ذلك إيضاح المقصود بالقاعدة الموقعية ، ومعنى لفظ « الموقعية » أن هذه القاعدة ترتبط بـ « موقع » واحد لا تتعداه إلى غيره من المواقع ، وأن هذا الموقع قبل صدق القاعدة عليه ربما اتفق مع أصل عام من أصول الصناعة التي حردتها النحاة ، وربما خصص لقاعدة أخرى أصلية (أي عامه) أو فرعية فلو استصحب الأصل أو طمقت القاعدة لخرح الاستعمال عن السمة المتبعة ، ومن هنا تأتي القاعدة الموقعية (في هذا الموقع المذكور) لتفسر سبب العدول عن الأصل أو لتخرق القاعدة بقاعدة وإليك الأمثلة :

١ - الأصل في كلمة « ميران » هو « موران » على صيغته اسم الآلة . ولكن هذا الأصل

(أ) تنقل حركة المعتل إلى الساكن الصحيح قبله .

فإذا طبقنا هذه القاعدة وصلنا بتطبيقها إلى موقع تأباه أصول الصناعة النحوية والصرفية ، وهو موقع التقاء الساكنين وهذان الساكنان أولهما الواو التي سلبت حركتها بواسطة النقل إلى ما قبلها ، فلما سلبت حركتها سكنت ، وثانيهما الألف التي بعد الواو في الأصل «إقوام» هنا تأتي قاعدة موقعية أخرى تقول :

(ب) إذا التقى ساكنان حذف أولهما .
عندئذ تصبح الكلمة «إقام» كما في قوله تعالى : « وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة »
تم لنا أن نبقى على هذه الكلمة على حالها كما استعملها القرآن ، أو أن نضيف إليها تاء أخيرة للتعويض عن الواو المحذوفة لالتقاء الساكنين .

هكذا يعدل عن الأصل بقواعد فرعية موقعية تلخص اتجاهها استعماليا ذوقيا يسعى دائما إلى طلب الخمة ولكن القواعد الموقعية لم تقصر همها على تفسير العدول عن الأصل فقط ، وإنما تحطت معارضة الأصول إلى معارضة القواعد إذا ترتب على تطبيق إحدى هذه القواعد مخالفة أصل من أصول الصناعة أو سنة من سنن الاستعمال وإليك الأمثلة :

١ - القاعدة الأصلية أن يكون لآخر الكلمة ما يستحقه من علامة إعراب

لا يمكن استصحابه لما فيه من ثقل مرجعه إلى أن الكسرة والواو ضدان لا يتجاوران ومن هنا جاءت القاعدة لتفسير العدول عن الأصل أو لتصبطه ، يقال : إذا وقعت (لا حظ لفظ « وقعت » وعلاقته الاشتقاقية بلفظ « موقعية ») الواو ساكنة بعد كسرة قلبت الواو ياء .

٢ - أصل كلمة « كساء » هو « كساو » بدليل قولك « كسوت » ، و « كسوة » وأصل كلمة « بئاء » هو « بئى » بدليل قولك « بنيت » وكذلك « بنية » والعدول عن الأصل الذى هو « كساو » و « بئى » إلى المربع المستعمل « كساء » « وبئاء » تحكمه قاعدة موقعية تقول . إذا وقعت (قارن لفظ « موقعية ») الواو أو الياء متطرفة إثر ألف زائدة قلبت همزة .

٣ - أصل الفعل « قال » هو « قول » ، وقد حدث العدول عن هذا الأصل بقاعدة تقول إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً .

٤ - أصل كلمة « ديا » هو « دوا » وأصل « عليا » هو « علوا » ، بدليل « دوت » « وعلوت » وقد جاء العدول عن الأصل فيهما بقاعدة تقول . إذا وقعت (!) الواو لاما لصيغة « فعلى » وصما قلبت ياء .

٥ - أصل لفظ « إقامة » هو « إقوام » وقد حدث العدول عن هذا الأصل بحسب قاعدتين بيدهما رتبة محمودة ولا بد لأولاهما أن تطبق قبل تطبيق الثانية تقول القاعدة الأولى .

بحسب موقعه أو حركته بناء ، ولكن ولكن الكلمة إذا وقعت آخر الجملة المسطوقة الموقوف عليها وردت عليها قاعدة موقعية (أى ترتبط بموقع الوقف) وهى التى تعرف بقاعدة الوقف فانظر الرجل من قولنا « جاء الرجل » يستحق علامة الرفع بحسب القاعدة العامة للإعراب ، ولكنه عند الوقف عليه يستحق السكون بقاعدة تكسر تلك القاعدة وكذلك « أمس » من قولك « جاء الرجل أمس » مبنى على الكسر بأصل وضعه ولكن يسكن عند الوقف .

٢ - القاعدة الأصلية أن يبنى الماضى عند عدم اتصال الصماثر به على المتح فلا إذا وقع موقعا تتصل به فيه واو الجماعة طرأت قاعدة موقعية تبنيه على الضم ، وهذه القاعدة ترد على المضارع والأمر كذلك ، إذ تخرجهما عن مطابقتهما لقاعدة أصلية خاصة بكل منهما . وهكنا تقول ضربوا ، لم يضربوا اضربوا والأمر شبيه بذلك بالنسبة للياء فى تضربين ، واضربى وتعود القاعدة الموقعية فى مثل هذه الحالات إلى ظاهرة « المناسبة » أى جعل حركة لام الكلمة مناسبة للضمير المتصل .

٣ - القاعدة الأصلية أن يبنى الأمر فى أبسط صورته على السكون فإذا وقع بعده لهظ يبدأ بالسكن (ومن ثم يستحق همزة الوصل إذا بدئ به الكلام) وردت عليه قاعدة موقعية تخرق قاعدة البناء على السكون

وتجعل آخر الأمر مكسوراً لالتقاء الساكنين (إن كان الأمر صحيح الآخر) فتقول مثلاً . « اقرأ الدرس » بكسر لام الفعل . أما إذا كان آخره معتلاً فإن القاعدة الأصلية تبنيه على حذف حرف العلة وتلزم عين الفعل حركة مناسبة تدل على نوع حرف العلة المحذوف نحو ألقِ العصا ، وارعِ الأخوة وارحُ الله . ومعنى هذا أن حذف حرف العلة قاعدة أصالية وأن نوع الحركة على عين الفعل قاعدة موقعية .

٤ - القاعدة الأصلية أن يدل « فعل » وما كان من قبيله أى افتعل واستفعل إلخ على الزمن الماضى ولكن هذا الفعل إذا وقع بعد الشرط وردت عليه قاعدة موقعية يدل بحسبها على الاستقبال . ويدل المضارع بحسب القاعدة الأصلية على الحال أو الاستقبال وإذا وقع بعد « لم » دل على نفى الوقوع فى الماضى ، وإذا وقع بعد « لن » دل على نفى الوقوع فى المستقبل ، وإذا وقع بعد « أن » لم يدل وقوع أو عدمه وإنما يتفرغ للدلالة على مطلق الحدث الذى هو معنى المصدر الصريح .

وليس يارم فى كل قاعدة موقعية أن تصير عدولا عن أصل أو تخرق قاعدة أصلية أو فرعية فالقد يحدث أحيانا أن يتنوع مطهر العنصر اللغوى (أى المبنى) بحسب موقعه دون أن يكون أحد أنواع

السلوك أصلاً ويكون غيره فرعاً ، وإليك الأمثلة :

١ - إذا وقع لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم جاءت لامه مفخمة ، أما إذا وقع بعد كسرة أو بعد الياء فإن هذه اللام ترقق تقول وايم الله ، والله ، لكن بالله ، عبيد الله . وليس يدعى لأى من التفخيم والترقيق أنه أصل وأن الآخر فرع له .

٢ - إذا وقع ضمير الغيبة المتصل بعد فتح أو ضم ضمت هاؤه ، وإذا وقع بعد الكسرة أو الياء كسرت هاؤه ، فتقول لهم كتابهم وله كتابه ، ولهما كتابهما ، ولكن أشار إليه في كتابه ، وإليهما في كتابهما ، وإليهم في كتابهم وليس يدعى لأى من حركتي الهاء أنها أصل وأن الثانية فرع لها

٣ - إذا وقع ضمير المفرد العائث المتصل بين حركتين أشبعت حركته سواء أكان مضموماً أم مكسوراً أما إذا سبقه أو لحقه سكون فإن الإشباع يمتنع هذا في الكلام المرسل ، أما في الشعر فإن هذه الظاهرة تنحصر للورن تقول في الكلام : ضربه بالعصا (بالإشباع) بعد أن ضاق به ذرعاً (بالإشباع) ، ولكن لم يضربه (دون إشباع) وإن سخر به اليوم (دون إشباع أيضاً) وليس أحد الأمرين أصلاً ولا الآخر فرعاً .

وهكذا نرى القاعدة الموقعية هنا بموقعها الذي أعدت له فهي ليست أصالية لعدم عمومها ، وليست فرعية لعدم اتصالها بأمن اللبس ولا بمراعاة أصول الصناعة ، بل إنها على العكس من ذلك : إما تفسير للعقول عن هذه الأصول وإما كسر القاعدة الأصلية أو فرعية ولكنها في كل الأحوال انتصار للدوق الاستعمالي على الاستصحاب والاطراد ، وما يصاحبهما من قيود على طالب الخفة .

* * *

عرضنا حتى الآن لثلاث درجات من القواعد هي : القاعدة الأصلية ، والقاعدة الفرعية ، والقاعدة الموقعية ، ووضح أن أعلاها درجه هي الأصلية وأدناها الموقعية ويرتبط العا والوسط والدنو هنا باقساس مجال تطبيق القاعدة وعدمه فتعريف المبتدأ مثلاً هو أساس التركيب العربي للجماة الاسمية ، وأما تمكيره فاستثناء مشروط بفيد الإفادة ، وهو أمر يتحقق بأمن اللبس والحفاظة على أصول الصناعة فإذا تحقق شرط الإفادة أمكن الابتداء بالكرة مهما كان الموقع وأما تفخيم لفظ الجلالة فقاعده ترتبط بموقع خاص تأتي فيه اللام بعد فتح أو ضم ، والقاعدة المذكورة لا تتعدى هذا الموقع أبداً ، وإذا كانت الإفادة هي المبرر للقاعدة الفرعية فإن مبرر القاعدة الموقعية في جملة الحالات هو طاب الخفة .

عند هذه النقطة نصل إلى درجة من الصواب تأبأها القاعدة وترتضيها السنة

(أ) القاعدة تطرد وهذا الاستعمال
اختيار أسلوبى لك أن تأخذه أو تدعه .

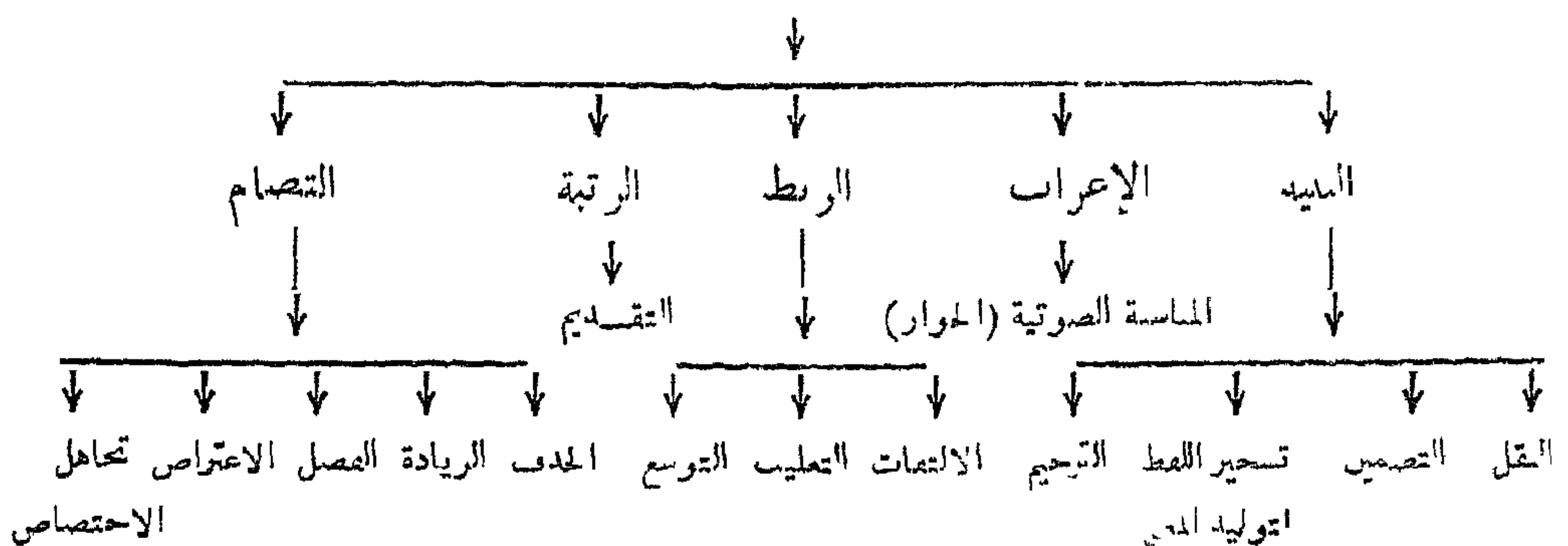
(ب) القاعدة مرهوبة بموقع خاص
بخلاف الاستعمال العدولى .

ينحى إلى أنى أطلقت الكلام فى تنظير
الاستعمال العدولى قبل أن أقول ما هو ، فليس
يعنى عن ترحه والاستشهاد له أن بوضع
المرق يده وبين القاعدة الموقعية .^{٢٠}
ولذلك يحسن أن أبدأ فى سرد الطواهر
العدولية واحدة بعد الأخرى قدر ما يسمح
الحية المخصص لما فى هذا البحث .

إن الدخول المناسب إلى مسرح الاستعمال
العدولى إنما هو من مدخل القرائن النحوية
اللفظية ويمكن باختصار أن سوق بيانا
تخطيطيا لهذه القرائن وأنواع العدول
التي تعرض لكل منها على النحو التالى

المتبعة أى أن معيار الصواب هما ليس
نحويا وإنما هو عرفى وهذا الصواب العرفى
غير النحوى يمثل عدولا عن أصل الوضع
أو أصل القاعدة ، ومن هنا يحلولى أن أسميه
« الاستعمال العدولى » ومع أن الاستعمال
العدولى يسعى أن يعد خطأ بمعايير القواعد
النحوية . لم يجد أحداً من النحاة قدمائهم
ومحدثيهم يصممه بوصمة الخطأ ، وربما
كان ذلك لتبوعه فى كلام أصحاب السابقة
بل لاقتضاره فى أسلوب القرآن والحديث
وربما قال قائل . ما بالك تورد الاستعمال
العدولى بعلاج خاص مادام فى جوهره
عدولا عن الأصل (أصل الوضع أو أصل
القاعدة) . أليست القاعدة الموقعية عدولا
عن الأصل كذلك ؟ ولماذا أفردت كل
مهما بعلاج خاص ، الجواب أن المرق
ينهما من وجهين

طرق العدول عن القرائن



وسنتناول كلا من ذلك على حدة .

١ - المنية

لمنية الكلمة أو عطف الجملة صور متعددة
للمخرج بها من أصل استعمالها وقد اعترف
هذه الصور وإن احتلقت وجهة نظرهم إليها
وصياغة المصطلحات لها ولعل أولى هذه
الصور بالذكر ما يلي

(١) النقل

اعترف العلماء بالنقل وسموه بهذا الاسم
في بابي العام والتمييز ، فالعلم قد يكون منقولاً
عن الفعل كيزيد ، أو الوصفية كالحال ،
أو المصدرية كمحصل . أو عن الدلالة على
مسمى آخر كبدر ، أو عن تركيب لاسم
كجاء الحق . والتمييز قد يكون منقولاً عن
الماعل نحو اشتعل الرأس شيباً وحسنت مستقرآ
ومقاماً . وقد يكون منقولاً عن المفعول نحو
أحست شعوره حماساً . وكذلك اعترف
الملاعنون في تعريفهم للمحار أنه نقل الكلمة
من معناها الأصلية إلى معنى آخر ينسب إليها
بعلاقة وقرينة

ولكن طاهره النقل سميت بأسماء أخرى
في أماكن أخرى غير بابي العام والتمييز والمحار
إدراكها سميت « الميابة » في باب المفعول المطلق .
وقد ينوب عنه ما عاينه دل

كحد كل الجند وافر ح الخلد
وسميت الميابة أيضاً في باب النائب عن
الماعل . وكذلك في القول بأن حروف
الحر ينوب بعضها عن بعض . أي ينقل بعضها
إلى استعمال بعض

أما نقل الأسماء إلى استعمال الضروف فلقد
أطلقوا عليه اسم « التصرف » فانظر
المتصرف « ما يرى ظرفاً وعبر طرف »
أو بعبارة أخرى . ما ليس ظرفاً بحسب
الأصل وإنما نقل إلى الظرفية واستعمل
استعمال الضروف

ولقد سميت طاهرة النقل « إغناء » في
مواضع أخرى . ولقد يقع الوصف مبتدأً
في معنى فاعله عن الخبر نحو أقام زيد ، وهذا
يعني الحال عن الخبر في نحو أكثر ما يعجبني
زيد حظيماً . ومثل ذلك إغناء أن وما دخت
علمه عن مفعولي طن وسدادها مسددهما . ومنه
في باب النداء ما رآه الفراء من أن « يا »
صممت معنى « أدعو » فعمات عملها وسدت
مسدها أي أعست عنها وفي كل مسده
الحالات عدل بالكلمة عن أصلها ونقلت
إلى استعمال آخر

وقد ينقل عطف الجملة الخبرية إلى الدعاء
نحو « بارك الله فيك » ، أو إلى التنزيه
نحو « تبارك الله » وقد ينقل النفي إلى
الدعاء نحو « لا فصح فوك » ، وإلى
الإنكار نحو « ما هذا ! » ، وإلى التقرير
نحو « ألسب بربكم » . وفي كل هذه
الحالات ومثاتها ينقل النمط التركيبي من
معناه الأصلي (وهو الخبر في الحالة
الأولى والنفي في الثانية) إلى معنى آخر
طاميه أو إلهامه لم تكن له بحسب الأصل .
(ب) التصميم

وإذا كان النقل عدولاً عن أصل المعنى
الوطيبي فإن التصميم عدول عن المعنى

الأسلوبى . فقد يجد المتكلم فائدة أسلوبية « ما » كالتأكيد أو الابتكار أو التلخيص والاختصار أو نحو ذلك فى إحلال كلمة محل أخرى ، وإعطائها معناها ، بحيث تغنى عنها دون أن يشعر السامع بأن شيئاً غريباً قد حدث ، انظر إلى قوله تعالى : « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » (فصات ١٧) وسرى أن الفعل « استحبوا » لا يحمل فى معناه المفرد معنى التفضيل ، ولكن وجود حرف الجر « على » نقله بالتصمين إلى هذا المعنى ، ففهم منه معنى « فضلوا » . ثم انظر إلى قوله تعالى . « وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » (الصرقا ٣٠) ، والمعروف أن « اتخذ » إذ تنصب معواين يعبر الثانى منهما عن معنى الانتفاع ، إذ تقول . اتخذت فلانا صديقاً ، أى إنتفعت بصداقته ، واتخذت فلانا خادماً أى إنتفعت بخدمته ، ليس هذا المعنى مناسباً لكلمة « مهجوراً » ، مما يفهم منه أن « اتخذوا » قد ضمن معنى مطلق التحويل الذى يعبر عنه بالمعل « جعلوا » أو « صيروا » . وانظر إلى قوله : « ومنهم من إن تأمنه بديار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً » (آل عمران ٧٥) وستعلم أن المعل « ما دام » من أخوات « كان » وأنه وهو ناقص لا يصلح للوقوع بعد أداة الاستثناء « إلا » وإذا لم يصلح ذلك فلا بد أن تكون « دام » غير ناقصة وأن تكون « ما » فقدت

معنى المصدرية واحتفظت بمعنى الظرفية تم صممت معنى « إذا » ، ويكون التقدير : « إلا إذا دمت قائماً عليه » على أن « قائماً » حال وأن « دمت » بمعنى « استمرت وثبت » . وانظر إلى قوله تعالى : « فتبسم صاحبك من قولها » (النمل ١٩) تجد أن صاحبك من كذا يفيد معنى السحرية (أى سحر من كذا) ، ولم يكن سلباً بضحكها سخرها من النماة وإنما كان متعجباً من قولها . وبهذا يكون « صاحبك » قد ضمن معنى « متعجباً » .

ويحدث حياء أن يصمم تركيب كامل معنى تركيب كامل (ليس من وجهة النظر الوظيفية كما ذكرنا فى الكلام عن الخبر والنفى وإنما من وجهة النظر الأسلوبية) من ذلك قوله تعالى : « يأيا الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » (آل عمران ١٠٢) . فلو أخذنا تركيب حملته النهى . « لا تموتن » على علاقته لكان المعنى نهياً عن الموت إلا على الإسلام ولكن الإنسان لا يهوى عن أمر لا حيلة له فيه ، والله الذى قضى الموت لم يجعل للإنسان فيه خياراً وإذا انتفى الخيرة لم يعد للنهى معنى .

ألقاه فى الميم مكتوفا وقال له
إياك إياك أن تبطل بالماء

وإذاً لا بد أن يكون النهى ذا معنى آخر . والمعنى المطلوب : « لا تصرطوا فى الإسلام

حتى تموتوا » ، وهذا التضمين شبيه بما
يقول به تشومسكي من مفهوم « البنية
العميقة » DEEP STRUCTURE

(ج) تسخير اللفظ لتوليد المعنى :

وهذه أيضاً صورة من صور العدول
عن أصل استعمال بنية اللفظ إلى مسالك
أسلوبية تصبح البنية معها صالحة للإيحاء
بمعنى لم يكن لها من قبل . وهذه الحيلة
الأسلوبية كانت وما تزال مسرحاً من
مسارح تفوق البلاغ . ويأتي هذا التسخير
بواسطة أمور منها جرس اللفظ ، أو
علاقاته الذهبية أو العاطفية ، أو انعكاسات
استعماله عليه ، أو علاقاته الفنية الخ .
فأما الجرس فقد رصد البلاغيون مبدأ
حكايه الصوت للمعنى أخذاً عن المصطلح
اليوناني onomatopoea

كما قسم النقاد الكلمات إلى شعريه وغير
شعريه ، وتكلم فقهاء اللغة عن الكلمات
المصيحية والحوشية . ودعا الشعراء الرمزيون
المحدثون إلى الاعتماد على إيحاءات الجرس
على حساب المعاني المعجمية للكلمات .

وأما تسخير اللفظ في إثارة معان عقلية
وأشهر ما يدل اللفظ عليه من ذلك لارم
المعنى كما يتضح في الكناية والتورية والحجاز
المرسل ففي الكناية والتورية معنى قريب
بحسب الأصل وآخر بعيد بحسب الاروم
العقلي أما في الحجاز المرسل ولارم المعنى

قد يكون غاية (السبب والمسبب) أو كمية
(الكل والبعض) أو مكاناً (الحاليه والمحلية)
أو زماناً (ماكان وما يكون) . ومن المعاني
العقائدية المعنى التضمني ، وهي وإن دنا كثيراً
من فكرة الكمية لا يعد منها لأنه أوسع
تطبيقاتاً إذ يشمل أحياناً ما يسمى حذف
المضاف في نحو : « حرمت عايكم أمهاتكم »
أي قرب خاص منهن .

ويمكن أن نعد من تسخير اللفظ لنقل
شحنه انفعالية من المعنى لم تكن له بأصل
الومع أن نورد اللفظ في المقام المناسب
وفي مجرى السياق الملائم . فكلمة الشرف
بحكم معناها الأصلي لا تثير انفعالا وإنما
تثير فكرة المتضاد مع الضعفه . ولكن المتنبي
حين ساط الأذى على الشرف في قوله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم
وحمل الدم عقاباً على السيل من الشرف
جعل البيت الشعري يحمل حملاً عاطفياً
عظيماً . وكأما « مثل » بمعنى « شبيه »
من الأسماء المهمة التي لا يدسب إليها
معنى معين إلا بعد الإضافة ، وما كان لها
أن تثير عاطفه أو تبعث انفعالا . ولكن
أبا فراس حين قال :

نعم أنا مشتاق وعندى لوعة
ولكن مثلي لا يذاع له سر

وضع الكلمة موضعاً جعلها تحمل من الاستعلاء ما لا قبل لها به في سياق عادى ذلك أنه جعل « متل » في موقع ضمير المتكلم (أى ولكسى) ولولا ما ذكرناه من ضرورة إضافتها ما حاءب معها ياء المتكلم ، تعبير أنى فراس هذا محاكاة للعبارة القرآنية . « ليس كمتله شئ » تم انظر إلى ما نقلته كلمة الأم في الحديد الشريف بواسطة تكرارها ، إذ حاء رجل الى الذى صلى الله عليه وسلم . فقال من أحق الناس بحسن صحابى ؟ قال أمك ! قال تم من ؟ قال . أمك ! قال تم من ؟ قال أمك ! قال : أمك وامتاه التوكيد الممطى في قول الشاعر

أحاك أحاك إن من لا أخاله

كساع لى الهيجا بغير سلاح
أما انعكاس استعمال اللفظ عليه فيسطيع أن يصرب له متلا عماره . « انا عربى » طالت هذه العبارة خلال التاريخ . وستظل إن شاء الله تثير في نفس العربى الاعتزاز بها لما وراءها من تاريخ رائع وتراث عى . ولكن هذه الكلمة فيما بين سنى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ فقدت الإحياء بهذا الاعتزاز وكان بعض العرب يهزولون منها إذا سئلوا عن هويتهم خارج بلادهم فلما وقعت

حرب العاشر من رمضان أصاب العرب ما أصاب نبي أنف الناقة الدين حجلوا من لقهم بين القمائل حتى قال فيهم الشاعر قوم هم الألف والأذنان غيرهمو ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا وقد يعكس على اللفظ دفاعه مدلوله أو يحشه أو قذارته فيصبح محظورا الذكر Taboo كالكلمات التى تدل على الخفن أو قصاء المحاحاب الطبيعية ونحوها لاحظ قوله تعالى « فلما تعشاها » . « أولامستم النساء » . « فأتوا حرتكم أنى شئتم » « أو حاء أحدكم من العائط » فهى كل ذلك أرورار عن كلمات أخرى تدل مباشرة على هذه المعانى

وأما العلاقات العمية التى تعين على استعمال نية اللفظ لتوليد المعنى الحديد فأتبرها علاقة المتشابهة التى تنشأ عنها الحجار الاعوى بأنواعه ولابد أن يشير إلى أن التعبير عن هذه العلاقة مرجه إلى اختيار المتكلم لا إلى نظام اللغة لأن أوجه الشبه قد تتعدد لاشئ الواحد إراء غيره من الأشياء التى تشبهه وكل متكلم يختار من هذه الأوجه ما يروق له ومن الأشياء المتشابهة لموضوعه ما يروق له أيضاً

و حسننا أن يضرب لذلك مثلاً قوله تعالى :
« والصبح إذا تنفس » ، فهذه الآية
اختارت من كل خصائص وقت الصبح
نسيمه الرطب الذي يصادف راحته في النفس
تبعث فيها النشاط والحيوة ولأن النشاط
والحفية حياة آثرت الآية أن تنسب الحياه
نسبة فنية إلى الصبح فجعلته يتنفس
وهكذا أصبح تسخير لفظ « التنفس »
لتوليد معنى جديد عايد هاهنا وسيلاتها
العلاقات الفنية للكلمة

وهناك علاقات فنية أخرى غير المشابهة
نلاحظها في استعمال السمية اللغوية لتوليد
آثار دوقية معينة لدى السامع أو القارئ
بواسطة ما يفهم عند استعمال السمية من
تعميم ، أو إبهام ، أو تأكيد ، أو مفهوم
مخالفة بعبه... إلخ . وأشهر وسائل ذلك التجريد
من أداة التعريف ، أو إلحاقها بالاسم ،
وإلحاقها بالوصف ، أو استعمال الموصولات
الحرفية المختلفة ، أو الصمير ، أو الموصول
الاسمي وغير ذلك ، والمعروف أن للمتكلم
مدوحة عن استعمال أي صورة من صور
النية المذكورة ، واختيار واحدة منها
يقع في نطاق الأسلوب لا القاعدة .

فن الوسائل لتوليد المعنى الفني من
الامط تجريد اللفظ من أداة التعريف ليؤول
إلى التفسير المؤدى إلى التعميم حيا وإلى

الإيهام حيناً آخر . انظر مثلاً إلى قوله تعالى :
« وجوه يومئذ مسفرة » (عبس ٣٨)
وفي هذا عدول عن عبارة « وجوه المتقين »
وقوله جل شأنه . « من قبل أن نطمس
وجوها فردها على أدبارها » (النساء
٤٧) عدولا عن « وجوهكم » ، وقوله .
سبحانه . « علمت نفس ما أحضرت »
(الانفطار ٥) عدولا عن « كل نفس » ،
وقوله ، تبارك اسمه « ولا تتحدثوا
أيمانكم دنحلا بينكم فنزل قدم بعد ثبوتها »
(السج ٩٤) عدولا عن « قدمكم » أو
أقدامكم » ، وأما قوله تعالى . « وتعيها
أذن واعية » (الحاقة ١٢) فهي شبيهة
بقوله : « علمت نفس ما أحضرت »
التي سبق إيرادها لأن كليهما للتعميم
والمعنى المعدول عنه وتعيها كل أذن
واعية . وفي قوله تعالى . « أم على فلان
أعمالها » (محمد ٢٤) المقصود المعدول عنه
« قلوبهم » وقد يعمل التكثير حيناً على
إفساح المجال لخيال السامع أن يسبح في
عباب الوهم المني ، فيصيف إلى الصورة
المنية الأدبية تهاويل من عنده ، ربما لم
ترد على خاطر صاحب النص . نلمح
ذلك في قول الشاعر .

ضربا كمو - ي تفرق جمعكم
وطارت ألف مسكوا وحاحم

وعادت على البيت الحرام عوابس
وأنت على خوف عليك التماثم

وإني لأغصى عن أمر كثيرة
سترقى بها يوما إليك السلام

وقوله .

ويوم كيوم البعث ما فيه حاكم
وقوله ولا عاصم إلا قنا ودروع

وإني في الحرب العوان موكل
بإقدام نفس لا أريد بقاءها
وربما تحقق توليد معنى الشمول بواسطة
المقترن بأداة التعريف إذا أفادت الأداة
استغراق الجنس . عندئذ يصبح المقترن
بالأداة صالحا لأن يضاف إليه لفظ « كل »
كقول الشاعر :

وكم من فارس لا تزدرية
إذا شخصت لموقفه العيون
أى « كل العيون » أو « العيون كلها » ،
وقوله :

أنا ابن التارك البكرى بشر
عليه الطير ترقبه وقوعا
أى « كل الطير » أو « الطير كلها »
وقد يوصل بالتعريف إلى معنى يشبه القصص
البلاغى ، كما في قول الشاعر :

وحقك أنت المنى والطلب
وأنت المراد وأنت الأرب

أى الذى لمنى غيره ولا طاب سواه
ولا مراد من دونه ولا أرب إلا هو .

وقد يوصل بالموصول (اسميا كان أم
حرفيا) إلى معنى الشرط . وآية ذلك
ما يعرفه في النحو من باب الإخبار بالذى
والألف واللام ، وما يتحتم في الخبر عندئذ
من الاقتراء بالفاء في المواضع داتها
التي يقترن جواب الشرط فيها بالفاء .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين كفروا
فتعسأ لهم » (محمد ٨) وقوله : « والرائية
والزاني فاجلدوا » (للنور ٢) وفي هذا
دليل على أن الجملة الاسمية هنا تشرى
معنى الشرط ، أى أن المعنى (من كفروا
فتعسأ لهم) ، وكذلك (من رنت ومن زنى فاحادوا)
وكذا يؤدى الموصول إلى التعميم أو التعظيم
أو التحقير . فمن قصد التعميم بالموصول :

تعر فلا شىء على الأرض باقيا
ولا ورر مما قضى الله واقيا

أى من أى قصاء فصاه الله ومن التعظيم
الضاربون الكيش يبرق بيصه
ضربا يطيح له سان المفصل

« من التحقير قوله تعالى : « والذي قال
لوالديه أف لكما » (الأحقاف ١٧) .

ومن استعمال النية استعمالاً عدولياً
« الترخيم » في باب النداء ، وهو في معناه
الأعم من قبيل الحذف سواء على لغة من
من ينتظر أم على لغة لا ينتظر . وقد غنى
النحاة . شرح هذه الظاهرة مما يعرض
للمنى أكثر عن عنايتهم مما يعرض للمعنى .
والذى يبدو لى أن الغاية من الترخيم هي
التمايح أو التذليل فهو شبهه باختصارنا
نطق أسماء أبنائنا في الوقت الحاضر وهذا
هو المعنى المولد .

٢ - الإعراب :

يتمثل العدول الأساوي الفنى عن
الإعراب في صورة مناسبة صوتية
بين الكلمتين المتجاورتين ، تستحق
كل منهما إعراباً يختلف عن إعراب الأخرى
ولكن صاحب النص يجعل حركته آخرهما
واحدة ، إذ يحتفل بالحرس أكثر من احتفاله
بالقاعده والنحاة يسمون ذلك « إعراب
الحوار » إلا إذا تمكنوا من تأويله إلى
قياس آخر متكافئ في أغلب الأحيان .
قالت العرب : « جحر صب خرب »

بحر « خرب » فنسب النحاة ذلك
إلى إعراب الحوار ، وقال ابن جني
إن هذا من قبيل النعت السببي الذى حذف
معه « اعل الصممه المشبهة » خرب » وقدره

« جحر ضب خرب جحره » ، فأفرغ
الشاهد من مضمونه النحوى بل ربما أفرغه
أيضاً من مضمونه الدلالي أيضاً لكن
ماذا عسى أن تبلغ رغبة ابن جني في
التأويل في قراءة « عاليهم ثياب سندس
خضر » (الدهر ٢١) بحر « خضر »
لحوارها للسندس . وكيف يؤول قول
أمرئ القيس :

كأن ثبيراً في عرائن وبله
كبير أناس في يجاد مزمل

بحر « مزمل » بسبب مجاورة البجاء .
لكن هذه المناسبة لا تأتى مع البحر في
جميع الحالات بل قد تتعدى ذلك إلى النصب
أيضاً بدليل : « إن هذان لساحران »
(طه ٦٢) ، وقول الشاعر :

إن أباهما وأبا أباهما

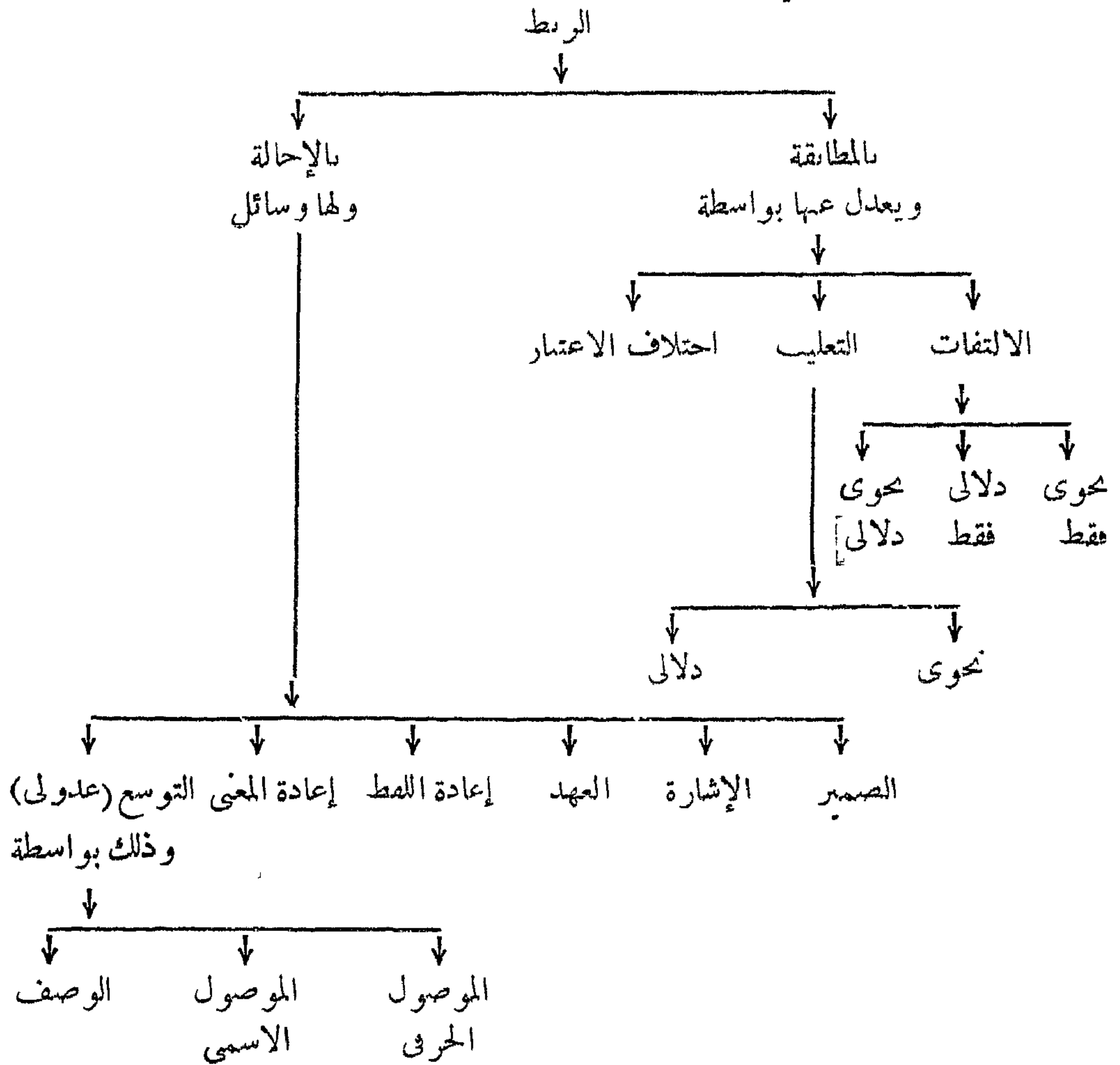
قد بلغا في المحمد غايتها
ولعل تجاور القوافي هو الذى جعل المرزوق
يفضل جرس القافية على اطراد القاعدة
في قوله :

وعض زمان يابن مروان لم يدع
من المال إلا — مسحتا أو مجلف

كل أولئك يعود إلى أصل واحد هو المناسبة
الصوتية التى تعد إجراء عدولياً فنياً عن
قرينة الإعراب .

* * *

٣ - الربط . الربط نوعان . ربط بالمطابقة ، وربط بالإحالة ولكل من النوعين طرق للعدول



(البقرة ٤٧) تم تأتى ظروف الرمان بعد ذلك متعلفه بلفظ « اذكروا » الذى فى هذه الآية على النحو التالى .

« وإد يحيياكم من آل فرعون » « البقرة ٤٩ »

« وإد فرقنا بكم البحر » (٥٠) .

« وإذ واعدنا موسى » (٥١)

« وإد آتينا موسى الكتاب » (٥٣)

فالاتيمات النحوى فقط (أى الذى يختلف معه الصميم والمدلول واحد) كقوله تعالى « وأرسلنا من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » (طه ٥٣) ، فالمنزول والمخرج هو الله تعالى وإن اختلف الصميم من الغيبه والتكليم . وأما الدلالي فقط مع اتحاد صورة الصميم ، فذلك كقوله تعالى مخاطب بى إسرائيل : « يا بى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين »

« وإد قال موسى لقومه » (٥٤)

« وإد فأم يا موسى » (٥٥)

« وإد ولما ادخلوا » (٥٨)

« وإد استسقى موسى » (٦٠)

« وإد فآثم يا موسى لن نصبر » (٦١)

« وإد أحدا ميثاقكم » (٦٣)

« وإد قال موسى لقومه » (٦٧)

تم يلتمت النص دلاليا لاحتويا (بسبب اتحاد صورته الصمير) فيقول للنبي والمؤمنين « ائتظمعون أن يؤموا لكم » (القره ٧٥)

وأما الالتفات الذي يتحقق له الخطابان المحوى والدلالي، فسحو قوله تعالى « فإن لم تعملوا ولن تعملوا فأتقوا النار التي وقودها الناس والحجاره أعدت للكافرين وسر الذين آمنوا » (القره ٢٤ - ٢٥)

فالصمير في « تعملوا » الناس الذين ناداهم في الآية (٢١) ، والصمير في « بشر » للنبي صلى الله عليه وسلم ، فاختلف الصمير والمدلول معا

والتعاب أيضا قد يكون نحويا وقد يكون دلاليا وقد اجتماعا في قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » ، « الإسراء ٢٣ » فالتعب دلالي في لفظ (الوالدين) لأن الأب لا يلد كما تلد الأم . وهو نحوي في « أحدهما أو كلاهما » لأن

الذي يناسب الاثنتين هو إحداهما أو كلاهما . ولكن الآية عابث المدكر على المؤنث وقد غلت في أولها المؤنث على المدكر وأما اختلاف الاعتبار فيتضح في قول النحاة واللغويين « قالت العرب » ، أو « العرب تقول » ، ثم قولهم في مكان آخر « قال العرب » أو « العرب يقولون » . فاختلف اعتبار العرب بين الجماعة والجمع . ذلك ما يعرض للمطابقه من عدول في أسلوب عن الأصل . ويأتي بعد ذلك ما يعرض للربط بالإحالة . أي بالإشاره إلى مذكور حقه أن يسبق ما يحيل إليه

ولا شك أن الأصل في الإحالة أن تكون بتكرار ، اللفظ ، وكل ما عدا ذلك إنما هو كناية عنه أو بديل منه وتكون الكناية صميرا أو إشاره أو أداء تعريف للعهد أو إعادة للمعنى بلفظ آخر الح ومع أن هذه الكنايات قد أشار إليها النحاة يحسن أن نشير إلى كل منها إشارة محملة مع شاهد نسوقه لها أو شاهدين ، لنصل من بعد ذلك إلى موضوع كلامنا وهو مظهر العدول عن الربط بالإحالة وهو الذي أطلقنا عليه « التوسع » بأقسامه المختلفة

قلنا إنه يستعنى بالصمير عن إعادة اللفظ ولكن الإصهار تحف به الشروط التي إذا لم تتحقق فلا بد من العودة إلى الإظهار الذي هو الأصل . إيهما سرطان أولهما مطابقة اللفظ ، وتانيهما مطابقة المدلول .

وإذا تخلف أحدهما لم يصح الإضمار .
فقد يتحد اللفظ ويختلف المقصود ، نحو
قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » (آل
عمران ٢٦) فالملك الأول ملكوت الله
والملك الثانى آتاه الله لمن شاء وأما الملك
الثالث فقد نزعه من شخص آخر غير
الذى رضى عنه فآتاه ملكا . وهذه الملاحظة
صادقة أيضاً على تكرار لفظ « من تشاء »
إذ المدلول مختلف فى الحالة الأولى عنه
فى الثانية . وهكذا لا يتأتى الإضمار
وقد يتحد القصد ويختلف اللفظ لغرض بيانى ،
وإذا لا يمكن الإضمار . وهذه قضية ستجرى
مناقشتها بعد قليل عند الكلام عن التوسع .
أما إذا اختلف اللفظ والقصد كلاهما ، فواضح
أنه لا يدعو داع إلى الإضمار ويصبح الإضمار
أمراً يأباه المعنى .

وقد يستغنى بالإشارة عن إعادة اللفظ
كما فى قوله : « ولباس التقوى ذلك خير
(الأعراف ٢٦) (واللباس هنا مصدر
لابس يلبس) ، وقد يستغنى عن إعادته
باستبدال (ال) بالإضافة نحو « وأما من
حاف مقام ربه وهى الممس عن الهوى
فان الجنة هى المأوى » (المارعات ٤٠)
أى مأواه وأما الربط بإعادة المعنى دون
اللفظ فيشهد له قوله تعالى : « دعواهم
فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام
(يونس ١٠) .

يصل الآن إلى التوسع ، وهو شائع
فى الأسلوب القرآنى ، قليل فى غيره .
من ذلك الربط بأل الموصولة (وهى غير
أل العهدية التى سبق ذكرها) ، وذلك
كما فى قوله تعالى : « قد نعلم إنه ليحزنك
الذى يقولون ، فاهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يحجدون » (الأنعام
٣٣) أى ولكنهم ، وكذلك . « وقال
الذين كفروا لرسولهم لمخرجكم من أرضنا
أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم
لنهلك الظالمين » (إبراهيم ١٣) ، ومثله
« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين » (الفرقان ٢٢) وكذلك
« وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين »
(الشعراء ١٧٣) أى مطرهم .

ومن ذلك أيضاً الربط بالموصول الاسمى
وهو من وما والذى الح ، فمن ذلك قوله
« قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم
بمن فيها » (العنكبوت ٣٢) أى به ،
وكذلك « إن الدين آموا وعملوا الصالحات
إنا لا نصيع أحر من أحسن عملا » (الكهف
٣٠) أى أحرهم . ومثله . « ومن يشاقق
الرسول من بعد ماتين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى » (النساء
١١٥) أى نوله شقاؤه وكذلك . « وضرب
الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئة يأتها
رقعها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله
فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما

كانوا يصنعون » (النحل ١١٢) أى بكفرهم وهذه الأخيرة تحتل المصدرية أيضاً . ومن الربط بالموصول الاسمى « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » (الأنعام ٧) أى لقالوا ، وكذلك . « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الدين كذبوا بلىقاء الله وما كانوا مهتدين » (يونس ٤٥) أى قد خسروا وكذلك . « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون » (الأنعام ٢٢) أى ثم نقول لهم ومن الاستعمال العدولى فى الربط مما يقع فى نطاق التوسع فيه أن يتم الربط بالوصف كما فى قوله تعالى : « الدين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والدين كهروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » أى فقاتلوهم وكذلك . « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعموا فى دياركم فقاتلوا أئمة الكهر لانهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » (التوبة ١٢) أى فقاتلوهم ، وأيضاً : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويصركم عليهم ويشف صدور أقوم مؤمنين » (التوبة ١٤) أى ويشف قلوبكم .

* * *

٤ - الرتبة .

فى المحو العربى بوعان من الرتبة ، أحدهما الرتبة المحوطة وتابيهما الرتبة غير المحوطة

وأما المحفوظة فلا يتناولها الاستعمال العدولى إذ لا سبيل إلى قبول تشويشها واحتسابه بين صور الاختيار الأسلوبى . فاذا ورد ما يظهر معه تشويش الرتبة المحفوظة فإن ذلك يعد من قبيل الترخص (وسيأتى بيانه) وليس من قبيل الأسلوب العدولى . ولهذا النوع من تشويش الرتبة المحفوظة شواهد من القرآن الشعر ، كقوله تعالى « ويصنع الفلك وكما مر عليه ملاء من قومه سخروا منه » (هود ٣٨) أى سخروا منه وهو يصنع الفلك . وكذلك قوله تعالى « وهى تجرى بهم فى موج كالبحال ونادى نوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى نوح ابنه وهى تجرى بهم . ومنه قول الشاعر :

ألا يا نحلة فى ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

أى عليك السلام ورحمة الله . فكل ذلك من قبيل الترخص عند أمن الاليس ، أى التصرف فى القاعدة عند التأكد من وضوح المعنى . وما دام تشويش الرتبة المحفوظة لا يعد أسلوباً واختياراً فلا دخل للدراسات البلاغية ولا الأسلوبية به ، لأنه ترخص كما سبق والرخصة مرهونه بمعناها لا تتعداه ولا يقاس عاها .

أما الرتبة غير المحفوظة فهى التى تسمح بالاختيار الأسلوبى تقدماً وتأخيراً ، وكل جهود البلاغيين فى هذا المجال تحصورة فى نطاق الرتبة غير المحفوظة . وليس كون الرتبة غير محفوظة أنه لا رتبة ، كما أنه ليس معناه

عدم حفظها إذا طرأ عليها ما يدعو إلى حفظها
واقدم يجب تقديم المبتدأ أحياناً ، فتتحول
رتبته غير المحفوظة إلى وجوب الحفظ وذلك
أن يكون المستدأ متلاً مما له الصدارة ، أو أن
يكون الخبر محصوراً بالح . وفي أحيان أخرى
يعرض ما يوجب تقديم الخبر وحتى حين
يجب تقديمه لابد من النظر إليه مع حسانه
مقدماً من تأخير « وأن أصابه أن يتأخر
ومعنى ذلك أن القول بحرية الرتبة أمر نسبي
يصادق عند عدم العارض فإذا لم يعرض
موجب لحفظها أو ما نفع منه . دحلب في طاق
الاحتيار الأسلوبي فيقدم المتكلم أى
العصرين أبلغ أثراً عند التقديم وأكماً في تسليع
ظلال المعنى المطلوب تسليعه والتقديم
والتأخير إما أن يكون مرتبطاً بعادة تركيبية
خاصة تمكنت من المتكلم ، وإما أن يكون
اختياراً متعمداً لإحدى طريقتين صحيحتين
من حيث النحو ، متفاوتتين من حيث الإحصاء
ممكنون المعنى فإذا كان التقديم عادة كان
مجال دراسته كل ما أدشأه الأديب . وإن كان
اختياراً كان مجال دراسته الموضوع الذى وقع
فيه الاختيار الأسلوبي المعبى

٥ - التصام

الجمام العربية نمط ترابط فيه الكلمات
بعضها مع بعض بسمات وأصول معينة منها
(أ) الذكر فالأصل في كل كلمة في
الجملة أن تكون مذكورة بحيث يعاد استنارها
أو حذفها على غير الأصل

(١) هذه عبارته وليست الآلة الكاتبة التى تقول

* صحر عليهم السقف من فوفهم *

(ب) الوصل . فالأصل في الكلمتين
الترابطتين في داخل الجملة أن تتحاورا
بلا فاصل . والفصل بينهما على خلاف الأصل
(ح) الوطيفة . والمقصود أن كل كلمة
في الجملة يباط بها أداء وظيفته سياقية خاصة
فإذا وجد في الجملة مالاتناط به وظيفته نحويه
بعضها فذلك على خلاف الأصل أيضاً

(د) الكفاهة فالأصل في كل كلمة
سبقت لبيان معنى ما أن تكون كافية لأداء
هذا المعنى

(هـ) الاختصاص وهو رابطة سياقية
تربط بين الكلمة وما تدخل عليه سواء
أكانت الكلمة تركيبية كالحروف والأدواب
والضمائر الخ ، أو معجمية كالكلمات المفردة
فهذه الكلمات المردة تلتصمها حقول معجمية
تجعل بعضها صالحاً للورود مع بعض الكلمات
الأخرى دون بعض . انظر مثلاً عبارته (فحر
عليهم السقف من تحتهم) (١) .

هذا هو الأصل ولو التزم الاستعمال به
لصح أن نسميه « الاستعمال الأصولي » ولكن
القرائن بأنواعها قد تعي بين حين وآخر عن
استصحاب هذا الأصل ، فيجعل الحذف
بديلاً للذكر ، ويجعل الفصل أو الاعتراض
بديلاً للوصل ، ويجعل الريادة بديلاً للوطيفة
ويجعل تجاهل الاختصاص بديلاً من مراعاته
وسمحاول فيما يلي أن نعرض باختصار للحذف
تم الريادة تم الفصل ، تم الاعتراض تم تجاهل
الاختصاص

(أ) الحذف :

الحذف عدول عن الذكر ، وشرطه أن يقوم دليل على المحذوف ، أو بعبارة أخرى أن يتم الحذف مع وجود القرينة الدالة على المعنى وقد يقسمون الحذف إلى نحوي تقصى بتقدير المحذوف فيه أصول الصياغة ، وبياني يستقيم بتقديره المعنى ويفهم بدون تقديره السياق . وكلا النوعين وارد عند التفكير في الأسلوب العدولي . ثم إن المحذوف قد يكون حرماً ، أو كلمة ، أو شطر حملة ، أو حملة ، أو كلاماً متصلاً طويلاً لا يستقيم المعنى إلا بتقديره وسأأتى لكل نوع من هذا بشاهد أو أكثر . مع المحافظة على عدم الإطالة

فمن حذف الحرف ما أجده في قوله تعالى « ولا على الدين إذا ما أتوك لتحماتهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا واعينهم تميص من الدمع حزناً ألا تجدوا ما يتمقون » (التوبة ٩٢) فهناك حرف عطف محذوف هو القاء ، إما إن تعطف « قلت » على « أتوك » فيكون الجواب « تولوا » . وإما إن تعطف « تولوا » على « قلت » فيكون الجواب « قلت » ولا مناص من تقدير القاء إذ تقصى به أصول الصياغة

ومن حذف الكلمة ما في قوله تعالى « وحملناه على ذات ألواح ودسر » (القمر ١٣) ، وسوغ الحذف أن انصفة حاصلة بالمحذوف ، إذ لا يوصف بهذه الصفة إلا السمية ، أصف إلى ذلك دلاله « وحملناه »

« تجرى بأعيننا » ، وعود الضمير إلى نوح ، وقصته مذكورة قبل هذا الشاهد

وأما حذف شطر الحملة فنه ما في قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتبه من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين » (يس ٤٥ - ٤٦) والمحذوف جواب « إذا » وتقديره « أعرضوا » ودليله قوله « إلا كانوا عنها معرضين » .

وأما حذف كلام طويل يقتضيه المقام فنحده في قوله تعالى : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن أحب إلى مما يدعونى إليه » (يوسف ٣٢ - ٣٣) أى وظل على استعصامه ولم يفعل ما أمرته . فنمدوا أمرها فيه وأرسلوه إلى السجن فلم يرجعه ذلك عن الاستعصام ، قال رب السجن أحب إلح . وهذا النوع الأخير من الحذف يكثر في القصص القرآني فيقع من القصة موقع الحركة على المسرح من الحوار فتستعي القصة عن تفصيلها كما يستغنى الحوار على المسرح عن تفاصيل حركات الممثلين . وتقوم الفرائض في القصص القرآني مقام عين المشاهد في المسرح : هذه تعين على فهم معنى الحذف . وذلك تعين على مشاهدته الحركة المسرحية . ۞

(ب) الزيادة

يسعى النحو إلى الكشف عن وظائف عناصر الحملة (المفردات) ، وتسعى

البلاغة إلى إيضاح دلالات الجمل ، ففضالة النحو المعنى الوظيفي ، وضالة البلاغة المعنى الاجتماعي أو المعنى العام. فإذا صادف النحو في الجملة عنصراً ليس له وظيفة «نحوية» عده زائداً في الجملة مادام لا يمكن أن ينسب إلى إعراب معين ، فيقال مثلاً : هذا فاعل أو هذا حال أو تمييز إلخ . وهذا الذي يعده النحويون زائداً لا يراه البلاغيون كذلك ، وإنما ينسبون إلى وجوده زيادة في المعنى ، لأن «زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى» كما يقولون . فالمرق بين «ما زيد قائم» ، أو «ما زيد بقائم» أن الثانية أؤكد من الأولى بسبب وجود الباء . وفيما يلي شاهدان على زيادة الحرف لتأكيد المعنى مأخوذان من القرآن الأول قوله تعالى : «وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الخروار وما يستوى الأحياء ولا الأموات» (فاطر ١٩ - ٢١) فقد زيد «لا» مع النور والخروار والأموات ، وذلك لتأكيد المعنى والثاني قوله تعالى . «مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً» (هود ٢٤) فالذي معنا في الآية هو شخصان لا أربعة بدليل قوله : «هل يستويان» ومعنى هذا أن الواو زيدت قبل الأصم وقبل السميع ، وأن المعنى «مثل الفريقين كالأعمى الأصم والبصير السميع» والواو زائدتان للتأكيد وبيان قصور أول الرجلين

لكونه بعاهتين تم تفوق الثاني لخلوه منهما ولو وضعه في مقابل الأول دى العاهتين .

(ج) الفصل

الأصل في الكلام أن يكون متصلاً والوصل هو الأسلوب الأصولي الملتزم بالآطر النظرية العامة للغة . ويترتب على ذلك أن الفصل أسلوب عدولي . وهو على نوعين : أحدهما نحوي والثاني بلاغي وأما النحوي فيفهم في حدود الجملة الواحدة من حيث حيلولته بين عنصرين متلازمين في الجملة أن يتصل أحدهما بالآخر وقد يكون بأحبي أو بغير أحبي والفصل بأحبي ممجوح مستثقل وهو موضع سخط المحاة كقول الشاعر :

سراة بنى أبي بكر تسامى

على - كان - المسومة العراب

فصل بين الجار والمجرور بما ليس من تنمة معناه أما الفصل بغير أحبي فهو اختيار أسلوب يبعد مسرحاً من مسارح الإحسان والإجادة ومنه قوله تعالى

«يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» (الأنعام ١٥٨)

إذ جاء الفصل بالفاعل بين المفعول وصفته الجملة ولو قدم الفاعل لعاد الصمير على متأخر لفظاً ورتبة ، ولو أخره عن الصفة لطال الكلام بين الفعل وفاعله المفرد ، ومن ثم يندر موضع الفاعل قلماً غير وثيق الصاه

بالفعل . أما الحذف بمعناه البلاغى فيكون بين الجملتين اللتين بينهما تمام الانقطاع كما يقول البلاغيون ، كما يكون فى مواطن انفعال المتكلم بالحواف أو العصب أو نحوهما فتمام الانقطاع كأن تقول . ما أحسن الدين والدينا إذا اجتمعا ، اللهم اجمعهما لنا فالأولى تعجب والثانية دعاء ولا يكون بينهما عطف . وأما المصطلح فى موافق الانفعال فالشواهد المرآية عليه كثيرة .

« ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعون ؟ » قال الدين حتى عاينهم المول ربما — هؤلاء الدين أعوينا — أعويناهم كما عويناه — تبرأنا إليك — ما كانوا إيانا يعبدون » (القصص ٦٣) وسأول بين الجمل نحو ف العقباب

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأهل إلهي من دون الله قال سبحانك — ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق — إن كنت فاتمه فقد عامته — تعلم ما فى نصى ولا أعلم ما فى نفسك — إناك أنت علام العيوب » (المائدة ١١٦) وصل لدفع التهمة « فإما ألقوا قال موسى : ما حثمت به السحر — إن الله سيطاه — إن الله لا يصالح عمل المفسدين » (يونس ٨١) وصل للدهشة وحذف الممثل .

« وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فىها عن دمه — قد شععها حبها —

بنا لئراها فى ضلال مبين » (يوسف ٣٠) فصلا للانعزال بمتعة الغيبة .

« ويذكر الذين قالوا : اتخذ الله ولداً . ما ليهم به من علم ولا آباءهم — كبر كلفهم تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » (الكهف ٤ ٥) فصل لإظهار الغضب من إفكهم وبتاتهم .
(د) الاعتراض :

الفرو بين الفعل بين المتلازمين وبين الاعتراض . أن الفعل يكون بما دون الجملة ولا يكون الاعتراض إلا بالجملة والجملة المعتزلة غريبة فى العادة عن السامع الأصلى للكلام . حتى لها لغرض من أغراض المعنى . والاعتراض كالفصل من حيث يسمى كلاهما إلى الأسلوب العدولى . وفيما يلى طائفة من شواهد الاعتراض ، نسوقها طاماً لإدراك العايد التى برمى كتل اعتراض إليها . قال تعالى : « تأيها الذين آمنوا لا تدحوا ربوب الله إلا أن يؤد لاكم إلى طعام غير فاطرين إياه (ولكن اذا دعتم فادحوا فادا طعمتم فانتسروا) ولا مستأنسين لحديث » (الأحراب ٥٣) فحري المول فى الآيه « غير فاطرس إياه ولا مستأنسين لحديث » ، ولأن الاعتراض جاء ليخفف وطأه النهى وبيان مداه .

وقال تعالى . « ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتهم فيقاتلوا خائبين (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » (آل عمران ١٢٧-١٢٨) ، فمجرى القول في الآية « ليقطع طرفا . . . أو يكتهم . . . أو يتوب عليهم » ، والاعتراض لبيان أن كل شيء يصيب الذين كفروا إنما هو بإرادة الله فقط .

وقال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللائي أربعنكم وأخواتكم من الرصاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد ساف إن الله عموراً رحماً » (النساء ٣٣) فمجرى القول في الآية

« وربائبكم اللائي في حجوركم من نسائكم اللائي دخلتم بهن . . . وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، وإنما جاء الاعتراض لعدم كفاية مفهوم المخالفة المستفاد من قوله « اللائي دخلتم بهن » فأكد الاعتراض هذا المفهوم .

بذا يتضح أن تحقيق معنى إصافي بواسطة الاعتراض مطالب في يجعل الاعتراض أسلوباً عدولياً ذا عايات أدبية .

(هـ) تجاهل الاختصاص :

سبق الإشارة إلى دور الاختصاص في إطار قرينة التصام . كما سبق القول

بأن للاختصاص حاسماً معجمياً أيضاً يتمثل في أن كلمات المعجم قبائل يتألف مع بعض ويكرر بعضها آخر فلا يتألف معه لما بين معنى هذا البعض وذاك من تعارض . وضرباً لذلك مثلاً بعبارة « فحر عليهم السقف من تحتهم » (١) .

والمقصود بالاختصاص السحوى أن بعض الكلمات لا يرد إلا مع ما تتحقق فيه شروط خاصة من الكلمات الأخرى ، وتشيع ظاهرة الاختصاص بين الحروف والأدوات حتى إنها تتحول في بعض الحالات إلى افتقار متأصل (أى بحسب أصل الوضع) إلى عنصر لعوى دى تتوسط خاصة بعيها وحروف الحرتدخل على الأسماء دون الأفعال ، وحروف الحزم تدخل على الأفعال المصارعة دون بقية الأفعال ودون الأسماء ، وهام حراً

وقد يدعو داع في أسلوبى إلى تجاهل اختصاص الكلمة بأختها ، وتدخل على غير ماتخص به والمعروف أن هناك مطابقة بين الموصوف والصفة في التعريف والتنكير ولكن اختصاص المكرة بالمكرة فيتجوهل في عدة مواضع من القرآن ، منها . * « ألقيا في جهنم كل كهار عييد مباع للغير معتد مريب الذى جعل مع الله إلها آخر » (ق ٢٤-٢٦) .

* « هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ من حشى الرحمن بالعيب وحاء بقاء ميب » (ق ٣٢-٣٣) ،

(١) هذه عبارة وليست الآلة الكريمة

فخر عليهم السقف من فوقهم *

* « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون . . » (الحديد ٢٣-٢٤) ،

* « ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه » (الهُمزة ١-٣) . فقد وصف الكفار في الآية الأولى « بالذي جعل » ، وصف الأواب الثانية « بمن نحشى » ، ووصف المختال في الثانية « بالدين » ، ووصف الهمزة في الرابعة « بالذي جمع » وقد سهل هذا أمران .

الأول . إضافة المكرة إلى لفظ « كل » في جميع الحالات

الثاني . وصف النكرة بالمكرة قبل وضعها بالمعرفة في جميع الحالات أيضا . وكلا الأمرين يعيد المكرة تخصيصا وقد سبق أن قلنا إن التخصيص صو التعريف .

وأما تجاهل الاختصاص المعجمي فلا يتم إلا مع استبدال العلاقة العرفية بين اللفظ والمعنى بعلاقة أخرى فية كما سبقت الإشارة عند الكلام على مبدأ « النقل » ، فإذا تم التجاهل على هذه الصورة كانت النتيجة هي المحاز . وفي قوله تعالى « أولئك الذين اشتروا الصلالة بالهدى » تجاهل الاختصاص الشراء بالسلع وللتعارض بين الشراء والصلاة ، وقد يأتي المعنى هذا التجاهل

أحيانا كما في المثال الذي سبق في أول كلامنا عن هذه الظاهرة في عبارة « فخر عليهم السقف من تحتهم » ، وعندئذ يستعصى التركيب على الاستعمال .

* * *

نصل الآن إلى مبدأ الترحص في القرينة عند أمن اللبس . إن الإدراك الإنساني قد لا تنبهه القرينة الواحدة ، والطبيب لا يستطيع تحديد نوع المرض من ارتفاع الحرارة فقط ، لأن من طبيعة القرينة أن تدخل في تحالف مع عدد من القرائن الأخرى يختلف نوعه باختلاف المدلول . وهكذا إذا انصم إلى درجة الحرارة قرائن أخرى معينه دل مجموع القرائن على مرض ما وإذا انصمت إليها قرائن أخرى دلت القرائن في مجموعها على مرض آخر وكذلك لا تستقل العلامة الإعرابية ببيان الباب المحوى ولو سيقت وحدها لبيانها لاختلط التفاعل بمائيد وبالمبتدأ وبالخبر . وهكذا كل ما استحق الرفع من أبواب النحو ، ولاحتاط المعمول به بكل ما استحق المصب ، واختلط الجور بالحرف بكل ما استحق الحر . لابد للنحو إذاً أن تتعدد قرائنه ليكون منها الإعراب والبنية والمطابقة والربط والرتبة والتصام والأداة ونغمة الكلام وسياق النص . ولا بد لكل باب نحوي أن يستدل عليه باثني أو أكثر من هذه القرائن ، لأن القرينة الواحدة - كما سبق - لا يستحور على انتباه

السامع ولذا يتم تعزيزها بأختها « أن تفضل
إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ». ويحدث
في الكثير من الحالات أن يتصاغر عدد من
القرائن على بيان المعنى ، وبعض هذه القرائن
قد يكون زياده على الصرورى منها ،
حتى يمكن القول في هذا البعض : « إن
المعنى هو الذى يقتضيه ولا يقتضى هو
المعنى » . وهذا القول واضح في إعراب
« قام موسى » إذ أن المعنى هو الذى اقتضى
الرفع مقدر بضمه ، ولا وجود للصمد
حتى تقتضى هي الماعل يد وهكذا أمن اللبس
حتى مع عدم الرفع وقد تكون القرينة موجودة
والتلف في النص ولكن المعنى يقتضيه أيضاً
فتصبح رائده عن المطاوع كما في « قرأ
الماعل ابدرس » إذ الماعل واضح والمفعول
واضح بدون الضمة في الأول والتمتحة في
الثاني . ههنا نقول إن المعنى اقتضى القرينة
وليس القرينة هي التي اقتضت المعنى
هو نصيب الماعل وروعه المفعول لطل الماعل
فاعلا والمفعول مفعولا على الرغم من ذلك
وقديماً رجعت العرب التوب ونصبت المسار
في قولهم « حرق التوب المسار » دون أن
يحتوي اللبس في المعنى . هكذا ترخص العرب
في التورية

وكل فرقة مما ذكرنا سابقاً حصصت
لترخيص على أسرة المصحاء ذوي السجية

وأفصح الكلام كتاب الله تعالى ومن بعده
أحاديث النبي ﷺ ثم شعر الجاهليين ثم من
بعدهم . وقد وردت طاهره الترخص في
القرائن عند أمن اللبس في كل هذه الأنواع
من الكلام على نحو ما نرى في الشواهد
التالية

١ - الإعراب .

(أ) قال تعالى

« لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
يؤمنون بما أمر إياك وما أمر من قبلك
والمفاهيم الصلاة والمؤمنون الركاك والمؤمنون
بالله واليوم الآخر أولئك سموتهم أجراً
عظيماً » (النساء ١٦٢) وقعت كاسمة
المفاهيم بين يرفوعين وسبعا الواو الدالة
على العطية . وكان العطف مستنداً لترخص
في الإعراب .

(ب) قال الشاعر .

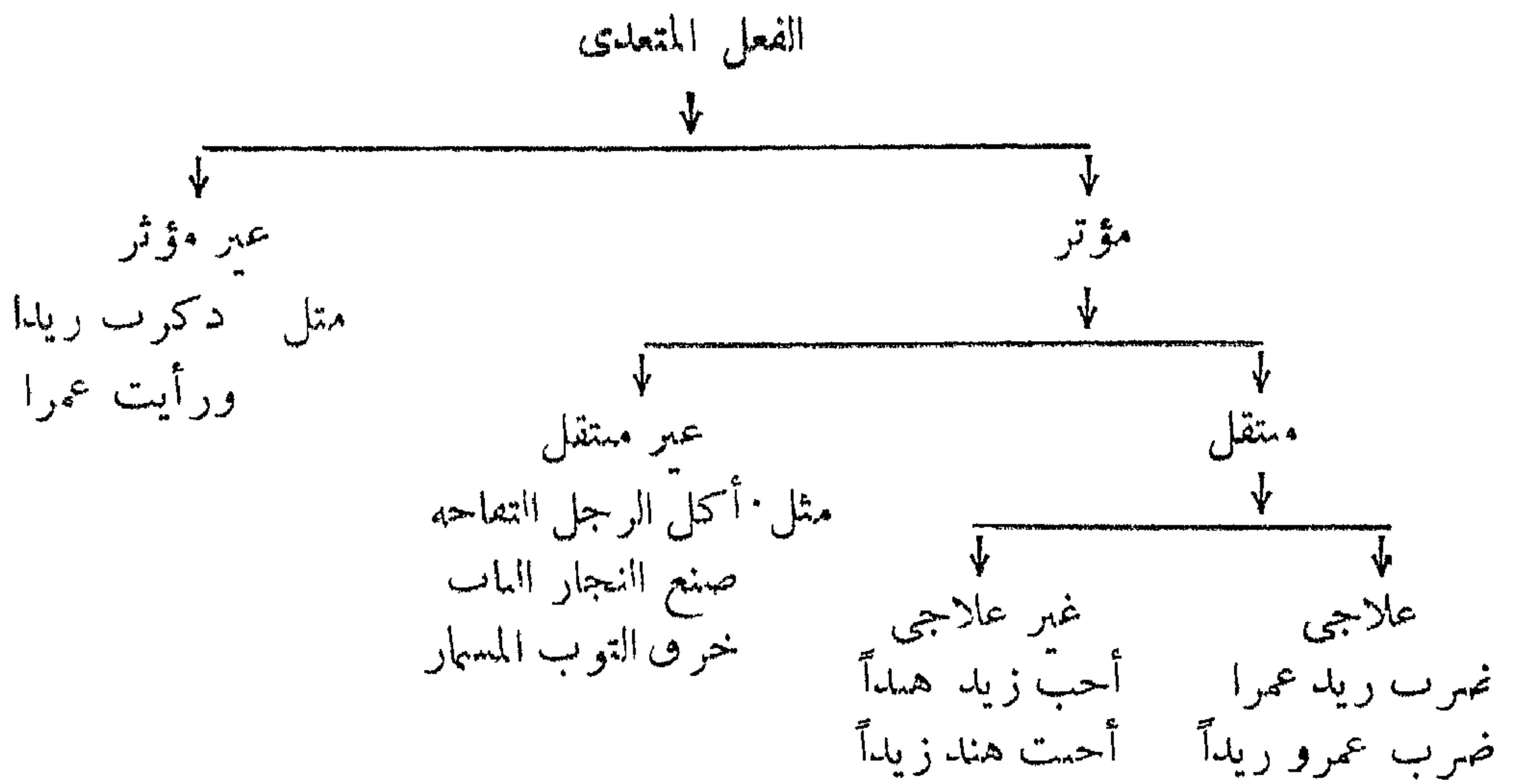
إذا اسود حشح الليل ولتأت ولتكس
خطاك حفا إن حراسا أسدا
لو كان لديا كاجتا « حراسا » و « أسد »
وأردنا بناء حميد اسميه لكانت « حراسا »
مستنداً لأنها معروفة . ولكانت « أسد » حبرا
لما فيها من معنى الوصف ويؤيد ذلك أن
القاعدة تقتضي بأنه لا يفصل بين « إن »
واسمها إلا بحرف الظرف أو الحار والمجورور
وعلم إدا أن « حراسا » في بيت الشعر المذكور
هي اسم « إن » فلم يبق لكامة « أسدا » إلا أن
تكون حبرا مع الترخص في الإعراب بسبب
أمن اللبس .

يتبادلا التأثير بإيقاع الحدث . وبيان ذلك

كما يلي .

(ج) قالت العرب : « خرق الثوب

المسمار » . والمفعول « خرق » فعل غير منتقل أى لا يمكن لمفعوله ومفعوله أن



وهما يحدث الترحص في الإعراب بسبب
أمن الابس

٢ - السببه .

ترخص القرآن في كاسه « سيناء »
فسمها « سيبين » وفي « إلياس » فقال .
« إلياسين » وجعل « ميكائيل » على صورة
« ميكال » و « مكه » صرها « مكه » وترخص
في صيغ المبالغة فاستحدثت من الكبر
« كُباراً » ومن العجب « عجاب » وفي صيغه
المصدر فجعل « كيداً » مصدراً للمفعول
« كذب » وفي صيغة المصارع من الافتعال
فقال « يهاتى » و « يهاتمون » إلخ . وترخص
الراحر في « الأهل » فقال « الحمد لله العلى
الأجل » ، وفي الحمام فقال : « أو العا مكة

وإذا كان الفعل غير منتقل اتضح الفاعل
من المفعول فأصبح لدينا فرينتان معويتان هما
الإسناد والتعدي وتعي كلتاها عندئذ عن
الإعراب إذا حدث فيه ترخص ويصح
الإعراب قرينة رائدة عن المطلوب إذا بقي
دون ترخص .

(د) قالت العرب أيضا « ححر

ضرب خرب » ححر الصبغ « خرب » على
الحوار هما يعود مرة أخرى إلى
الاختصاص المعجمي وقائل الكلمات وليس
بين الصب والحرا مبالغة معجمية كالتى
بين الححر والحرا أى أن الححر يمكن
أن يوصف بالحرا ولا يوصف به الصب
وهكذا تصح المبالغة المعجمية (أو
الاختصاص المعجمي إن شئت) قريبه على
التبعية تجعل الإعراب أمراً غير دى بال .

من ورق الحمى » ، وترخص الشاعر في
« كيف » فقال :

كى تجنحون إلى سلم وما ثرت
قتلاكمو ولظى الهيجاء تستعر
وحسبك من القلادة ما أحاط بالعق .

* * *

٣ - الربط :

وهاك أمثلة وشواهد على الترخص في
الربط :

(أ) قال تعالى : « وإن أطعتموهم إنكم
لمشركون » (الأنعام ١٢١) ، حذف الفاء
الرابطية من جواب الشرط ، لوضوح المعنى
بدونها بقرينة إيمانهم وهو قرينة خارجية ،
من خارج النص

(ب) قالوا : « مررت بالثرقفيز بدرهم »
أى منه ، فحذف الرابط ترخصاً لاختصاص
البرو القميز أحدهما بالآخر . ولذلك
لا يجوز « مررت بالعدو اصبع على الزناد »
إذ لا يمكن الجزم بصاحب الاصبع : أهو
المر أم العدو؟ .

(ج) قال تعالى : « واتقوا يوماً لا تجزى
نفس عن نفس شيئاً » (البقرة ٤٨) أى هيه
حذف الرابط لوضوح المعنى بقرينة الجراء
وعدم التناصر وهما من خصائص يوم
القيامة .

٤ - المطابقة .

وهذه شواهد قرآنية على الترخص في
المطابقة .

(أ) قال تعالى . « هذان خصمان
اختصموا » (الحج ١٩)

(ب) قال تعالى . « وظلت أعدائهم لها
خاضعين » (الشعراء ٤)

(ح) قال تعالى . « وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا » (الحجرات ٩)

(د) قال تعالى . « وهل أتاك نبأ الخصم
إذ تسوروا المحراب » (ص ٢١)

(هـ) قال تعالى : « فأتيا فرعون وقولا
إنا رسول رب العالمين » (الشعراء ١٦)

(و) قال تعالى . « قالتا أتينا طائعين »
(فصلت ١١)

(ز) قال تعالى : « السماء منمطر به ، كان
وعده مفعولا » (المرمل ١٨)

* * *

ه - الرتبة .

سبق أن ذكرنا أن تشويش الرتبة
المحفوظة لا يمكن احتسابه أسلوباً عدولياً ،
ولما يعتبر ترخصاً في قرينة الرتبة ، بخلاف
تشويش الرتبة غير المحفوظة ، إذ يعد اختياراً
أسلوبياً فيما تنوّد عنه طلال المعاني ومن
شواهد الترخص في الرتبة المحفوظة ، ما سبق

من قوله تعالى : « ويصنع الفلك وكأما مر عليه ملاً من قومه سخرُوا منه » (هود ٣٨) وذلك لأن جملة الحال رتبها التأخير في كل الحالات وتقدير الكلام . وكأما مر عليه ملاً من قومه وهو يصنع الفلك سخرُوا منه . ومثله قوله تعالى . « وهى تجرى بهم في موج كالحبال ونادى نوح ابنه » (هود ٤٢) أى ونادى نوح ابنه وهى تجرى بهم في موج كالحبال . ومن ذلك قول الشاعر :

لعن الإله وزوجها معها

همد الهنود طويلة البظر

وقوله :

ألا يا نخلة في دات عرق

عليك ورحمة الله السلام

* * *

٦ - التضام :

وهيما يلي شواهد على الترخص في قرينه التضام عند أمن اللبس .

(أ) « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » (يوسف ٨٥) أى لا تفتأ ، وحذفت الأداة من فعل لا يستعمل إلا مقترنا بها ، ولذلك احتفظ بمعناه عند حذفها لأن الفعل اقتضى الأداة

(ب) قال صلى الله عليه وسلم « إن مما يثبت الربيع يقتل أو يلزم » ، أى إن مما يثبت الربيع ما يقتل أو يلزم بالقتل ، أى يكاد يقتل

ذلك أن « من » في قوله « مما » تفيد البعضية وهى لا يعبر عنها بالأفعال (مثل يقتل) بل بالأسماء والضمائر (مثل « ما » المقدرة) .

(ج) قال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى « لا أبرح » ويقال فيه ما قيل في « تفتأ » في رقم أ .

(د) قال الشاعر :

ما أنت بالحكم الترضى حكومتته

.. .. .

أى « الذى ترضى » لأن « ال » الموصولة لاتضمام الأفعال وإنما تكون صليها صفه صريحة على حد قول ابن مالك . فعلم برغم ما قيل أن المقصود « الذى ترضى » .

(هـ) قال الشاعر :

ألا أيهذا الزاحرى أحضر الوعى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

اعتمد الترخص على قرينتين : الأولى أنه لا يقال : زجره يفعل ، وإنما يقال زجره أن يفعل ، والثانية وجود أن مع الفعل المعطوف وهو « أن أشهد » مما يدل على وجوب تقديرها مع الأول .

(و) قال الشاعر :

نحن الأولى فاجمع جمهور

عك ثم وجههم إلينا

أى نحن الأولى نتحدثك ، بقريته « اجمع

جمهورك ثم وجههم إلينا »

* * *

هذه المشاهدة المتقدمة تدل على ترخيص

المصحاء في فرائض الكلام على أمن اللبس

طالباً للختمه أو سعياً وراء الابتكار والإعراب

أو خصوصاً للصورة غير أن الترخيص

أدى درجاب الصواب لأنه يخالف القاعدة

والسنة المتبعة كاتيهما . ولا يسمع إلا أن

اللبس معه مأثور .

ماذا يبقى بعد كل أولئك ؟

لا يبقى إلا الخطأ الواح الذى لا سلك له

من قاعدة أو أساليب أو أمن ليس وقد

يجوز بعض المتقدمين الخطأ على المصحاء ،

وهو أمر عريب حقاً لسببين

١ - أن المصحيح إذا ترخص كان على

ثقة من أمن اللبس ، وإذا كان الكلام غير

ملبس فهو صواب ولئن صح أن تحتسب

الرخصة من قبيل الشاذ أو القليل أو النادر أو

المسموع الذى يحفظ ولا يقاس عايه .

لقد كان احتسابها كذلك أكرم للمصحاء ،

وأولى بما حثنا به من شواهد من النصوص

القرآنية

٢ - أن هذا النوع من ترخيص المصحاء

هو مع ما يطأ عالياً في عالم اللغة « الابتداء

في اللغة » أو « الابتكار اللغوي » . وهو

في بعض صورته يستهوى المجتمع . فيصيح

سبه في الكلام . ويكون سباً في تطور

اللغة من عصر إلى عصر وربما كانت

الدورق إلى ما قبلها اليوم بين لغة القرون

الأولى واللغة العربية الصريحة المعاصرة

ناشئة عن تأثير هذا النوع من الترخيص .

بل ربما جاءت عن ترسخ أخطاء دوى

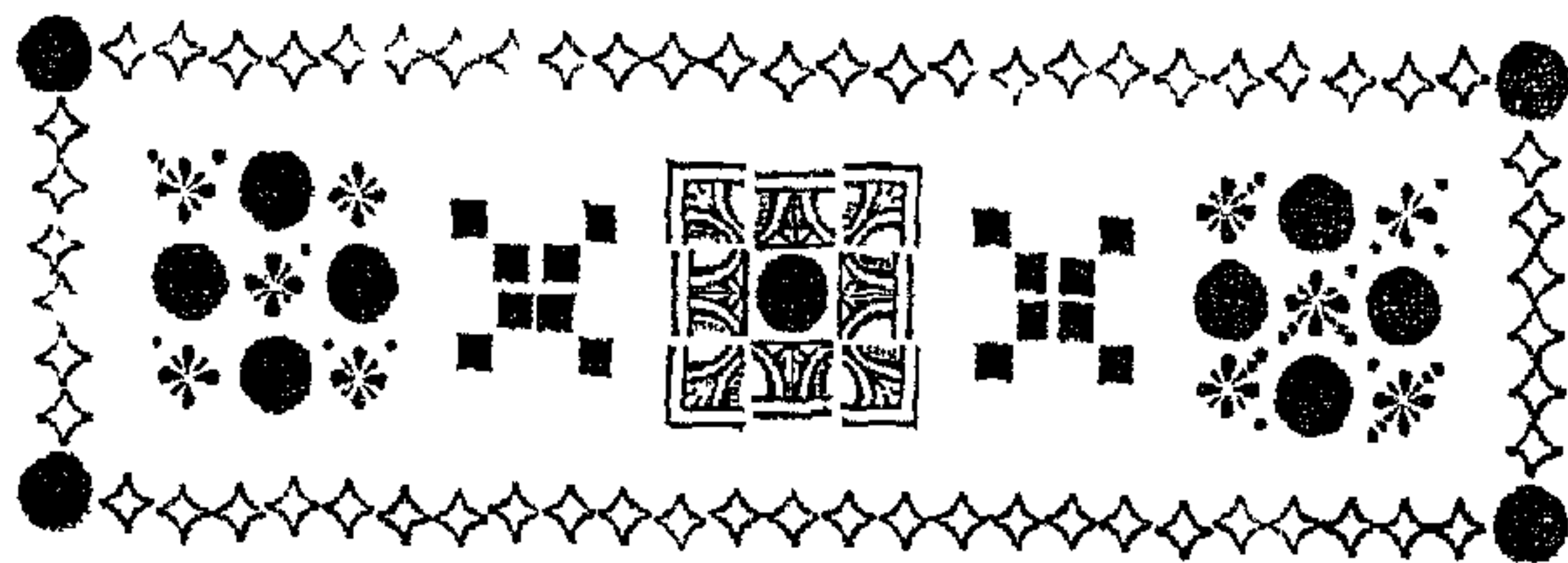
الحجاء . وهى أحوج إلى التبرير من ترخيص

المصحاء

والله ولى الموفيق ؟

تمام حسان

عصو المجمع



بين لغة الأدب ولغة العلم

للكتورة نسيبة الطويل

اللغة

الفنية هي أداة التعبير
عن خصائص الأدب

كفن جميل ، والرياضة هي أداة
التعبير الوحيدة عن خصائص المعرفة العلمية
وبين الأدب والعلم فوارق ضخمة تصور
ما بينهما من تعارض يباع حد التوافق في
أكثر الحالات ، ويقتضيه المنهج العلمي أن
نستهل حديثنا بتعريف ما نعصده بمفهوم
الأدب ومفهوم العلم .

مفهوم الأدب :

حين يرى الأديب مساهد الطبيعة وأحوال
المجتمع وأحداث الحياة ، وحين يأمل عبر
التاريخ ويستشعر بشائر المستقبل ، يتحول
كل هذا في نفسه إلى انطباعات تتمثل في
أحاسيس ووجدانات وخواطر ، يعبر عنها
في صور أدبية نثرية أو شعرية ، في لغة يحسن
اختيار ألفاظها وتركيب جملاتها ، ويصني
عابها معاني ودلالات جديدة ، وبجمال أدائه
يثير في نفس قارئه أو سامعه مشاعر وخواطر

تشيع فيه السهجة والإمتاع ، ومن أجل أن
يحقق الأديب هذا ، يديج نفسه حين ينشئ
عباراته أن يقدم لفظاً ويؤخر لفظاً ، ويحذف
ثالثاً ويصيف رابعاً ، ويستخدم خياله الذي
يتجاوز المعاني الحقيقية للألفاظ ، إلى دلالات
جديدة ، ويزيد فيصطنع في تعبيراته الخبار
والتشبيه والاستعارة ونحوها . مما يمكنه من
نحاق صور أدبية يستعين بها على رسم
أحاسيسه وانفعالاته وخواطره في لوحات قد
تمثل مسطراً طبيعياً أو حوا ناعياً أو مشهداً
من مشاهد الحياة ، وإن كان الدكتور طه حسين
يقول في كتابه «حافظ وشوقي» : «إن العقل
هو مصدر الإحادة الفنية ، وإياها إن كانت
أثراً من آثار الشعور ، ومظهرها من مظاهر
الحس القوي . والعواطف الرقيقة ، والخيال
الحبيب . فهي لعمري إذا لم تستمد غذاءها
الحقيقي من العقل والعلم» .

والأديب بإحساسه باللفاظ الالهامية وخصائصها
والعلاقات الحسية القائمة بين بعضها

(*) ألقى البحث في الجلسة الخامسة ٢ / ٥ / ١٩٨٥ م

وبعض ، وبقدرته على صياغة العبارات ورسم الصور ، وبموهبته الفنية ورصيده الأدبي يستطيع أن يولد عند قارئه أحاسيس جديدة وصور طريفة ، ويشير في نفسه الإعجاب والإمتاع .

ولكل أديب أسلوبه ، أى طريقته في التعبير ، ويكون أسلوبه وليد موهبته الفنية وثقافته وتدوقه لاعة وطرقها في الأداء ، وهو يتأثر ببيئته وروح عصره والأدباء يحتلمون في تركيب عباراتهم بين إيجاز وإسهاب ، وعموض وإيصاح ، وبساطة وإغراب ، وبسهولة وتعقيد ، وتمايز وجمال . ونحو هذا مما نراه كثيرا . ومرد الأمر في الأسلوب الأدبي إلى البلاغة ، وهى في تعريفها الشائع «مطابقة الكلام لمقتضى الحال» بل ذهب القدماء إلى القول بأن الأسلوب بمعناه العام هو «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الإيصاح والتأثير ، أو الصرب من السطم والطريقة فيه كما قال عبد القاهر الجرجاني ت / ٤٧ هـ في دلائل الإعجاز

والأسلوب البليغ هو الذى يعبر بصدق عن شخصية صاحبه ، فالأسلوب هو الرجل أو الإنسان نفسه كما قال العالم الفرنسى

بوهون ١٧٨٨ G L. L. Buffon وقد شاعت قولته وأريد بها أن الأسلوب هو مرآة لشخصية الأديب (١) ومن هنا شاع القول بأن الأدب هو صدق التعبير الهى عن إحساس صادق لصاحبه وإن كان علينا أن نعرف أن الأديب لا يعبر دائما عن تجارب شخصية عاشها ، بل هو قادر بقوة خياله على أن يعيش أى تجربة إنسانية ويعبر عنها متخطيا زمانها ومكانها .

وكان أناتول فرنس ١٩٢٤ A. France يقول إن الأسلوب الأمثل في الأدب هو الأسلوب السهل الذى لا يكدر الدهن ، فللعلم علينا حق الانتباه والتأمل ، وليس للهنون ذلك الحق ، لأنها بطبيعتها تسر ولا تهيد ، ووطيفتها أن تعجب ولا وطيعة لها غير ذلك ، فيحب أن تكون جذابة بغير شرط . .

يروى العقاد هذا الرأى في أحد مقالى له عن الأسلوب في «مراجعات في الآداب والهنون» ثم يناقش الرأى فيقول «إنما تمتدح السهولة في الأدب حين تدل على السوغ والمقدرة ، إذا أدى بها الأديب المعانى التى يؤديها غيره بمشقة وإعتساف... والصور الخيالية والمعانى الذهنية هى الأصل في جمال الأساليب في الأدب والهنون . .

(١) عالم نيات . قال في «خطة في الأسلوب» محاضرة ألقاها في ٢٥ / ٨ / ١٧٥٣ أمام الأكاديمية الفرنسية ، وبص قولته هو الأسلوب هو الرجل نفسه . le Style est l'homme même.

ويقول طه حسين في الجزء الأول من حديث الأربعاء: إن الأديب عندى هو الذى يصبح أدبه ويعمله عملاً ، ويتهياً له فيطيل التهيؤ ، ويفكر فيه فيمعن في التفكير ويتكلف لذلك من الجهد والمشقة ما يرضيه ويعيبه . . . أما الشاعر الذى ينحت من صحر وهو الذى يعجبني ويرضيني لأنه لا يقول الشعر وإنما يعمل . . . ولأن الشعر لا يصدر عن طبعه وحده ، وإنما يصدر عن طبعه وعقائه وإرادته . »

هذه كلمة محمّاة خاطفة عن مفهوم الأدب ، فمادا نريد بمفهوم العلم ؟

مفهوم العلم :

يراد بالعلم في معناه الواسع الفضفاض أى فرع من فروع المعرفة البشرية يجرى على نهج ونظام ، ومنه علم الأدب ، أما بمعناه الاصطلاحي الصيق ، وهو ما نقصده في هذا الحديث ، فيراد به منذ أن ظهرت مناهج البحث العلمى الحديث في مطلع عصورنا الحديثة (١) - يراد به العلم الطبيعي أى علم الفيزياء وما تفرع عنه من علوم تشاركه في مناهجه التجريبية . والعلم بهذا المعنى هو كل دراسة تتوافر فيها أربعة أركان مجتمعة لا يغنى بعضها عن بعض ، أولها منهج البحث الذى يتحتم أن

يكون تجريبياً استقرائياً يقوم على الملاحظة الحسية والتجربة العلمية ، إن كانت ممكنة ، والملاحظة توحيه للذهن والحواس إلى ظاهرة أو ظواهر حسية للكشف عن صفاتها وخصائصها ، توصلاً إلى كسب معرفة جديدة . والتجربة ملاحظة يتدخل أثناءها الباحث ليلاحظ الظاهرة في ظروف هيأها وأعدّها بإرادته ليدرس الظاهرة في الوقت الذى يريده ، وليحقق بذلك أغراضه ، وفي الحالين يستخدم آلات وأجهزة تعوض قصور الحواس . أما ثانياً أركان المنهج فيتمتع عن أولها ، إذ طالما كان أول الأركان هو الاعتماد على الحواس في ملاحظة الظواهر ، فإن ذلك يستتبع أن يكون موضوع البحث جريئات محسوسة ، أى ظواهر طبيعیه أو وقائع جريئية في عالم الواقعي المحسوس ، فلا يجوز للعالم أن يتجاوزها في بحثه إلى دراسة ما وراء المحسوس من حقائق - كعالم الأرواح - أن يدرسها ويؤمّن بها كإنسان أو مفكر أو فيلسوف وليس كعالم . وثالثها وهو أهم أركان العلم أن يتوصل العالم عن طريق دراسته التجريبية للوقائع الجريئية إلى وضع قانون عام يفسر الظاهرة التى يدرسها . يقول برترند رسل ١٩٧١ Bertrand Russell في كتابه Scientific Gutlook إن العلم وإن كان يبدأ بدراسة الوقائع الجريئية

(١) وإن سبق إلى معرفته من العرب حابر بن حيان ت ٨١٣ أوالحسن بن الهيثم ت ١٠٢٩ م انظر كتابا

العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ص ٣٠ وما بعدها .

إلا أن معرفتنا التحريضية بهذه الوقائع لا تكفى لقيام العلم ، لأن العلم لا يستقيم إلا إذا اكتسبنا عن القوانين العامة التى تكون هذه الوقائع الجزئية تطبيقاً لها ، ومن هنا كانت أهمية الواقعة الجزئية تقوم فى أنها مجرد مثل يشهد بقانون من قوانين الطبيعة « وهذا الركن - وضع القوانين العامة - لا يتواءم فى رأينا فى الدراسات الإنسانية التى يرغم اليوم أصحابها أنها أصبحت اليوم علوماً ، مستعرة من العلوم العبرانية^(١) وإن كان هذا رأى يغضب المستعدين بها من رءسائنا .

ورابع الأركان - وهو لا يقل اليوم أهمية عن ثالثها - هو أن تترجم نتائج الدراسة العامة (وهى القوانين) إلى رموز رياضية أى أرقام عددية ، فالعلم اليوم مولع بتحويل الكيمياء (وهى الصفاة التى لا تقاس) إلى كميات عددية ، تحقيقاً للدقة والصبط ، ولهذا تأكد القول بأن لغة العلم الوحيدة هى الرياضة فلا علم إذا لم تقم دراسته على القياس أو الوزن ولهذا حولت الدراسات العلمية الضوء إلى طول الموحات وقصرها والصوت إلى سعة التذبذب ، والحرارة إلى موحات حرارية ، واللون إلى موحات صوتية يحدتها .. رهام حرا ، وذلك لأنه كان قياس هذه الظواهر والتعبير عنها بأرقام

ومن تعريف الأدب وتعريف العلم على النحو السالف الذكر ، يستشف أن الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم هو خلاف تعارض قد يبالغ حد التناقض فى كثير من الحالات .

وسعرض فيما يلى أهم وجوه الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم ، وقد حصرنا المهم منها فى سبعة فروع

١ - الجديد والقديم فى الأدب وفى العلم :

يستهدف العمل الأدبى إرضاء حساسية القارئ وإشباع ذوقه المسمى ، وإن روائع المقطوعات الأدبية شعراً ونثراً تعيش عصوراً طويلة حسباً إلى حسب ، والحديد منها لا يستعد قديمها ولا يقلل من روعته ، إن القطعة الأدبية الرائعة تعيش أبداً ولا تموت بمضى الزمان ، إن مقطوعات الشعراء وروائع الأدباء منذ أقدم العصور لا تزال حتى اليوم تثير عند قرائها أعظم مكان من الإعجاب ، ويهتس بها أصحاب الأدواق حتى من المحدثين والمعاصرين إن الأدب لا يغنى حاضره عن ماضيه ، لأن ماضيه ، يجرى وياضاً متجدداً مع كل أديب عبقرى فى كل عصر من عصور التاريخ ، يتسبع بهجة القارئ ويثير متعة السامع ويهز المشاعر ويريح الأعصاب . وليس هذا هو الحال فى العلم . فمن الميسور والمألوف إغفال العلماء

(١) من بحث لما تحت عنوان إشكالية العلوم الاجتماعية أنها ليست علوماً ، وقد ذوقش البحث فى ندوة علمية فى المركز القومى للدراسات الاجتماعية والحنائية بالقاهرة .

والناس لماضييه ، لأن تاريخ العلم مختلف عن العلم نفسه ، يقول « ليون روبان » L. Robin في كتابه : الفكر الإغريقي وأصول الروح العلمية^(١) . إن ماضي العلم هو الجزء الميت الفاني من المحاولات التي قام بها العلماء ابتغاء التوصل إلى الحقيقة ، أو هو الجهد الذي أدركه النسيان بعد أن بلغ أصحابه الغاية المطلوبة منه ، وهذا الماضي يشبع رغبة الطامع في التوسع في المعرفة ولا يتجاوز هذا الحد ، وفي وسع دارس تاريخ العلم أن يصح بمعرفة النتائج التي انتهت إليها بحوث سابقيه من العلماء ، دون الرجوع إلى تطور التفكير الذي أسلم إليها ، ولهذا فإن العالم يبدأ بحوثه عادة من حيث انتهى سابقوه من العلماء ، ينظر إلى الأمام ولا يتلفت وراءه ، وقوانين العلم يلقى عندها العلماء جميعاً ، فإن تسب بين بعضهم والبعض ، يصدد أحدها ، خلاف ، حسموا الخلاف بالرجوع إلى الواقع ، واستغناء التجربة ، وإذا كانت المقطوعة الأدبية تصدر عن صاحبها ، ولا تعرى إلى أحد غيره ، فإن قوانين العلم لا تسب إلى أصحابها إلا على سبيل التاريخ ، لأنها ملك مشاع بين كل العلماء وجميع الناس .

٢ - ذابية الأديب وموضوعية العالم :

واضح مما أسلفنا أن الأدب عند صاحبه

مبدعاً ومتلقياً فوائده الذاتية الخالصة Subjectivity لأنه يصدر عن مشاعر صاحبه وانفعالاته وأخياته وخواطره ، وأما العلم فلا قيام له بغير الالتزام في بحوثه بالموضوعية بقدر ما تسمح الطاقة البشرية ، وقد عبر « كلود برنار » Clau d Bernerd ١٨٧٨ عن هذه التفرقة بين المبهجين بقوله . « الفن أنا والعالم نحن » والمظهر الطبيعي الواحد يصوره مجموعة من الشعراء في قصائد رائعة متباينة وبمقدار ما يكون بين بعضها والبعض من فوارق في تعبيراتها الأدبية وصورها الفنية ، يمكن أن تكون عصرية كل من أصحابها ، أما في حال العلم فإن الظاهرة الواحدة إذا عرض لدراستها مجموعة من العلماء ، انتهوا آخر المطاف بتأويلها إلى نتائج واحدة ، لأن سديلتهم جميعاً إلى دراستها هو الملاحظة الحسية التي تستهدف وصف الظاهرة وبيان خصائصها ، ثم إجراء التجربة التي يمكن تكرارها للتحقق من صواب نتائج الدراسة ، فإن اختلاف نتائجهم مع بعض ارتدوا إلى الواقع مرة أخرى واستمعوا لمحرره لتحسم أي خلاف يقوم بهذا الصدد .

ويراد بموضوعية البحث Objectivity

إمضاء الخبر الذاتية لمعرفة الأشياء كما هي

(١) Leon Robin La pensée Gréque et les Origines de l'Esprit Scientifique Greek

نقله إلى الإنجليزية M. R. Dobie تحت عنوان

Thought the Gignes of th suentifie spirit

في الواقع، وليس كما يتمنى الباحث ويريد
أما الخبرة الذاتية فهي قوام الفنون، ومنها
الأدب، لأن صاحبها ينظر إلى الشيء من
خلال عواطفه وأحاسيسه وانفعالاته وأحليته
فالفنون ابتداء ذهني تلقائي، والشخصية
الفردية في الفنون تحتفظ بذاتها على مر
الزمان.

٣ - صدق الأديب ونزاهة العالم :

إن نقاد الأدب المتميز شعراً أو نثراً
يجعلون معيار تقييمه هو صدق صاحبه في
التعبير الفني عن مشاعره وخواطره، ولا
يمسحون مجالاً للحديث عن إبعاد عواطفه
وميوله ورغباته في مجال إبداعه، لأنه لو فعل
هذا لعز عليه أن يكون أدبياً بينما الأمر على
مقيص هذا في حال العلم، فإن من أنخص
خصائص العالم أن يكون نزيهاً، ويراد
بالنزاهة *disinterestedness* إماتة الذات
self-mortification أو تنحية الذات وإبعادها
عن مجال البحث *self-elimination* أي طراح
الهوى والتزام الحيادة واستبعاد الاعتبارات
الشخصية وغير هذا مما ييسر للباحث الكشف
عن هدوه من غير عائق، فالعالم عليه

ألا يخضع بحثه لمصاحبة شخصية أو شهوة
فردية، أو عقيدة دينية أو نظرية علمية
أو فكرة قومية... إلى الحد الذي تنتفي
فيه أمانته في تقصى الحقيقة، بل عليه أن
يجرد نفسه من أهوائها ونرواتها وميوها
ما مكنته طبيعته البشرية من ذلك (١).

والنزاهة تقتضي إنكار الذات *self-denial or*
abnegation والعروف عن استعلال العلم لتحقيق
مآرب شخصية، والعالم يظل فقيراً، بينما يرى
أصحاب المصانع الذين يطبقون قوانينه،
لأنه اختار البحث والتأمل، وبالتالي أثر
الفقر...

ومن دلالات المراهة أن العالم قد يتوحي
دعوة الآخرين إلى بقده وإثبات خطئه إن كان
قد ضل السبيل في بحوثه، هكذا فعل
باستير ١٨٩٥ L. Pasteur. حين شجع
بوشيه Bouchet على أن يثبت صواب
نظرية التولد التلقائي *Spontaneous*
Generation التي كان باستير قد أثبت

خطأها، ومعنى هذا أن العالم يتقمص
روح القاضي النزيه، فيتجرد عن أهوائه
وميوله ورغباته ومصالحه ما أمكنه،
ويدتطر في صبر حتى يعرف كل ظروف

(١) كان فلوغل J. Flugel مات منذ بضع سنين - صاحب *A 100 years of Psychology* وغيره
من إنتاج عرير - كان أستاذاً مساعداً لعلم النفس (Reader) بجامعة لندن، وحلأ كرسي أستاذ المادة بمقام له
مرتجحا وحيداً، ولكن اللاحقة رأت أنه متحمس جداً لطريات فرويد S. Freud إلى حد أنه يرادها الحق كانه،
ويرى كل ما عداها باطلاً. وهذا يطن في موضوعية بحوثه ودراسه كماله، فحرمة من أن يكون رئيساً لقسم علم النفس

القصية التي يتصدى للحكم فيها ، ويفحص كل الأدلة المؤيدة والمعارضة لها ، وكل هذا يقتضيه طافة أخلاقية وذكاء ذهني و نزوعا نقديا لا يسهل توافره ، ولا سيما في العلوم الإنسانية التي تتخذ الحقائق البشرية موضوعا لدراستها ، والعالم الذي تعوره المراهة ، يكون موضع استخفاف واحتقار في دوائر العلماء^(١)

٤ - وسيلة التعبير في الأدب وفي العلم :

لعم الأديب أداة إثارة وتأثير وإقناع ، إنه يعبر عن مشاعره وخواطره في صور هية تثير في قارئه المتعة والراحة ، أما العلم فيحرص على التخلص من الألفاظ والصور الهية وعموضها ، ويتجنب إثارة المشاعر والوجدانات ، ولهذا فإن دراساته لا تكون إلا متى أمكن القياس أو الوزن ، كما أشرنا من قبل ، فالعلم الحديث كلف بتحويل الكيفيات (الصفات التي لا تقاس) إلى رموز رياضية أو كميات عددية ، ومن أجل

هذا لازمت السحوث العلمية آلات وأجهزه تعبر عن نتائج دراساته بأرقام يتساوى جميع الناس في فهمها ، وهذا اختفت في ساحه العلم الأحكام الذاتية والتقديرات الشخصية ، وأصبحت لغة العلم الوحيدة هي الرياضه ، يقول سليمان J. W. Sullivan في كتابه القيم : أسس العلم الحديث « The Bases of Modern Science » إن

أقصى غايه للعلم أن يقدم لنا وصفا رياضيا شاملا للظواهر في عبارات تضم أقل عدد ممكن من المبادئ والحقائق العقلية . إن الرياضيات هي اللغة الوحيدة التي يستخدمها العلم ، ويقول هذا مكررين دون أن نمل التكرار ، وبعد أن كانت الملاحظة الحسية أهم ركن في منهج البحث العلمي ، احتل مكان الصدارة في عصرنا هذا رد الوقائع إلى أرقام تقرأ على مراقم ومقاييس ، وأصبح الاتجاه الحديث الآن هو ترجمة الظواهر الطبيعية إلى رسوم بيانية ولوحات فوتوغرافية ، وهذا

(١) قبل إن العالم الألماني هكل E Haekel ١٩١٩ قد زور مرة في صورة بحس حيوان حتى تبدو قريبة الشبه بحين لإنسان فيتبت هذه بطريقة الخدعة في التطور آملا في أن يديع اسمه فلما كشف العلماء تروبره واحملت أكاديميه برلين بعدها المثوى دعت العلماء من شتى بقاع الأرض لحضور اجتماعها ، ولكنها حرصت على أن تغفل دعوه مواطنيها هكل ، احتقارا له .

وفي أكتوبر ١٩٧٦ طالعتما كبريات الصحف البر بطانة ناخر فصيحة اهزت لها الأوساط العلمية في العالم المتدين ، ذلك أن السير سيريل بيرب Cyril Burt ١٩٧٢ كبر علماء النفس في بريطانيا قد ثبت أنه استعماري تعوره الأمانة العلمية إذ كان يؤكد في كتبه أن الحس الأنص يمتار على غيره من الأحاس الملونة بالدكاء والقدرات العقلية التي لا تحي وبالتالي تتعن على المستعمرين أن يصعوا برامح لتعليم الملوس بحث تلامم مع مسوى دكائهم وعقولهم وروح تلاممه هذه المطربة المرعومة ثم تصدى للكشف عن كدبها بعد موته باحثون من علماء النفس في إنجلترا وأمريكا وأكثرهم من تلاميذه ورملائه تس لهم من مراحة مصادر كتبه أنها مخلقة لا وجود لها إلا في ذهن كاتبها وأن الإحصاءات التي أند بها بطربه مخلقة وملفقة . . فكان هذا موضع احتقار من علماء العالم الممدين . .

أصبحت وقائع الحس في لغة العالم رموزاً رياضية ، وصياعات رمزية ، كما أصبحت القوانين مجرد دلالات رياضية . وهذا تعبير الوضوح في القرن العشرين عما كان عليه الحال في العصور السابقة .

فيل إن جاليايو ١٩٤٢ Galileo قد كتب قانون العصور الدائري الذي يقرر أن كل جسم يظل على حاله سكونه أو حركته المنتظمة ، ما لم يوجد ما يعير حالته . ظل هذا بعد قانونا حتى آخر القرن الماضي . ولكن علماء القرن العشرين قد اشتراطوا طاهره التعبير عن القوانين بأرقام ، يقولون اليوم إن هذا مجرد وصف للجسم المتحرك . وليس يعانون ، فإن أريد له أن يكون قابوا وجب أن يصاغ في رموز رياضية

هـ - الخيال بين لغة الأدب ولغة العلم :

إن دور الخيال في العمل الأدبي أساسي لا يستعنى عنه أديب . بل إماء أهم عناصر الأسلوب الأدبي . فإن الأديب يستعين به على تكوين الصور الأدبية التي تسمح للألفاظ في تعبيراته منهاهيم حديده تثير متعة القارئ و بهجة السامع . والعالم بدوره لا غنى له عن الخيال . وإياه مضطر في نخوته - بعد مرحلة الملاحظة

والتمحربة - أن يفرض فرضا يتخيله لتفسير الظاهره حتى يتوصل إلى قانون لتفسيرها ، وعلى الباحث أن يمتحن الفرض - الذي تخياه كتمسير مؤقت - للتثبت من صوابه ، فإن تثبت بالتمحربة بطلابه عدل عنه إلى فرض ثان وثالث ورابع ، حتى يهتدى بخياله إلى فرض يثبت بالتمحربة صوابه ويكون قابوا ، ولجون سنورت مل ١٨٧٣ J. S. Mill في كتابه System of logic من قواعد للتثبت من صحة الفروض (١) . وإن ثبت صواب الفرض أصبح قابوا عاما ، وهكذا نرى أن فوام الفرض العلمي هو الخيال الذي يتفاوت فيه الباحثون بتماوت حطهم من الذكاء وسرعته المدييه وصمما الكه وسعة الاطلاع وغير هذا مما يساعد على تحيل الفرض الصحيح

واكن خيال العالم غير خيال الأديب وفعال العالم وسياه يستعان بها لكشف حقيقة ، ولهذا كان مرتبطا بالواقع ، فتأخيه تدميح في الواقع إلى حد أن العالم لا يتردد في التصححية خيال الحقيقة ، متى ثبت انه بالتمحربة بطلانها ، أما خيال الأديب الممان فإنه يستعين بالحقيقة وسياه إلى كشف الجمال . ولهذا يستهدف الممان تحريك المتأخر حتى تتحاوب معه .

(١) فط إلى الأصول من فقهاء المسلمين ومتكلميهم منذ العصور الوسطى ، فإوا عن طريقة التلارم في الوقوع إن العلة مطردة أي دور مع الحكم وحوذا . وقالوا عن طريقة التلارم في التحالف ان الصلة ممكنه أي أنها بدور مع الحكم عدما ، ومن طريقة الجمع من الامتياز والاحكام عروا عهم بدوران العلة مع ممانها وحوذا وسدما - أو الطه العكسي وبتا حروا حواون انطركه بناء أصور العلة ط ٧ من ١٦٩ وما بعدنا

٦ - معيار التقييم في الأدب وفي العلم :

إذا كان قد قيل إن الأدب هو التعبير الحميل الصادق عن إحساس صادق ، فإن معيار جماله يقوم في الذوق العمى عند صاحبه وقارئه ، حقيقة إن الأديب يعيش بمقدار ما يحس التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته وحواطره ؛ بشرط أن تكون إنسانية تتخطى الزمان والمكان ، ولا تكون مجرد صدى لبيئته أو روح عصره ، وإلا مات أدبه بتغيير معالم البيئة وروح العصر ، عاش شكسبير لأنه صور العواطف والغرائز البشرية ، ولم يصورها مرتبطة بأهل بلده وعصره الذي عاش ، ومع هذا فليس ثمة مقياس يقاس به جمال الأدب ، يكون خارج متاعر الأديب وقارئه ، وليس هذا هو الحال عند العالم ، فإن من أخص خصائص العلم إمكان التثبت من صحة قوانيئه بالرجوع إلى الواقع واستمعاء الخبرة والملاحظة الحسية في أمرها ، ولا مجال هنا للذوق العالم أو إحساسه أو غير ذلك من أدوات اختبار الصدق في حالات الفنون أو مما لا يدخل في وسائل الإثبات العلمي

وكذلك يبدو الصدق في الأدب مختلفا باختلاف الأفراد وذوقهم العمى ، وروح عصرهم ، بدما يتميز الصدق في حال العلم بالثبات مع اختلاف الأفراد والجماعات زمانا ومكانا ، وإذا أثبتت التجربة أن المعادن تتمدد بالحرارة ، كان من المحتم أن نتوقع من كل معدن - لم يختلط بغيره من

مواد تمنع تمدده - أن يتمدد بالحرارة في كل مكان وكل زمان . وليس هذا هو الحال في الأدب وغيره من فنون ، ومن أمثلة هذا ما نراه في شعر شوقي أمير الشعراء ، حمل على جناحه جمهرة قرائه إلى أقصى مراحل الإعجاب ، بينما كان في الوقت نفسه مثارا لحملة ضارية شنها عليه العقاد والمازني ومن ذهب مذهبهما ممن جردوه من أبسط مقومات الفن الأصيل . . .

وليس هذا هو الحال في العلم ، لأن نتائجه تتمثل في أرقام يتساوى الناس في فهمها ، يقول كارل بيرسون K. Pearson في كتابه القيم Grammar of science إن أحكام العلم لا تتأثر بالوجدان الشخصي أو الأحكام الذاتية أو الأهواء الشخصية ، وتستبعد التحيز وتتوخى النزاهة العقاية .

٧ - بين أهداف لغة الأدب وأهداف لغة العلم :

فلنا إن اللغة هي أداة التعبير في العمل الأدبي ، وإن الرياضة هي لغة العلم الوحيدة في كل صورته ، فما الأهداف التي تنهى إليها تلك الوسيلة في الحالين . . ؟

أما أهداف لغة الأدب فتبدو في اتجاهين تحدهما مدرستان ، مدرسة ترى أن الأدب يصدر عن صاحبه كما يصدر الأرج عن الأرهار ، أو النور عن الشمس ، أو الحضرة عن النبات ، وأما توجيه الأدب إلى تحقيق أعراض بعينها ترسم له أهدافا يفضى إلى

تحقيقها ، فهو إتلاف لطبيعته الفنية وإفساد لروحه . . . ليس للأدب هدف مباشر يقصد إلى تحقيقه غير الجمال .

أما المدرسة الثانية فاعل رائدها في النصف الأخير من القرن الماضي هو كارل ماركس K. Marks ١٨٨٢ وترى هذه المدرسة أن يسخر الأدب وغيره من الفنون لخدمة الإنسان في حياته الدنيا ، فيعالج الآفات الاجتماعية في مجتمعه ، يشخص أعراضها ويرسم طرق علاجها ، ومن ثم يصبح الأدب دعوة إلى تعبئة الجهود وتكتل القوى لرفع مستوى الشعب ، والنهوض به في شتى مجالات الحياة السياسية والأخلاقية والاجتماعية بوجه عام ومنذ سنوات هاجم حروشوف المماين الذين لا يسخرون لخدمة الحياة ، وأثار بهذا الكثيرين حتى من أهل عقيدته

ومن رواد هذا الاتجاه في أدبنا العربي المعاصر الدكتور طه حسين ، فهو يقول في « ألوان » أين الأدب إذا اعتزل الحياة أصبح لعوا من اللعوا ، وسحفا لاعماء فيه . . . إن الفن الخميل على اختلاف أنواعه هو السلم الذي يتيح للشعب أن يرقى

ويسمو ويعنى بعظائم الأمور وحلائل الأعمال ويقول في : « أدبنا المعاصر » . . .

فالأدب لا يقاس بالجمال ولا يقاس بإرضاء الذوق ، ولا يقاس بتعميق المعاني والآراء ، ولا بهذا المذهب الفلسفي أو ذاك وإنما يقاس قبل كل شيء بالإعراب عن حاجه الشعوب إلى ما يقيم حياتهم المادية قبل كل شيء .

ومن الباحثين من ربط الفن بالأخلاق ، ورأى أن دارسه الخير وثيقة الاتصال بدراسة الجمال إلى حد جعل اليونان يستخدمون لفظا واحدا للتعبير عن الجمال والسبل الخلقى ، ويوحدون بين الكمال والجمال وإلى مثل هذا ذهب بعض المحدثين ، من أمثال هربارت J. H. Herbart ١٨٤٤ مؤسس علم الجمال وأفلاطوني كبرجج وأصحاب مذهب الحاسة الخلقية وغيرهم^(١) وكرد فعل لهذا الاتجاه طهر مذهب الطبيعيين الذي أنشأه بازاك وبشر به في فرنسا رعيم هذه المدرسة إميل زولا ١٩٠٢ E. Zola الذي طبق في الفن القصصى المصح التجريبي (الذي أخذه عن كلود برنار) فصور الحياة في أدب مكشوف Ponography ولا تنى .

سوى هذه الحياة المكشوفة يعد أدبا ، لأن رسالة الفنان في رأيهم ليست رسالة وعظ وإرشاد ودين ، بل رسالة حق

وجمال ، والشر حق موحود في الحياة ،
وفي تصويره البارع جمال (١) .

لكن الاعتراض على هذا الرأي قديم
فقد هاجم ألاتون في جمهوريته القصص
التي يرى الذي يبدو أنه يفسد الصميم
ويشوه المثل العليا ، وكان يرى
أن الشعر والتصوير وغيرهما دجل يعمد
إلى العواطف ويشيرها ولا ياجأ إلى العمل
التيز الررين ، لأنه لا يجد فيه محالا لعشه
ويحس تصوير الكثير من الشهوات
والمرعات المسحطة حتى يحملنا على الإعجاب
بما ذكره ، ولهذا كان من واجب المشرع
ألا يسمح بمثل هذا الفن العاثر في المدينة
(الماضاة) حتى يكفل لضياع الحياة
وعلى الناس أن يصنعوا على رأس هذا
الشاعر الماجن إكايلا آيه تعديدهم له
وإعجابهم به ، ثم يشيرونه إلى حدود
المدينة ليطرده منها وهم يتغنون بآيائه
واتاء عايه

ومن المحدثين من يقول أن الفن الرفيع
لا يهدف إلى التهذيب والإصلاح ، وإن
قصد إلى ذلك جاء هذا عن طريق غير
مباشر ، بل إن آثار التهذيب والإصلاح

ليست أجمل ما انتخب عبقرية الفن من
روائع — فيما يقول بوب pop's Essay on

man ويرى الدكتور أن شكسبير ١٦١٦
كان يكتب فيما يبدو بعير عرض
أخلاق ، ولم يكن على الدوام حريصا
على أن يشير إلى السخط على الشرير ،
وما يشبه هذا يمكن أن يقال في الفردوس
المفقود للمتون ١٦٧٤ J. Milton

والكوميديا الإلهية لدانت ١٣٢١ Dante
وثوره الملائكة لأناطول فرانس ١٩٢٤
Anatole France وغير هذا من آثار
الفن الخالدة وهل يجدي مثل هذا الفن
في رفع مستوى الأخلاق عند الناس ؟
إن مثاه سيكون مثل الشيطان الذي يعرج
في موكب صاخب ، وعلى غير حدود
يانمس بهرجه انتباه أولئك الذين يسرون
في المركب محامين له فيمايقول كاريت
Carr's Theory of Beauty

لأن الأدب إلى الصواب أن يقال
إن كلا الرأيين المتطرفين قد ساء الصواب
فليس من الحكمة أن يخضع الفن لقبود
العرف ومقنضيات التمهاليد ، لأنها تختلف
باختلاف الزمان والمكان وآثار الفن الخالدة

(١) من ذلك أن الشاعر الفرنسي بودلير * ١٨٦٧ Baudelaire أصدر ديوان شعره : « أزهار الشر »
متضمنة مقطوعات شعرية تصور الأحسام المتحللة والجس المادي ، ورفع أمره إلى انقصاء وأدين بمرامة (٣٠٠ فرنك)
مع حذف المقطوعات التي تماق الأخلاق . وأثار حكم القصائد أصدره واتهم فسكتور هوحو مع عمره القصائد بالعلم والجور
على قدسة الفن ولكن الحكم قد سر القائلين بتسجير الفن للحياة والأخلاق ، وكان فولد ماوي ١٩١٠ من بطالون
بإحصاء الفن لمبادئ الأخلاق ، ويرقصون الفصل بين الفن والحياة . (أسس الفلسفة ط ٧ ص ٣٨٥ .)

تعيش بفصل ما تضم من عناصر إنسانية
حالة ، ولكن من العث أيضا أن نطالب
بتحرير الفن من مبادئ الأخلاق وقيمتها
العليا ، وهى أصلا إنسانية خالصة
لا يحدها زمان ولا مكان فيما يقول بيرى
Periy's The Moral Economy

أما عن القائلين بتسخير الأدب لخدمة
الحياة فإنهم يبالغون فى دعوتهم إلى الحد
الذى يتحول فيه الأديب إلى مصلح اجتماعى
إن الأدب قد يصور الحياة، ولكنه ليس
صورة لها ولا بديلا عنها ، ولا إصلاحا
لعيوبها ، وقيمة العمل الأدبى تقوم فى
أثره فى نفوسنا ، والأدب خلق فى
مخالف عناصر الحياة التى نشأ عنها ، ويترك
فينا أثرا أعمق من آثار تلك العناصر .

كان أرسطو يقول إن الواقعية ليست
فى أن نصور ما حدث ، بل ما يمكن
أن يحدث حدوته لا حسب منطق الحياة
كما نعرفها، بل حسب منطق الحياة فى
القصة نفسها . . . ولو توقعنا من العمل
الأدبى أن يكون صورة صادقة للحياة ،
لأغنتنا كتب التاريخ عن الأعمال الأدبية
حقيقة إن العمل الأدبى يصدر عن الحياة ،
ولكن الأديب إذا أحس بقاءه عاش فى
خدمة الحياة مئات السنين .

هذه فكرة عابرة عن أهداف العمل
الأدبى ، فما هى أهداف البحث العلمى ؟

أهداف لغة العلم :

فى أهداف لغة العلم اتجاهان يحددهما
مدرستان شبيهتان فى بعض الوجوه بالمدرستين
السابقتين ، فالأولى تتمثل قديماً فى فلسفة
اليونان، وهى ترى أن العلم فى كل صورته
يكون هدفه العلم ، أى الكشف عن الحقيقة
بباعت من اللذة الفعلية دون نظر إلى
ما يحتمل أن يترتب على ذلك من خدمة فى
حياتنا العملية أو إشباع لعواطفنا الدينية ،
كما كان الحال فى حكمة الشرق القديم
أما المدرسة الثانية فهى أعم وأشيع ، وهى
تربط بين نتائج البحث العلمى ومطالب
الحياة الدنيا، وإن كان المظهر يسبق العمل ،
ولعل أكبر من مهدوا هذا الاتجاه من الأوربيين
المحدثين فرنسيس بيكون ١٦٢٦ F Bacon

واضع اصول المنهج العلمى :

رأى بيكون أن أسمى أنواع العلم هى التى
تمكنا من السيطرة على طواهر الطبيعية للتحكم
فيها من أجل مصلحة الإنسان فى حياته ،
وهذا أوجب بيكون أن يسخر العلم لتحسين
أحوال الناس وتحقيق رفاهيتهم ورفع مستوى
معيشتهم ، فقيمة العلم مرهونة بأثره فى
حياتنا العملية ، « والمعرفة قوة » ، كما كان
يقول دائما . وأكد هذه الروح العملية من
المعاصرين أصحاب الفلسفة البرجماتية من
من الأمريكين يقول « جون ديوى » ١٩٥٢
J. Dewey : إن العلم مجرد فن تطبيقى أو

مشروع عملي ، والقوانين العامية ليست تفسيراً للظواهر الطبيعية ، إنما هي وسيلة لإجراء صفقات ناجحة في التعامل مع الوقائع الحسنة ، والهدف من ذلك ، تحقيق أغراض بشرية نافعة . . . إلى آخر ما يراه في بحوثه في المنطق التجريبي وما يتردد في كتابات غيره من دعاة الفلسفة العملية البرجماتية .

ومن آثار النزعة العملية في تصور العلم أن اتجه الباحثون منذ القرن الثامن عشر إلى تطبيقات القوانين العامية ، فكان ما نسميه اليوم بالتكنولوجيا ، وهي قوام حضارتنا المادية في عصرنا الحاضر^(١) والبحث العلمي أساس التقدم ، والتكنولوجيا هي السبيل لتحويل ثمار هذا البحث إلى مواد وأجهزة ومعدات قابلة للاستخدام في الحياة العملية (كما يقول معجم العلوم الاجتماعية) .

حسبنا هذا من فروق تميز بين لغة الأدب ولغة العلم . .

ولا بأس من أن يحتتم حديثاً بكلمتين ، نجمل في أولاهما موقف الأدب الحديث من العلم ، ونوضح في ثانيتهما خطأ النقد والناس في استخفافهم بالأدب والقول بأنه مجرد تسلية ومصبعة للوقت :

(١) موقف الأدب الحديث من العلم :

تقدم العلم في القرن الماضي تقدماً مذهلاً وأصبحت نظرياته آية في الدقة والإحكام

وأمكن تطبيقها فكانت مخترعات يسرت حياة الناس من ناحية ودمرت الكثير من أسباب الحصار الإنسانية من ناحية أخرى ، اخترعت آلاته أدت إلى إتقان الصناعة والزراعة وتيسير وسائل النقل ، وكان انقلاباً في حياة الإنسان لم يسبق له مثيل ، ولكن كثرت المصانع التي تستخدم الآلات الحديثة فكان شيوع البطالة بين العمال ، إذ استغنى أصحاب المصانع عن كثيرين منهم ، فحدث في إنجلترا في أوائل القرن الماضي أن تجمهر العمال وأضربوا وهجموا على المصانع لتحطيمها وطالبوا بنصيبهم في ثرواتها لأنها نشأت عن كدهم ، وظهر المتطرفون من الاشتراكيين الذين يريدون هدم نظام التملك القائم وقتذاك ووسط الجو المضطرب المعتم كان للمحدثين من الأدباء موقف من الآلة والمدنية العامية نشير إليه في الكلمات التالية

نتخير ثلاثة من أئمة الأدب الإنجليزي المعاصر ، من أصحاب النزعات الصوفية الرومانسية ، لنشير إلى تمردهم على الآلة التي ظنوا أنها جمدت الحياة الحديثة ، وأحالتها إلى ضجر مجذب ، وهؤلاء هم : دافيد هربرت لورنس ١٩٣٠ وتوماس ستيرن اليوت ١٩٦٥ والدوس هكسلي ١٩٦٣ .

وأما لورنس فيقول إن الآلة هي المسئولة عن العقم الذي أصاب الحياة الإنسانية في

(١) وإن عرفتها المجتمعات الدائنة وأرادت بها المعرفة المساحة لتشكيل الأشياء المصنوعة في الحرف والمهن اليدوية ، كما تدل على المهارات في صنع الآلات .

العصر الحديث ، لأن الإنسان أصبح حادها
وكان سيدها ، فتضاءل شعوره بهرديته
وكيانه كإنسان ، وأضحى موقفه من
الحياة لا يعدو أن يكون موقف المتفرج .

ويتفق معه « إليوت » في نقد الحياة
العصرية ، ويصممها بالعقم والعشل ، ويرجع
ذلك إلى المادية العلمية التي يعترف بأنها
أدت للإنسان الكثير من وجوه الخير المادي ،
وزودته بالمعربة والعلم ، ولكنها باعدت
بينه وبين الحياة وكنهها ، وطهست إدراكه
الروحي ، وتركتته وهو أشقى مما كان هل
أن يعرفها . إنها لم تعطه مريداً من
الحكمة ولا من الإنسانية ، بل تشلته عن نفسه
فأضاع حياته فيما حد عليه من شئون العيش
وأضاع العلم نفسه فيما جمع من شتى المعارف .

أما « ألدوس هكسلي » فقد خالف ريميليه
قليلاً في توترته على المادية العلمية ، فهو
في روايته Brave New Waird وهي تدور
حول قصة العالم مستقبلاً يصور بطلها
شاعراً رقيقاً يشد الحب والشعر والجمال
والحرية والفصيلة ، ولكنه يعتقد في الحضارة
الحديثة كل هذه المعاني الحميمية إلى نفسه . . .

وهؤلاء الأدباء الثلاثة لا تختلف فكرتهم
حول المادية العلمية عن فكرة شعراء الحركة
الرومانسية في النصف الأول من القرن

التاسع عشر ، من أمثال وردزويرث ١٨٥٠
وشيلي shelley وبيرون ١٨٢٤ في ثورتهم
على تصنيع إنجلترا في عهدهم مع فارق واحد
هو أن أولئك يضيقون بالواقع ، ويهربون
منه ، بينما كان أدباؤنا الثلاثة المعاصرون
يصيقون بالواقع ، ولكنهم يواجهونه مواجهة
صريحة قوية فعالة .

وبضيف إلى هذا موقف أديب فرنسي
سبق هؤلاء إلى ما يشبه هذا الموقف هو جان
جاك روسو ١٨٧٨ J. J. Rausseau فقد
ذهب في صدر شبابه إلى أن اردهار العلم
يؤدي إلى انحطاط الخلق . وأن التفكير
مناقص لطبيعة الإنسان ، وأن الإنسان
الذي يفكر ويتعقل حيوان فاسد الأخلاق .

مع أننا نرى أن الإنسان ميزته على
الحيوان الأعجم عقله وتفكيره : وعلى
أى حال عدل « روسو » عن الكثير من
أفكاره في كتابه « إميل » (١)

ومع هذا فما من شك في أن الأدب
قد تأثر بالتقدم العلمي الحديث ، ومن
دلالات هذا شيوع القصة العلمية في
الأربعين عاماً الأخيرة ، شيوعاً أدى
بالكثيرين من أئمة الفكر والأدب في أوربا
إلى التوجس من أن يؤثر ذلك على أنواع
القصص الأخرى ومنذ ثلاثين عاماً
ظهرت في عام واحد ، وفي شارع واحد

(١) انظر كتابنا العرب والعلم في عصر الإسلام الأدهى ص ٣٧٩ - ٣٨١

من شوارع لندن عشرة محلات تخصصت جميعاً في بيع القصص العامية ، وكثرت محلات بيعها في نيويورك، إلى أحد يجعل السائح يتوهم أن نيويورك لا تقرأ إلا هذا النوع من القصص ، كما كان يقول صديفنا المرحوم الدكتور رشاد رشدي .

ولعل ما قلناه عن الأدب الفرنسي والإنجليزي المعاصر كان له صدهاء في بعض المعاصرين من أدباءنا في مصر .

(ب) الأدب في خدمة الفلسفة :

كثر الحديث عن الأدب الذي يتطاول صادق التعبير عن أحاسيس صاحبه ، مشاعره وخواطره ، في لغة يتخير الماظها ويحسن وضعها من الحمل ، مع تخيل الصور الفنية التي ترضى حساسية القارئ ، تشيع في نفسه الامتناع ، وشاع القول بأن الأدب يستهدف تصوير الجمال ولا يتجاوز هذا الحد إلى الاهتمام بأفان الحياة الاجتماعية وعلاج مشكلاتها ، وقد أدت هذه الأقوال بالكثيرين من الباحثين والنقاد والمثقفين إلى الاسخفاف بالأدب شعراً ونثراً ، والقول بأنه مجرد تساية ومصيبة للوقت ، وهؤلاء محطئون أشد الخطأ وأفدحه ، وحسبنا للتدليل على خطئهم أن نقول : إن استقراء تاريخ النهضات شرقاً وغرباً يشهد أن نقطة الشعوب تبدأ بالحركة الأدبية ،

ثم تأتيا النهضة العامية في كل المجالات هكذا كان الحال مع العرب أيام بني العباس وكان هذا أيضاً هو الحال في نهضة أوربا في مطامح مصورها الحديثة .

لقد بدأ عصر الإسلام الذهبي علم وفلسفة وحضارة — في منتصف القرن الثامن للميلاد — الثاني للهجرة — بعد أن سبقه نهضة أدبية تمثلت في أواخر العصر الأموي في شعراء من أمثال جرير والوليد بن يزيد ، وفي كتاب من أمثال سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الكاتب — وهو أشهر من أن يعرف — والحسن البصري وغيرهم .

وأما عن عصر النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فيكفي أن يقول عنه أكبر مؤرخي العلم « جورج سارتون » « ١٩٥٦ في كتابه History of Science nowhumanism — إنه عصر ذهبي في الفنون والآداب ولكنه عصر مخيب لآمال مؤرخ العلم أي أن مؤرخ العلم لا يجد فيه من العلم ما يستحق أن يؤرخه . (١) ولكن اليقظة قد أعقمت عصر النهضة ، وكان طلائعها في القرن السابع عشر على يد تيسو براه ١٦٠٩ Tycho-Brahe عالم الفلك الدنمركي الذي كان يباشر عمله

(١) مع استثناء لوفارد و دافنشي ١٥١٩ ومكيا فلي ١٥٢٧ والمصورين الفلورنسين الذين مهدوا للشاشة علم التشريح ، وفيساليوس ١٥٦٤ وكوبر نيكوس ١٥٤٣ ولم يكن هؤلاء من أهل العلم الأصلي

فى أول مرصد عرفته أوربا ، وتلميذه
كبلر ١٦٣٠ Kepler الذى استغل ملاحظاته
فى تحديد مدار المريخ حتى توصل بعد تسع
سنين إلى المدار الميضى وترع فى وصح
قوانينه ، وجاليليو ١٦٤٢ Galileo الذى أتم
عامياً رأى كوبرنيكوس ١٥٤٣ Copernicus
فى القول بدوران الأرض ، واختراع
المقرب (التاسكوب Telescope) ، وكان
فجر النهضة العلمية الحديثة ، وكان أول
رائد حديث شغف بالرياضيات واعتبرها
أداة العاوم الفيزيائية . . وغير هؤلاء

بل تقول فى التليل على خطأ الدين
يستخفون بالأدب ويعتبرونه مصيعة لاوقت .
إن الفلسفة تقوم أصلا على منطق العقل ،
وتستبعد العاطفة والخيال ، وتهتم بالتجريد
فتصعد من المحسوس إلى المعقول المجرد
ومع ذلك فإن الماظر فى تاريخها ، قديمه
وحديثه ، لا يملك إلا أن يقول إنها استعانت
بالأدب ، شعره ونثره ، فى التعبير عن أعماق
الأفكار وأدق المعانى :

فالفلسفة منذ أيام أفلاطون - أى منذ
نحو أربعة وعشرين قرناً من الزمان - حتى
يومنا هذا لم تستعن فى فترة من حياتها عن
الخيال أو تتحلل عن الشعر . . فمن قديم

الزمان أدرك حكماء البشرية أن الحقيقة
كثيراً ما تتخفى وراء الأساطير والخرافات
والأقاصيص والحكم الشعبية ، ولهذا قيل
إن الفيلسوف مهما حاول أن يجعل عقلاه
حكماً فى كل قضية تعرض له ، أو أن يعد
فلسفة مجرد أبطار عقلية أو حكمة تمتاز
بالدقة فإنه يجد نفسه محمولاً على أجنحة
الخيال إلى عالم تختلط فيه الحقيقة بالشعر ،
ويمتدح فيه الواقع بالخيال :

وحديثاً عبر الوجوديون عن المواقف
الميتافيزيقية بالأسلوب الروائى ، وكانت
الروايات والقصص والمسرحيات عندهم هى
التعبير الحى عن تجارب الإنسان بوصفه
موجوداً ميتافيزيقياً ، والحقيقة عندهم
لا تدرك بالعقل وحده ، ولهذا يعبرون
عن الواقع كما يتكشف لهم خلال العلاقة
بين الإنسان والعالم ، وهى فعل وعاطمة
قل أن تكون فكراً وتصوراً كما تقول
«سيمون دى بوفوار» ، ومن ثم
أصبحت الرواية غير دخيلة على الفلسفة ،
بل تعبيرا حيا عن المواقف الميتافيزيقية ، وبها
تتكشف علاقة الإنسان بالعالم وبالأخرين :

ومن الفلاسفة المحدثين من كان يقدر
الشعراء حق قدرهم ، وفى مقدمة هؤلاء

« هـرجسون » ١٩٤١ وكان هو نفسه من خيرة الكتاب المحدثين في الفلسفة ، بل كان من الفلاسفة أدباء ، ومن الأدباء فلاسفة ، فكان كبير كجار ١٨٥٥ Kierkegaard ونييتشه ١٩٠٠ Nietzsche والوجوديون المعاصرون من أمثال سارتر ١٩٨٠ وسيمون دى بوفوار يعبرون عن أفكارهم الفلسفية في روايات ومسرحيات وأفلام سينمائية ، بل رأى الفيلسوف الإنجليزي هويتهد ١٩٤٧ A. N. Whitehead الالتجاء إلى الشعراء بين الحين والحين تيسيرا للتعبير عن بعض الأفكار الفلسفية العميقة .

وإذا كان هذا هو شأن الفلسفة مع الأدب ، فإن الأدب بدوره قد احتل في فرنسا إبان السنتين سنة الأخيرة مجال الفلسفة ، ولا أدل على هذا مما نراه في إنتاج الأدباء من مسرحيات وروايات وأشعار ومقالات . شغلت مجالات فلسفية عند أمثال بلزاك ١٨٥٠ وفكتور هوغو ١٨٨٥ V. Hugo وبول فاليري ١٩٤٦ . ومع هذا فإن الأدباء يجأرون بالشكوى من " تطفل الفلسفة على موائد الأدب ، واحتلالها لأرضه على غير إرادته . ربما كان السبب في ذلك شيوع الفلسفة في فرنسا واتساع جمهورها بعد الحرب العالمية الثانية ، بدليل كثرة المحلات الفلسفية

وتعدد المدونات الأدبية والفكرية إلى حد أن أصبحت الفلسفة حديث الناس في الطرقات والملاهي والخوانيت ، ولعل مرجع ذلك إلى أن الفلاسفة قد ارتدوا إلى الاهتمام بدراسة الإنسان ، وهو موضوع الأدب المعاصرة .

وإذا كان من الأدباء المعاصرين من يحتاج على غزو الفلسفة لأرض الأدب ، فإن من الفلاسفة المعاصرين من يهاجم الخلط بين الفن والفلسفة ، فمن ذلك أن بعض أصحاب الوضعية المنطقية ينددون بدعاة الميتافيزيقا الذين يمزجون الفلسفة بالفن ، ويتهمون مداهمهم بأنها خاوية من الحقيقة ، لأن هؤلاء الوصفيين المنطقيين يرون أن وظيفة الفلسفة تقوم في تحليل الألفاظ والعبارات تحليلًا منطقيًا ، في ضوء ما سموه بمبدأ التحقق Principle of Verification ومؤداه أن كل لفظ لا يكون له مدلول حسي في الواقع ، يكون فارغًا من المعنى ، وهذا رأوا أن المحسوس هو وحده الذي يحمل معنى ، وهذا المعيار استبعدوا من محلات البحث : الميتافيزيقا والعلوم الفلسفية المعيارية والفنون على اختلاف أشكالها ، وقالوا إن الميتافيزيقا تبحث في المجردات دون المحسوسات ، وأنها عمل فني لا يستقرى الواقع ، بل يقوم على الخيال ، وأصحابها - في رأيهم -

شعراء قد صلوا سبيلهم وراحوا يقدمون قصائد من نسج الخيال . . . ولما بهم الميثافيزيقية ملاحم شعريه تعبر عن إحساس أصحابها بالوجود والحياة ، بل جاهر رودلف كارنب ١٩٧٠ Camar بأن الموسيقى ربما كانت أقدر من فلسفتهم على تأدية هذه الوظيفة لأنها مجردة من كل عنصر موصوعي ، فالميثافيزيقيون في هذه العصور موسيقيون عديموا كل موهبه موسيقية. . إلى آخر ما رآه في كتابه

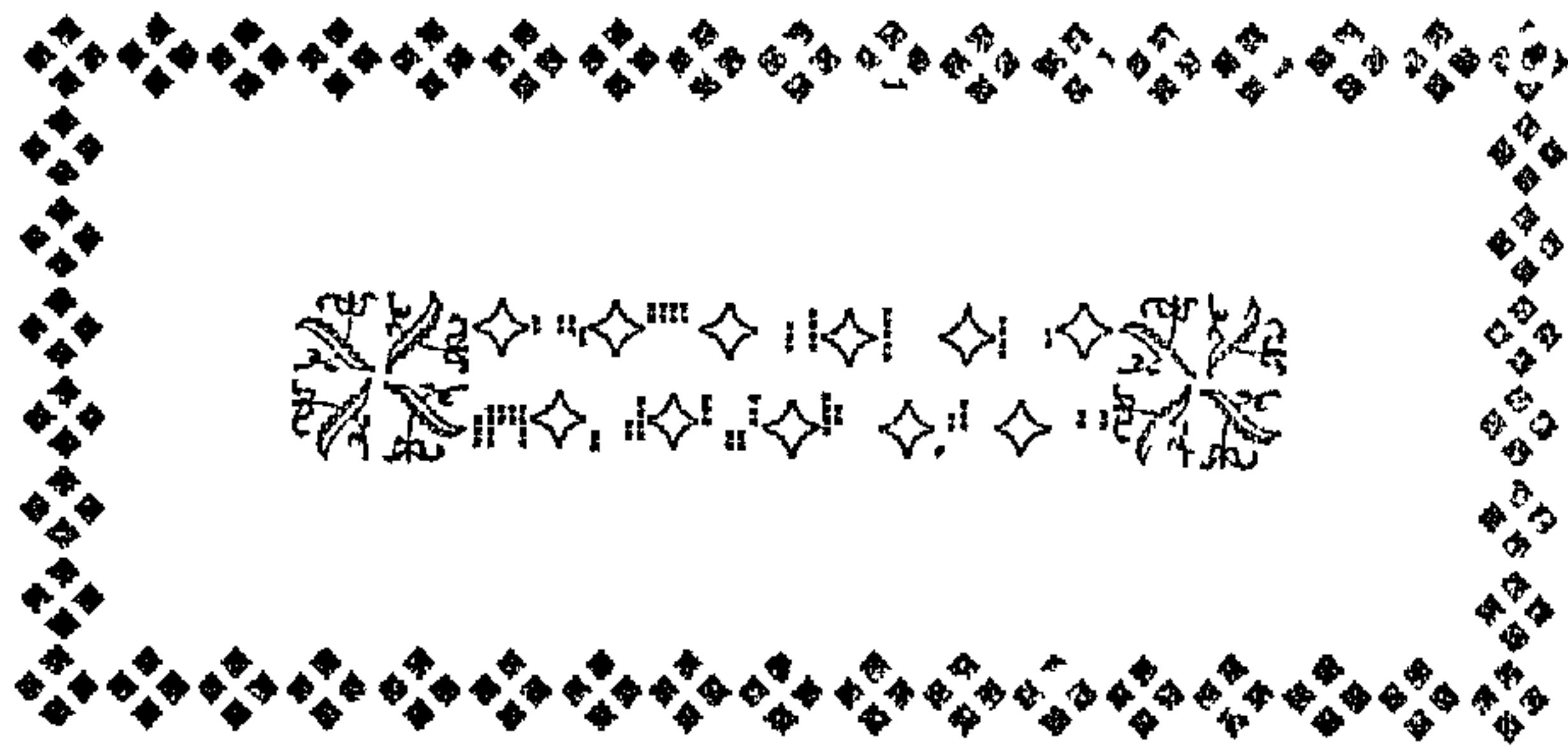
عن العلم والميثافيزيقا مع أن الفلسفة في حقيقة أمرها تستهدف الكشف عن الحقيقة وليس التعبير عن الجمال ، ومعيارها هو الصدق المنطقي ، لا الحسن وبراءة التعبير عن الأحاسيس.

حسبنا هذا بيانا لأهم الفروق الصخمة التي تميز بين لغة الأدب ولغة العلم ، وقد بدا لنا من خلالها أن التعارض بينهما كان يبلغ حد التناقص في أكبر الحالات .

شكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

توفيق الطويل

عضو المجمع



مصادر البحث

شكري محمد عياد : مدخل إلى علم الأسلوب

د رشاد رشدي : ماهو الأدب ؟

د زكريا إبراهيم : مشكلة الفلسفة

د عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر

J.W. Sulivon, The Bases of Modern Science Kal Pearson, The Grammer of Science

Bertrand Russell, The Scientific Gutlook leo Spitzer, linguistics & litterary Hist ,
essays in Stylistics René Wellek & Qustin Warren, Theory of litterature Steplen
ullmann, Language & Style.

S. Ievons, Principles of Science

Su J. Jeans, The New Back ground of Science

J. Conant, Science & lommon Sense

M. Walker, The Nature of the Scientific Thouht

مِرَّةُ السِّنِّينِ

قصيدة للدكتور حسن علي إبراهيم

الوليد تُترى ماذا يروعه ^{١٩} [وَلِمَ تَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ أَدْمَعُهُ
أَهَالَهُ صَرَفَ دَهْرٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ] ^{٢٠} [أَوْ هَلْ تَبْدَى لَهُ فِي الْأَفْقِ مَصْرَعُهُ
وَمُغَادِرَ الْمَهْدِ وَثَابًا وَفَارِقَهُ
سُرْعَانَ مَادِبٍ فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ فَتَى
إِنَّ الشَّبَابَ نَعِيمٌ لَا يَحْسُ بِهِ
قَدْ غَرَّهُ طَيْبَ عَيْشٍ بَاتَ يَغْمُرُهُ
مَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّ الدَّهْرَ مَرَصَدُهُ
سَبَاحَةَ الْمِيلِ مَا كَانَتْ لَتَزْهَقُهُ
نَخَاصِ الْمَلَاعِبِ جَبَارًا يُدَانُ لَهُ
وَمَارَسَ الطَّبَّ جَرَّاحًا وَهَامَ بِهِ
نَخَاضَ الْغَرَامِ فَتِيًّا فَاتَكَ شَرُّهَا
تَبَدَّلَ الْحَالُ مَا قَدْ كَانَ يُولَعُهُ
لَمْ الْوَصَالُ وَقَدْ زَالَتْ دَوَائِعُهُ
مَاذَا دَهَاهُ دَبِيبُ الشَّيْبِ حُلَّ بِهِ

وَصَدْرُ أُمِّ رُؤُومٍ كَانَ يَرْضَعُهُ
إِنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ سَوْفَ يَنْزَعُهُ
بَلْ إِنَّهُ فِي مَسَارِ الْعُمُرِ آيُنَعُهُ
وَعَنْفَوَانُ شَبَابٍ طَلَّ يَخْدَعُهُ
وَأَنَّ ثَوْبَ شَبَابٍ سَوْفَ يَنْزَعُهُ
وَفَرَسُخُ الْجَرَى سَهْلٌ حِينَ يَزْمَعُهُ
مَا مِنْ غَرِيمٍ وَإِلَّا كَانَ يَصْرَعُهُ
وَكَمْ تَجُولُ فِي الْأَجْسَامِ مَبْضَعُهُ
مَا مِنْ ضَمِيرٍ وَنَصِيحٍ كَانَ يَرْدَعُهُ
بِالْأَمْسِ أَصْبَحَ فِي دَا الْيَوْمِ يَفْزَعُهُ
مَا كَانَ يَدْفَعُهُ لِلْوَصْلِ يَمْنَعُهُ
وَنَخَطُ الْمَشْيِيبِ بِفُودٍ صَارَ يَبْذَعُهُ

(*) أُلْقِيَتْ الْقَصِيدَةُ فِي الْحُلُوسَةِ السَّادِسَةِ ٤ / ٥ / ١٩٨٥ م .

ماذا يريد من الدنيا وقد ذهبت
هل الطعام غدا صعباً تَأْكُوكُهُ
إن الضروس هي الباوى ليحلمها
قال الطبيب لكى تهذا مخاوفه
اعتاض عنها بأسنان تضايقه
والأكل صار قليل منه يتخمه
وسلم كان يجرى فى مصاعده
هل زاد ميل خطى قد كان يصعداها
هذى العصا يشتريها كى تساعده
قد كان يسمع همس الريح عابرة
كانت ذراعاه للأثقال حاملة
ما للشتاء أذى بالبرد قارسه
كم سار فيه أَسَمُ الرأس حاسره
والصيف هل زاد حَرًّا كى ينو به
نخاية الناس والدنيا تؤرقه
أين الأحبة والأتراب قد ذهبوا
تعود الفقد والأحساب قد دفنوا
ما ضاق بالخطب مهما ناء كل كلمه
كم نام نوماً عميقاً لا تؤرقه
قد فارق النوم حميه وأسفده
ما حرب الهم إلا هم نزوته
قد كان ينظر للدنيا وفنتها

وهل شباب تولى سوف ترجعه
لا يستساع أم الأسنان توجعه
فالضرس أصبح بعد الضرس يقلعه
لكل سن بديل سوف أصنعه
أيصع الخلق ما للخلق مبدعه
وكان كل طعام ليس يشعه
واليوم صار بشق النفس يطلعه
أم هل علا درج بل كاد يوقعه
فساقه اليوم كات ليس تدفعه
واليوم رعد دوى ما كاد يسمعه
واليوم ناءت بحمل الريش أدرعه
ولم يكن فى قديم العهد يلدعه
واليوم يبقى بعقر الدار يقبعه
وكان يسهجه فى القيط شعثه
يصيق صدرٌ بها والهم يوسعه
من فرى الشمل يوماً هل سيجمعه
فصار فقد قريب ليس يدمعه
والآن صار أقل الخطب يصلعه
رؤى تحقيق ولا الأفكار تحرعه
ليل طويل قليل منه بهجمه
واليوم صار مصير الكون يفزعه
واليوم أصبح للأخرى تطلعه

صدر يجيش بآمال وأنخيلسه
رؤى من الأمل المعسول ترفعه
زالت أمان كمار كان ينشدها
هذى المفاصل كم لانت ولم صلبت
تقوس الظهر وارتجت مفاصله
هذى العويصات ما مرت بخاطره
مارجفة فيه لو أن الدنيا ارتعشت
خائته دكرة كانت تؤازره
كل الحوادث حتى كل ما فربت
ما عاد يذكر شيئاً كان يقرؤه
عانى السعال وسهدا هز مضجعه
باعت وباء بها أحمال أدوية
إن الحياة مضت والموت معترب
قالوا المشيب حميل فى ررانتة
تجمع العلم فيه والنهى رجحت
إن حر ركن الصبا فالعلم بسيدته
تجمعت خصرة الأيام واكتملت
فيه الحصى تم واشتدت قوائمه
مادا يفيد ذرى علم وتحربة
وأى جدوى لعلم لا تؤازره
عانى من الشيب أهوالاً منعصه
متع شبابك بالدنيا وأنعمها
أقول للناس عيشوا قدر طاقتكم

واليوم ضاقت بصرف الدهر أضاعه
فكان فوق مسار النجم مطبوعه
فاليوم صار أديم الأرض يقبعه
سير الزمان على عظم يصعبه
وضاق من ألم فيها يروعه
يعيرها اليوم خط ليس يقشعه
والبوم ارتجفت فى الخط أصبعه
فكل ما مر فيها كان يرجعه
تبهرت ومضت كالشوب يخاعه
بالأمس سهواً وصار السهو يتبعه
وكل ماهز ببضا صار يسرعه
تنخف دائ كطهر بان يرفعه
كناس الماية دان سوف يعجره
وأنه فى طريق العمر أمتعته
وكل أمر أتاه صار يسدعه
ما هذه السن إن العام يرفعه
فيه المعارف فهى اليوم تلمعه
وطول تحربة فى العمر تنفعه
يعدو تراباً ببطن الأرض موضعه
قوى الصبا وشباب ليس يدوعه
لو أن للشيب أنفاً كان يجذعه
فإن كل نعيم سوف تجمعه
مع الشباب وقولى من سيسمعه

من كنائش النواور

بدرستاز عبد السلام هاروت

(٦)

الكرم الحامى :

عبارة خالده امتدت عبر التاريخ من عصر
المثل السائر : « أحواد بن حاتم »

إن أحواد العرب كثير و ، تكمل صاحب
العقد بدر أحوارهم في تفصيل ، وجمعهم فربقى
فريق في ذلال الخاهيه ، وفريق في نور
الإسلام أما أهل الخاهيه مدحار صاحب
العقد (١) إليهم قائل : الدين انتهى إليهم الجود
في الخاهيه ثلاثه هم حاتم بن عبد الله
الطائي ، وهرم بن سنان المزي ، وكتب
ابن مامة الإيادي

و أما أحواد أهل الإسلام (٢) وأحد عشر
رجلا في عصر واحد لم يكن فيهم ولا بعدهم
متابعهم فمن الحجار طهر عبید الله بن العباس
عبد الله بن جعفر . وسعيد بن العاص ،
ثلاثة ، وحمسه معهم من أحواد البصرة
عبد الله بن عامر بن كرير . وعبيد الله
بن أبي بكرة مولى رسول الله . ومسلم

ابن رباد ، وعبيد الله بن معمر الصرمي ،
وطاحه الطامحات الذي يقول له العر .

بصّر الله أعظم دعوها

بسيحستان طامحة الطامحات

و ثلاثه من أهل الكوفة . عتاب بن رفاء
الرياحي . وأسما بن حارثة الغراري ،
وعكرمة بن رعي النخعي .

ورسم صاحب العقد لكل من هؤلاء
صوراً رائعة من الجود والسماحة والذي
تنبأ عن طب العنصر العربي في ساهيته
وإسلامه سم ألقى بكل أولئك طبقة ثانية
من أحواد الإسلام تنهت في الحكم بن . طب
الذي كان والياً على مروج فعال رجل من أهله :
فدم عايها الحكم وهو ملاق فقير ماغنا
وأقرانا أفضل له كيف أعناكم وهو مير ؟
قال . عايها المكارم فعاد عينا على رنا :
يعني ما كان منه من قدوه فاعاه .

(*) ألفت في يوم الثلاثاء ١٣ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥ هـ من مارس سنة ١٩١٥ .

(١) العقد ١ : ٢٨٧ .

(٢) العقد ١ : ٢٩٣ .

ومن رجال هذه الطبقة الثانية : معن بن رائدة الذي قيل فيه : « حدث عن البحر ولا حرج ، وحدث عن معن ولا حرج » . ومنهم كذلك . يزيد بن المهلب ، الذي مر في طريقه إلى البصرة بأعرابية فأهدت إليه عنزاً فقبلها وقال لأبيه معاوية بن يزيد : ما عندك من نفقة ؟ قال : ثمانمائة درهم . قال ادفعها إليها . قال : إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير . قال : إن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي . وإن كان يرضيها اليسير فأنا لا أرضى لها إلا بالكثير .

ومنهم (١) يزيد بن حاتم الأزدي الذي قال الشاعر بيه وبين يزيد آخر ، وهو يزيد بن أسيد القيسي ، في حود الأول وشح الثاني فقال

لشعثان ما بين البريدين في المدى

يزيد سام والأغر ابن حاتم

فهم الفتي الأزدي إتلاف ماء

وهم الفتي القيسي جمع السراهم

وهم كذلك أبو دلف ، ومعن بن

رائدة . وحالد بن عبد الله القسري ،

وعدي بن حاتم الطائي الذي قال فيه الشاعر

أبوك حواد لا يشق غباره

وأنت حواد ما تعذر بالعلل

ولا ريب أن رأس هؤلاء جميعاً حاتم الطائي ، الذي نشأ في بيت كله شهامة وكرم كانت أمه ذات يسار ، وكانت من أسخى الناس وأقراهم لصيف ، وكانت لا تمسك شيئاً تملكه ، فلما رأى إخوتها إتلافها ذلك حجبوا عليها ، ومعهوها مالها ، فمكثت دهرها لا يدع إليها تنج منه . حتى إذا ظموا أنها قد وحد ألم ذاك أعطوها صيرمة من إبلها ، أي قطيعاً . فاحتاجتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها . دويك هذه الصيرمة فحدها ، فوالله لقد عصني من الجوع ما لا أعـ مع سائلاً .

هذه أمه أما بدته سماعة بنت حاتم فيقول

أبو المرج (٢) كانت من أحوذ نساء العرب .

وكان أبوها يعطيها الصدقة بعد الصدقة من إبله فتسهرها وتعطيها الناس .

ولعل أعجب صورته حفظها التاريخ

من صور كرمه مارواه أبو المرج عند حدوت

جماعة بالبادية أدهمت الخف والظلف ،

وحاءته إمرأه تشكو جوع صبياتها ، ولم يكن

عنده ما يجوده ، فمادا يصنع ؟ قام حاتم

إلى فرسه فذبحها ، ثم أوقد النار وأججها ،

ودفع إلى المرأة شمرة حادة وقال لها .

استوي وكلي ثم جعل يأتي بيوت الخبيث ويقول

اهصوا ، عايكم بالنار . فاحتتموا حول تلك

النرس وحاس ناحية ، يقول أبو الفرج .

فما أصبحوا ومن الفرس قليل ولا كثير

(١) المقدم ١١ ٣٠٢

(٢) الأعاني ١٦ ٩٣

(٣) الأعاني ١٦ ٩٤ .

إله عظيم وحافر ، وإنه لأشد جوعاً منهم
وما ذاقه .

هذه الصورة العظيمة من الإيثار مع
الخصاصة هي التي خلدت ذكر حاتم
ورفعته مكاناً بين العرب علياً ، ولكن هل
يسلم الشرف الرفيع من الأذى ؟

لقد لقي حاتم من شعراء عصره من
يهجوه أقذع الهجاء ، ويقول فيه (١) :

لعمرى وما عمرى على بهين
له من الفتى المدعو بالليل حاتم
عامة أتى كالثور أخرج فائق
نحيبته أقتاله وهو قائم

كان بصحراء العميط عمامة
تبادرها حجب الطلح نعام
أعارتك رجليها وهائي لبها
وقد حردت بيض المتون صوارم

جعلته كالثور الحائر وقد أحيط به فام
يخر حراكاً ، كما شبهه بالعمامة الشاردة الحمقاء
وهذا عاينه في المحو .

وهجاء شاعر آخر بأنه لا يصنع المعروف
ولا يستعمله ، وأنه بعيد كل البعد عن البر
والإحسان فقال :

لعمرى وما عمرى على بهين -
لقد ساءتني طورين في الشعر حاتم

أيقظان في بخصائنا وهجائنا
وأنت عن المعروف والبر نائم

وهكذا لا يستطيع امرؤ مهيباً بلغ قدره
أن يلقى إجماعاً على اعتراف الناس له
بالفضل

ومن ذا الذي ترجى سجايه كلها
كبي المرء نبلاً أن تعد معاييه

بر الأبناء :

هذا خالد بن عبد الله العمري يضرب مثلاً
رائعاً من أمثلة سماحة الإسلام الذي لا يكره
أحدًا على الدحول فيه « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي » وهناك أمر آخر
حرص الإسلام عليه أشد الحرص ودعا
إليه في إنجاب محكم . « ووصينا الإنسان
بوالديه إحساناً » والأم الوالدة أحق الناس
بحسن الرعاية وكريم العناية

ومن هذا المنطلق رأى خالد بن عبد الله
العمري ، وهو أمير الكوفة أن يبنى لأمه -
وكانت بصرية - بيعة تتعمد فيها هي ومن
على محلتها من المسيحيين

وقد وجدت هذا النص النادر في معجم
البلدان لياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ (١) عند
الكلام على (بيعة خالد) قال . منسوبة
إلى خالد بن عبد الله العمري ، كان بناها

(١) معجم البلدان ٢ . ٣٣٩ .

لأمه وكانت نصرانية ، وبني حولها جوانيت
بالآحر والجص ، وذاك لتعمير هذه المقعة
تم وجدت أبا المرح الأصهباني (١) الساني
ليافوت ، نحو ثلاثة قرون ، يذكر هذا الخبر
أيضا ويقول : إن أم خالد كانت رومية
نصرانية ، فهي لها كنيسة في طهر قناه المسجد
الجامع بالكوفة .

وفي تاريخ الطبري في عمه مواضع أنه
كان يقال لخالد بن عبد الله القسري هذا :
« ابن النصرانية » ولكنه مع هذا التعبير السامع
لم يستطع عقرو أمه أو طرح البر بها . بل
مكنها كما تمكن المسيحيون في سرعد الإسلام
السويحة من أداء شعائهم الدينية

عيد الغطاس :

لعل أقدم من أخرى إذ ذكرها هو المؤرخ
الخغرافي القديم أبو الحسن المسعودي المتوفى
سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب (٢)

والغطاس عيد من أعياد البصري في مصر
يقول المسعودي « وأهل مصر يمتحرون
بصماء النيل في هذا الوقت . وفيه يختزن المياه

أهل تيس . ودمياط ، وتونة (٤) ، وسائر
قرى البحيرة ويسوق المسعودي تصويرا لما
كان يجري في ليلة الغطاس يقول « وليلة
الغطاس بمصر تنان عظيم عند أهلها ، لا ينام
الناس فيها ، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي
من طوبة وستة من كابون الثاني

ولقد حصرت منه تلاتين وتامة ليلة
الغطاس بمصر . والإحشيد محمد بن طنج
في داره المعروفة بالمختاره في الحريرة الراكبة
لنيل النيل يطيف بها . وقد أمر وأسرح
من حارب الحريرة وحارب المصطاط ألنا
وسجل غير ما أسرح أهل مصر من المتاعل
والسمع . وقد حصرت النيل في تلك الليلة وثو
آلاف من الناس من المسلمين والمصري
من المأكول والتارب والانس وآلات الذهب
والفضة . والخواهر والملاهي . والحرف
والقصص . وهي أحد ليالي يكون بمصر
وأسماء سرورا ولا تعان فيها الدروب
ويعطس أكثرهم في النيل . ويرعمون أن
ذاك أهل من المرحض ومبرئ للما

ويأتي من بعده أحمد بن علي القماشدي
بماهرى المتوفى سنة ٨٢١ فيذكر أن أعياد
المنطق المته بوره أربعة عشر عيداً (٥) . وهي على

(١) الأعلام ١٩ - ٥٩

(٢) الطبري ٦ - ٩٠ - ١٥١ - ٥٣٣ .

(٣) تاريخ ١ - ٥١ - ٣٤٣

(٤) تواتر أخبار حيرته قرب نيل ودمياط من الدار المصرية . يصرب المثل حسن معمول بنامها وطرارها
هذا صرك قوت وأما البحيرة فهي تسمية مدينة حذاء وياقوت المتوفى ٦٢٦ سمى بها بحيرة الإسكندرية ونقول ليست
بحيرة ماء . بل هي كورة مد رقة من وادي الإسكندرية بمصر وشبلى على وري كشيرة ودخل واسع .

(٥) صحيح الأعشى ٤ - ٦٥ - ٤٢٦

ضربين : صغار وكبار ، ويجعل خاتمة الأعياد
الكبار عيد العطاس ، يقول . ويعملونه
في الحادي عشر من طوبة من شهر القبط
تم يذكر أن أصل هذا العيد أمر ديني . وهو
أن يحيى بن زكريا عاينه السلام . ويعتونه
بالمعمدان ، غسل عيسى عليه السلام بسحبه
الأردن . وأن عيسى لما خرج من الماء اتصل
به روح القدس على هيئة حمامة . والمصري
يعمسون أولادهم فيه في الماء مع أنه يقع في
شده البرد .

ويقول القائله بعد ذلك إلا أن عقمه
يحمي الوقت - أي تطهر حراره الجو
يقول المصريون عطستم صفتهم ، ونوررتهم
شتيتهم . ومن المعروف أن عيد البرور يكون
في شهر توت من أول السنه القبطيه .

ويأتي من بعدهما شهر الدين أحمد
الحموي المتوفي سنة ١٠٩٨ في كتابه «عجائب
المحاورات» وهو غير صاحب «عجائب
المحاورات» المعروف بالقرويني والمتوفي سنة
٦٨٢ فيذكر محو مما ذكر القائله في ويتولى
عمله من بعد ذلك العلامة الآلوسي في باوع
الأرب^(١) معروا إليه

السلام القبطي :

هذا هو أبر عمرو عبد الملك بن عمير بن
سويد الاحمسي الآلوسي القبطي المصري . كان
قاضيا على الكوفة بعد الشعي بذكره
أنه رأى على من أتى طالب . وروى عن
حار بن عبد الله . ويروى ابن حلكان (٢)
أنه قد عمر حتى باع عمره مائه سنة وثلاث
سنوات .

و روى ابن خلكان عنه أنه قال . كتب
عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين
حىء برأس مصعب بن الزبير هو وضع بين
يديه . فرأى هذا ارتعدت . فقال لي . مالك
فأب أعيدك بالله يا أمير المؤمنين . كتب
هذا المصير بهذا الموضع مع عبد الله بن زياد
فرأى رأس الحسين بن علي بن أبي طالب
بين يديه في هذا المكان ثم كتب فيه مع
مصعب بن الزبير هذا فرأيت فيه رأس
المختار بين يديه . ثم هذا رأس مصعب بن
الزبير بين يديك . قال فقام عبد الملك من
موضعه وأمر بهدم ذلك الطاق الذي كان فيه (٣)

ثم يقول ابن خلكان والقبطي بكسر
القاف وسكون الهمزة الموحده وكسر الطاء
المهملة ، هذه السنه إلى ال . وهو فرس

(١) بلوغ الأرب ٢ . ٣٥٨ .

(٢) في تاريخ - ١٤٠٠ - ٢٨٦

(٣) الطاق . ما عطف من الأسمه ، وعقد البناء حيث كان . والجمع طاقات وأطواق وطيقان .

سابق كان له فنسب إليه والفرسى نسبة إلى هذا المرس أيضا وأكثر الناس يصححه بالقرشى .

وفد ذكر القرصى في كتاب المشتبه (١) ، وقال « كان له فرس يقال له القمطى فعرف بمرسه » وفي حواشى المشتبه عن ابن ناصر الدين محمد بن أبى بكر القيسى « ومهمم بحر بن عبد الله القمطى ، مولى بنى غفار ، وفد رسولا من المقوقس ، اريية القمطيه إلى رسول الله ﷺ قال سعيد بن عفير فالقمطى تمتحجر بحر هذا الذى توى سنة ٦٣ ومهمم أبو رافع القمطى مولى رسول الله ﷺ مهاتان السببتان الأخيرتان إذن لم تكونا نسبة دينيه ، بل نسبة إلى العصر المصرى الذى كان يسميه العرب بالقمط فى ذاك الزمان القديم

تحقيق عسكرى :

لخط المسعودى . وهو يقرأ كتب المعارى والسير آل المؤرخين يحتاجون إلى عدد العروات والسرايا والسوارب والبغوت ، وعددها بعضهم ثلاثا وستين . وبعضهم ستا وستين . وبعضهم ستا وستين . وأن محمد بن إسحاق جعلها حمسا وثلاثين والواقلى ثمانى وأربعين والمسعودى تحقيق . وقد عرا ذلك الخلاف إلى أن مهمم من يعتقد سرايا لا يعتد بها آخرون لأن بعض السرايا كان يطاق من بعض المعارى . ويمردها

بعضهم . وجعلها البعض الآخر فى حملة المعارى

ثم ذكر أن الصابط الحق الذى اعتمده دور المعرفة بسياسة الحروب وتدبير العساكر والجيوش ومقاديرها وسماها أن السرايا ما بين الثلاثة إلى الخمسمائة ، وهى التى تخرج بالليل . فأما التى تخرج النهار فهى السوارب . من قوله تعالى « من هو مستخف بالليل وسارب النهار » فالذين كثروا العدد صمموا السوارب إلى السرايا .

ثم يقول . وما زاد على الخمسمائة إلى دور الثمانمائة فهى المناسر . وما بلغ الثمانمائة فهو حيش . وما زاد على الثمانمائة إلى دور الألف فهو الخشخاش وما بلغ الألف فهو الخيش الأرم ، وما بلغ الأربعة آلاف فهو الخيش المحمل ، وما بلغ اثنى عشر ألفا فهو الخيش الجرار . وإذا افرقت السرايا والسوارب بعد خروجها فما كان دور الأربعين فهى الجرائد . وما كان من الأربعين إلى دور الثلاثمائة فهى المقانب . وما كان من الثلاثمائة إلى دور الخمسمائة فهى الحميرات وكانوا يسمون الأربعين رجلا إذا وجهوا العصاة .

ثم يقول « ويقول الناس فيما ذكرنا كلاما كثيرا . وقد ذكرنا من ذلك احوال ما قبل وأخره (٢) .

(١) المشتبه ١ ٢٨٦

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودى ٢٤٢ - ٢٤٤ .

حساب العقد :

يقول الجاحظ في أحصره لأنواع الدلالات على المعاني ، في كتاب البيان والتبيين ^(١) . « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد . أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى بصفة ، والنصفة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات »

ويقول أيضا في تفسير النصفة ^(٢) : إنها الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيئة بغير اليد ، وذلك ظاهر في حاق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق . ومثل الجاحظ لذلك بالإسكندر الذي قام أحد الخطباء يؤبنه وقد قام الخطيب على سريرته وهو مسجى ، يقول : « الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعط منه أمس » . وكأنه نطق بأن كل حي إلى فناء .

وكما لاحظ أنه جعل أنواع الدلالات في كتاب الحيوان ^(٣) أربع دلالات فقط : لفظ ، وخط ، وعقد ، وإشارة فأغفل ذكر النصفة هذه . وليس بين النصين تناقض ، فإن الجاحظ وإن لم ينص في الحيوان عليها نصا صريحا ، فإنه جاء بها في ختام هذا

التقسيم ضمما ، إذ يقول بعد كلام طويل : « والأحسام الحرس الصامتة ، ناطقة من جهة الدلالة ومعربة من جهة صحتها الشهادة ، كما خبر الهزال وك . وف الأول عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن وحسن البصره عن حسن الحال » .

ويقول : « فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مداهما له جواز في اللغة ، وشاهد في العقل » .

وبذلك يرتفع الخلاف بين هذين النصين

الذي يعيننا من هذا كله كلمة « العقد » الذي جعله الجاحظ ضرباً من ضروب الدلالة . وهو استعمال قديم جداً ترجع جذوره إلى عهود الجاهلية الأولى .

والعقد : نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له « حساب اليد » . وهو طريقة حسابية إشارية كان العرب يستعملونها ، يعبرون بها عن العدد ولا سيما عند المساواة على البيع .

وقد ورد في صحيح البخاري ^(٤) من حديث سفيان بن عيينة يسوق السد إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش ، قالت

(١) البيان ١ : ٧٦ .

(٢) البيان ١ : ٨١ .

(٣) الحيوان ١ : ٣٣ - ٣٥ .

(٤) الألف المختارة ، الحديث ٨٩٦ .

«استنظ السبي ^{عليه السلام} من اليوم محمرا وجهه
يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب . من
شر تد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج
ومأجوج مثل هذه . وعقد سميان تسعين
أو مائة »

وقد فسر سراح الحدايت عند التسعين بأن
يجعل الرجل طرف إصبعه السابعة اليمنى في
أصابعها ، ويضمها ضما محكما بحيث تطوى
عقد ها حتى نصير كالحية المطوية وأن عقد
المائة مثل عقد التسعين لكن بالخصر اليمنى
وأقول أيضا إن استعمال العقد في الحساب
لا يزال مستعملا عند العرب ، بل عند
الشعوب قاطبة ، حيث تسعمل أصابع
اليدين العشر في الدلالة على العدد ، نرى
الأصابع واحدة إثر أخرى بدءا بالإبهام
أو الخمصر في إحدى اليدين .

لكن العقد عند العرب عقد له نظام مقنن
معقد يقول فيه المعدادي (١) « وقد ألغوا
فيه كتبا وأراحير ، منها أرحوره أي الحس
بن علي ، الشهير بابن المعري وقد سرحهما
عند القادر بن علي بن سليمان العوفي .
منها في عقد الثلاثين .

واصممهما عند الثلاثين ترى

كقباص الإبرة من فوق التري

قال شارح الأرجورة « أشار إلى أن

الثلاثين تحصل بوضع إبهامك إلى طرف
السابعة ، أي جمع طرفيهما كقباص الإبرة » .

(١) الخزانة ٧ : ٥٣٨

(٢) الموشح لمرزبان ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ثانية

ومن شواهد العقد في مأثور الأدب ما روى
المرزبان في الموشح (٢) من أن نصيبا استنشد
الكهيت من شعره فاستمع له ، فكان فيما
أدشده .

وقد رأينا بها حورا معمة
بصبها تكامل فيها الدل والشنب
وأن نصيبا تى حصره وفي روايه
أخرى فعقد نصيب بيده واحداً ، فقال له
الكهيت ما تصنع ؟ قال أحصى خطأك .
تواعدت في قولك . « تكامل فيها الدل
والشنب » هلاقات كما قال ذو الرمة .

لمياء في شمتيها حوه لعس
وفي اللات وفي أنيابها شنب

وهذا البص يشير إلى أن العرب كانوا
يشيرون إلى الواحد بتى الخصر وهو أصغر
الأصابع ومن ذلك قول العرب : فلان تى
عاليه الخصر ، أي هو واحد دهره وفريد
عصره

أخبركم فلان ، وحدثكم فلان :

المألوف في عبارات المحدثين عند الرواية
أن يقول الراوي حدثنا فلان ، أو أخبرنا ،
أو أبانا . ودان حين يسمع الحديث من
الشيخ ومعه غيره من طلاب الحديث .
وأن يقول : حدثني أو خبرني ، أو أبائي
إذا انورد الراوي بالسماع من الشيخ . لكننا

نجد في بعض عناصر الرواية مبدأ غريباً يتضمن التعريون بين أخبارنا وحدثنا ، وأن أول من أحدث الفرق بين هذين اللفظين هو ابن وهب تحدث مصر . فعبارة حدثنا تمتضي أن الشيخ بطون بامط الحديث وأن الطالب قد سمعه منه . وأما أخبرنا فتعوم مقام قول الفائل . «أنا فرأته عايه» لا أنه لمط به لي .

ونجد نصاً عربياً آخر ، وهو التفرقة بين أخبركم فلاں أو حدثكم فلاں . وهذه إنما تتأتى حين يحكى الطالب عنه قراءته على الشيخ كتاباً مسنداً كصحیح البخاری من رواية معينه . كروايه المربری . وإذا قرأ الطالب ما أمامه في الكتاب فإذا يقول حين يترمت ؟ لا بد على هذا أنه يقول . أخبركم أو حدثكم المربری ، لأن الطالب لم يخبره المربری ولم يحدثه

ومن المبالغة في الدقة في هذا ما وجدته في مقدمة ابن الصلاح عند الكلام على أقسام طرق نقل الحديث^(١) من حكاية عن أبي حاتم الهروي أحد رؤساء أهل الحديث بخراسان ، أنه قرأ على بعض السيوخ عن المربري صحيح البخاري ، وكان الشيخ يقول له في بدء كل حديث . «حدثكم المربري» فلما فرغ من

الكتاب سمع الشيخ يذكر أنه إنما سمع الكتاب من المربري قراءه عايه ، أي إن الشيخ لم يسمع لمط شيخه ، بل سمع لمط القاري عايه . فما كان من أبي حاتم الهروي المتزمت إلا أن أعاد قراءه صحيح البخاري كله على ذلك الشيخ مره أخرى . وكان هذه المره يقول في بدء كل حديث : أخبركم المربري .

وفاء وجدته تطبيهما لهذا في الجزء الأول من تفسير الطبري . قال أبو جعفر إن سألنا سائل فقال إناك ذكرت أنه غير جائز أن مخاطب الله تعالى ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهم ، وأن يرسل إليه رسالته إلا باللسان الذي يفهمه . فما أت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الأردى ، قال حدثنا حكام بن مسلم قال حدثنا عبيد بن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبي موسى ، وفيما حدثكم به . . . وفيما حدثكم به . . . يكرر هذا ثلاث مرات

ثم يقول . قال أبو جعفر وكل ما فاما في هذا الكتاب حدثكم فاما حدثونا به .

ومهما يكن من أمر فاما صيغة نادره في الحديث ، يصعب الحصول عليها في كتب

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ٥٥ .

(٢) تفسير الطبري ١ ١٣ .

الحديث والآثار وهي مطهر من مظاهر
الدقة الصارمة في رواية الحديث .

الشيراز والشواريز :

ترد هاتان الكلمتان في كثير من
المخطوطات عرفتني على وجوه شتى ، فيقال
شبراز وشبراد وشوارير وشوانيز وغير ذلك
والحق أن صواب الكلمة الأولى .
« شيرار » ، وهو نوع من اللبن المأكول . وقد
يظن أن الكلمة فارسية لأنها لم ترد في معاجم
اللغة العربية ، ولكن المعاجم الفارسية ومنها معجم
استينجاس^(١) تذكر الكلمة مقرونة بالرمز A
الذي يدل على أن الفارسية أخذتها من العربية .
وبذلك تنتمي نسبتها إلى الفارسية ويثبت أنها
من الكلمات الدخيلة على العربية وأن المرس -
بعد ذلك تلقصوها من العربية وقد فسرهما
استينجاس بقوله : Asort of cheese
أي ضرب من اللبن . ووجدت في كتاب
الطبيخ^(٢) للبغدادي ضرباً من الأطعمة هو
شيرار بيقول فيه التنعاع والكرفس .

ويروى يا قوت في معجم البلدان في رسم
(النهران) قصة ليهودي ساحر أراد أن

يلبس سما إلى أحد الأكاسرة ، فقدم له
عضارة من ذهب^(٣) فيها شيرار في عاية
الطيب ، وطرح في الشيراز قرطاسا كان
فيه سم ساعة . إلخ . والقصة فيه مطولة

ومن أقدم النصوص التي ورد فيها لفظ
الشوارير القصة التي أوردها ابن الدليم في
الفهرست^(٤) . عن أبي بكر بن دريد قال .
رأيت رجلاً في الوراقين بالبصرة ، يقرأ
كتاب المطلق لابن السكيت ، ويقدم الكوفيين
فقلت لرياشي ، وكان قاعداً في الوراقين ،
ما قال - يعني تقديمه للكوفيين - فقال -
والرياشي بصرى - إنما أخذنا اللغة من
حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أي
الكوفيون أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة
الكواميح^(٥) والشواريز ، وكلاماً يشبه هذا .
وفاة ابن الدليم سنة ٣٨٥ و وفاة الرياشي
سنة ٢٥٧

وهذا النص يطالعنا أيضاً على طاهرة
من طواهر التعليم ، إذ كانت سوق الوراقين
محالاً للتعليم والمدارسه ، يتلاقى فيها الطلاب
والشيوخ يخدمون العلم . ولأمر ما نهض العرب
الأول بذلك نهضة علمية مباركة .

(١) معجم استينجاس ٧٧٣

(٢) الطبيخ لمحمد بن حسن البغدادي المتوفى نحو سنة ٦٢٣ . وعنايته منه نسخة مطبوعة نادرة .

(٣) العضارة : وعاء من حزم .

(٤) فهرست ابن الدليم ٨٦

(٥) الكوامخ . ضرب من الصبغ يؤتد به ، نحو ما يقال له المستردة .

وهذا مطهر آخر من مظاهر الحرص على التقافة، وفيه عجب أيضا. يروى السيوطي في المعية^(١) في ترجمة محمد بن يوسف الخزري المتوفى سنة ٧١١ أنه كان حسن الصورة، مليح الشكل، حلوا عماره كريم الأخلاق، ساعيا في حوائج الناس، وأنه نصبت نفسه للإقراء، فقرأ عذابه المسامون واليهود والنصارى.

باب الخلق :

تسمية حديثه جدا لهذا الحي من أحياء^(٢) القاهرة الذي تقوم إلى الآن فيه دار الكتب المصرية القديمة وكان يجري فيه الخايج الذي أقيمت فوقه بعض القباطر، منها قنطرة سقر، وقنطرة الدكة، وقنطرة الذي كسر وقد شاهدنا هذا الخايج يابسا قبل أن يردم ويجرى فيه الترام، وكان باب الخلق هذا متنزها شعيا تحرق فيه الرياح، ولعل هذا سبب تسميته بباب الحرق.

وقد استمرت التسمية بباب الحرق بالراء إلى عهد علي مبارك صاحب الخطط التوفيقية المتوفى سنة ١٨٩٣ الذي كتب فيه بحثا طويلا في هذه الخطط وبين حدوده وما تفرع منه من الشوارع والحواري والأزقة، كما ذكر قصور بعض الأعيان الذين كانوا يمشون في هذا الحي، وقال ابتداءؤه من آخر شارع تحت الربع، وامتداه أول شارع عيط العاده بحوار مسجدا الساطان ساه.

وأقدم مرجح ذكره بهذه الصورة « باب الحرق » هو الخطط المصرية لأحمد بن علي المقرري المتوفى سنة ٨٤٥ قال « قنطره باب الحرق يقال للأرض البعيدة التي تحرقها الرياح لاسنواها : الحرق » وهذا تعليل للتسمية . ثم يقول : « وهذه القنطرة على الخليج الكبير كان موجه عنها ساحلا وموردة للسقائين في أيام الخلفاء العاطميين . فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطاني بأرض اللوق . وعمر به المناظر في سنة ٣٦٩ أنشأ هذه القنطرة لمر عليها إلى الميدان المذكور . وقيل لها قنطره باب الحرق » وهذا النص يطالعنا أيضا على بدء هذه التسمية التي حرقت من عهد قريب إلى باب الخلق ، تأديبا

وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمولى محمد أمين الحبي المتوفى سنة ١١١١ هجرية في ترجمة عبد الله بن محمد المعروف بابن الصبيان، أن هذا المترجم ابن الصبيان ذكره المناوي في طبقات الأولياء، وقال في ترجمته : « شأ وقرأ القرآن عند ابن الماديلي بباب الحرق »

وهذا مثال من أمثلة التغيير في أعلام التاريخ، فلو لا هذه الوثائق لسار في التاريخ

(١) معية السوطي ١٢٠

(٢) الخطط التوفيقية ٣ ٥١ .

(٣) الخطط المصرية ٣ ١٤٧

(٤) خلاصة الأثر ٣ ٦٤١ .

أن هذه التسمية الحادية المحرقة هي التسمية
الأسيلة لهذا الحي . ولضاع معام مهمما يكن
صئيل الميمه فان له قيمه تاريخيه حصاريه

العبد اللاوى :

ويسميه العامه في مصر « العبد لاوى »
تتشديد اللام . وهو ضرب من التمام يقال
للأنحصر منه في مصر « عبحور » وإذا أصبح
اصغر واكتسب حلاوة ورائحة طيبه يقال
أى شىء تنتمى هذه النسبه ٢

إن تسميته بذلك قديمة جدا ترجع إلى عهد
الوالى العربى عبد الله بن طاهر الجراعى الذى
ولى مصر من قبل المأمون سنة ٢١٠هـ وفيه يقول
بعض الشعراء :

يقول أناس إن مصرا بعيدة
وما بعد مصر وفيها اس طاهر

ويقول اس حاكمان (١) . « وذكر الوزير
أبو القاسم بن المعرى في كتاب أدب
الخواص إن المطيح العبد لاوى المرحرد
بالديار المصرية منسوب إلى عبد الله المذكور »
ويقول اس حاكمان أيضا « وهذا النوع
من المطيح لم أره في شىء من البلاد سوى
الديار المصرية » وعال نسبته إليه بقوله

« ولعاه نسب إليه لأنه كان يستطيعه ، أو أنه
أول من ررعه هناك » .

ويدكر الأمير مصطفى الشهابى في معجمه (٢)
أن عبد اللاوى هو العبدلى والعبدلاوى على
ما ذكره عبد اللطيف المعدادى وغيره «

وفد وحدته برسم (العبدلى) عبد داود
الأنطاكى في رسم (المطيح) ووضع به بأنه
بطح له عنق طويل ياتوى ، وفي الجهة
الأخرى رأس يطول إلى نحو شهر ، والوسط
كبير ، أصاه من سمرقند ، ويسمى عبدنا
الشرى ، وبمصر . العبدلى

الملوخية :

كلمة لم تعرفها العرب ، ولا حرت
على لسانها ، وإنما عرفوا أحتها وتثقيتها :
« الخمارى » التى تذكر المعاحم أنها بقلة
معروفة عريضة الورق .

والملوخية أه الملوكية يعرفها الباتيون
وعلماء المهردات الطيبة أنها النوع البستانى
من الخمارى البرية . وذكر صاحب المعتمد
يوسف بن رسولا صاحب اليمن المتوفى
سنة ٦٩٥هـ أنها التى يسميها أهل الشام :
الملوكية (٣) . ويقول الأمير مصطفى الشهابى (٤)

(١) وفيات الأعيان ٢٦٢

(٢) معجم الألفاظ الزراعية ١٧٨

(٣) المعتمد لاس رسولا ص ٣٥٢

(٤) معجم الألفاظ الزراعية ص ١٨٤ .

لعل أصلها ملوكية بالكاف ، كما ذكر الخفاجي في شفاء الغليل (١) . ولكن الأرجح أنها من ملوحيون أو ماوخي اليونانيتين الدالتين على الحباري ، وقد انتقل اللفظ إلى السريانية فالعربية .

وفي المعتمد أيضا أنها الملوكية (٢) ، وهي ضرب من الحباري ، واجوده الأحصر العظيم الورق الذي قصبانه إلى الخمره . وذكرها دواد الأبطاكي في التذكرة في رسم الحباري . ووصفها بسحو ما في المعتمد .

وفد بين تاريخها صاحب سماء العايل فقال : « ولم تكن معروفة قديما وحدث بعد سنة ثمانئة وستين من الهجرة ، وسببها ان المعز باي القاهرة لما دخل إلى مصر لم يوافقه هواؤها وأصابه يابس في مزاجه فدبر له الأطباء قانونا من العلاج من هذا العناء فوجد له نفعاً عظيماً في التبريد والترطيب وعوفي من مرضه فتبرك بها ، وأكبر هو وآتباعه من أكابها ، وسموها ملوكية ، فحرقها العامة وقال . ماوحي .

هذا ما كان من امر المعز لدين الله الماطمي .

أما ما هو معروف ويذكره التاريخ للاحاكم بأمر الله الماطمي فإن الحاكم عني عن بيع القمع والملوحي والترمس والجرجير والسمك الذي لا فتر له ، كما انه مع

من بيع العشب ، في حماقات كثيره يسردها ابن خاكان في ترجمته . والله أعلم .

الملح في مكة في القديم والحديث :

أما في الحديث فحدث عن الثالج ولا حرج فقد تضمنت به الدهر باء بوسائلها المحتملة من الأجهزة الحديثة المتعددة . وأما في القديم فأقدم نص تاريخي هو ما عثرت عليه في تاريخ الطبري في حوادث سنة ١٦٠ من الهجرة إذ يقول الطبري : « وفي هذه السنة حمل محمد بن سليمان الثالج للمهدي حتى وافي به مكة ، فكان المهدي أول من حمل له الملح إلى مكة من الخلفاء » .

وهذا النص لما يرى نص عمل ، لم يعثر فيه الموضع الذي اجتناب منه الثالج ، والمظنون ان يكون من قسم الجبال العالية القريبة من مكة على مستوى الجزيره العربية .

وهو يذكرنا بالهجرة الحديثه الى كاس المملكة السعوديه قد ارناسها مند يرمن ليس بالبعيد . ان نسوي بوسائل النقل البحريه الكل الصالحه من ملح المحيط الجنوبي ، إلى السعوديه ، لنجياه إلى ماء للارتواء والرع ولحسن وجد بعد الدراسات المسعوديه المستفيضة اسها باهظه النخالييف هايلاه الحدودي ، فعديل عنها .

(١) سماء العليل الخفاجي ص ١٩٦ .

(٢) المعتمد ص ٣٥٢ .

بيت عائر من الشعر القديم :

سألني عنه بعض الفضلاء فلم أعرف
نسبته مع أنه بيت مشهور يتمثل به الكثيرون
وقد عثرت على النسبة في تاريخ الطبري
في حوادث سنة ١٥٩ يقول الطبري : عزل
المهاضي إسماعيل بن إسماعيل عن الكوفة
وولى مكانه إسحاق بن الصباح الكندي
تمشيرة شريك بن عبد الله قاضي الكوفة
ولما أورد شريك هذا بولاية الكوفة جعل
على شرطها إسحاق بن الصباح هذا فلم يقيم
إسحاق بواجب الشكر لشريك الذي ولاه
الشرط . فقال فيه شريك

صلى وصام إن نيا كان يأملها

فقد أصاب ولا صلى ولا صاما

ومن هذا يتضح أن عمر هذا البيت

هو على التحديد الآن ١٣٤٦ عاما

ببحر العلماء العرب في خدمة العلم :

ولسا بحاجة إلى صرب الأمثال في ذلك
لخدمتهم لعلوم الحديث والتفسير والمقابلة
والتفريعات التي أحروها في جميع مجالات
العلوم الثقافية ولعل كتب المتأوى المتعددة
الأسماء والصروب وموسوعات الحديث
والتفسير والمقابلة وأصوله ، وأمتلئة رائعة
في ذلك لا يجد لها نظيرا أو مثيلا في ثقافة غيرهم
من الأمم ، وعناية أي المرح الأصمهان بتسجيل
أصوات الموسيقى في كتابه المارح مما

يستوجب الدهشة وشديد الإعجاب .
ولأضرب مثلي من براعتهم المائتة الحد
في عنايتهم بالسحو

أما المثل الأول فلإننا نجد في ترجمته
السيوطي للنجوى الحسن بن الوليد القرطبي
المعروف بابن العريف النجوى . وبعد أن نقل
قول ابن القرطبي أنه كان نحويا مقدما فقيها
في المسائل : حافظا للرأي ، حرج إلى مصر
ورأس فيها وفيات سنة ٣٦٧ قال قات
وصنع لولد أبي عامر المصور مسألة
فيها من العرب مائتا ألف وحه واثنا
وسبعون ألف وحه وثمانية وتسعون وحه
أي ٢٧٢٠٩٨

أما المثل الثاني فما ورد في كتاب المعنى
لنقي الدين مصور بن ملاح النجوى الذي فرغ
من تأليفه سنة ٦٧٢ وهو ما سماه المحت
المتاسع في الرياضه . يعرض نموذجاً لتسلسل
الأحبار في نحو قولهم . ريد أبوه أخوه عنه
حاله أنه بنته صهرها حاريتة سيدها صديقه
قائم . وهو أساوب صحيح على ما يبدو
فيه من الاستكراه ، ولكنه رياضه ذهبيه
ترقية من الممكن أن تعالج بيسر إذا أعيد
كتابتها على الورق ، ويقصد بهذا الأساوب
أن صديق سيد حاريتة صهر بنت ابن حال
عم أبي ريد قائم ، وكل منهما أساوب
صحيح واضح وإن كانا يحتاجان إلى معالجته
ذهبية تستوجب شيئا من الدكاء .

ومع هذا يمكن أيضا أن يطول هذا الأسلوب الخيالي إلى ما لا نهاية له مع استعمال الضمائر الرابطة، ولكن في هذا القدر كفاية كما يقولون .

ومن اجتهادات هؤلاء السلف ما يروى عن أحمد بن محمد بن يحيى اليزيدي النحوى السحوى المتوفى قبل سنة ٢٦٠ أنه صبح بيتاً يجمع حروف المعجم ، وهو قوله :

ولقد شجتي طمأة برزت صبحي
كالشمس خيماء العظام بادي العضا

بعض أخطاء الضبط :

(البيروني) يخطئ كثير من الأدباء والعلماء فيسقطون هذا العلم بفتح الباء ، حريا منهم على ما ألفوا من النطق بسطيره البيروني المنتهى بالتاء نسبة إلى بيروت الحميرية والصواب الذي لا ريب فيه أن يقال الأول بكسر الباء .. والبيروني هذا هو أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ، الفيلسوف الرياضي المؤرخ المتوفى سنة ٤٤٠ الذي يقول فيه ياقوت في بيان مؤلفاته « رأيت فهرستها في وقف الخامع بمرو نحو الستين ورقة ، بخط مكتنز » أي مجتمع ممتلىء . وهو صاحب الآثار الباقية عن القرون الخالية . والجواهر في معرفه الجواهر ، والقانون المسعودي

وليست هذه الكلمة نسبة إلى جنس أو إلى بلد معين ، بل هي كلمة نحواررمية بمعنى البراني مقابل الجواني ، كما ذكر ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ في ترجمته ، وقال : « سألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامة بخوارزم كان قليلا ، وأهل خوارزم يسمون العريب بهذا الاسم ، كأنه لما طالت غربته عنهم صار عريبا »

وقد ذكر السيوطي في بغية الوعاة هذا النص أيضا ، ورجوعى إلى المعجم الفارسي لاستينجاس وجدته يفسر بيروني بلفظ . Extcernal ومعناها الغريب .

وكلمه « البراني » قال فيها صاحب تاج العروس تعليقا على قولهم « من أصلح برابه أصلح الله جنّواً » قال : قال أبو منصور : وهذا من كلام المولدين ، وما سمعته من فصحاء العرب البادية . والمعنى : من أصلح سريرته أصلح الله علانيته أحد من الخو والبر ، فالخو كل بطن غامض والبر : الثن الطاهر فصاحت هاتان الكلمتان على النسبة مع زيادة الألف والنون .

(عزّون) من التسميات التي أولع الأعاجم بتسميها بالواو والنون ، وجرى على هذا كثير من إخواننا بالمغرب وقد يقرأ هذا العلم وهماً بكسر العين على أنه من العر

(١) بغية الوعاة ٢٠

(٢) بغية الوعاة ٢٨٨

ونقول : الباب الحادى والعشرون والثانى والعشرون ، وهكذا :

وكامه « الحادى » هما معناها الواحد ، وهى مقابضة منه بلا شك ، إذ ليست من الحذاء وقد التزم العرب ذلك القلب اطراد ، ولم يبتعدوا بالأصل ، إلا ما حكى الكسائى من قول بعض العرب شذودا : الواحد عشر وقد نمل هذا النص عن الكسائى صاحب التصريح وحاء فى الأشموى أيضا (٢)

« وأما ما حكاه الكسائى من قول بعضهم واحد عشر فشاذ منه على الأصل المرفوض قال فى شرح الكافية ولا يستعمل هذا الباب فى واحد إلا فى تبيين مع عشره ، أو مع عشرين وأحواله . . . واطر ما كتبت من تحقيق فى حواشى الحراء تعايقا على قول البعدادى « الشاهد الواحد والتلاتون بعد الستمائة

(الأوله) نحن نقول . الباب الأول وإذا وصفا الأنثى قلنا القصية الأولى أو المسألة الأولى والأول والأولى من باب أفعال الذى مؤنثه فعلى كالأكر والكبرى ، والأصغر والصغرى . والأفصل والمصلى ، من الأوصاف التى تؤتى بالذات التأنيب المتصهرة

والحق أنه بفتح أوله « عزون » وليس أدل على ذلك مما ورد فى الشعر الذى لا يحتمل الشك ، من قول ابن السيد البطليوسى ، وهو يذكر ثلاثة أبناء لابن الحاج صاحب قرطبة وهم : عزون . ورحمون . وحسون . وكان هؤلاء الأبناء من أجمل الناس صورة . وأواع بهم ابن السيد وقال .

أحرب سمى حتى كاد يخفى
وهيب فى حب عروى فعروى

تم ارحموني برحمون فان طهشت
نمسي إلى ريق حسون فحسون

ومما يحذر ذكره أن المحاة قد تعرضوا لإعراب هذه الأسماء ، ولعل أول من افق فى ذلك أبو على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ إده مع صرفها للعامة وشبه العجمة . حين رأى أن جهادون وأشباهه من الأعلام الريد فى آخرها واور بعد ضمه ونون لغير حده لا يوحده فى استعمال عربى محمول على العربية بل فى استعمال عجمى حقيقه أو حكما . وألحق بما مع صرفه للتعريف والعجمة المحصنة (١)

ظلال النحو والصرف :

(الواحد عشر) نحن نقول انقول الحادى عشر . والثانى عشر والثالث . وهكذا

(١) الأشموى ٣ : ٢٦٣ .

(٢) التصريح ٢ : ٢١٧ .

(٣) الحرة ٨ : ٤٣١ .

لكننا نجد من يقول في تأنيثها (الأولة) يؤنسها بالتاء وأقدم نص عثرت فيه على استعمالها ما وجدته في الفهرست لابن النديم^(١) المتوفى سنة ٣٨٥ أن الكتاب العبرانية كانت في لوحين من حجارة، فلما نزل موسى إلى الشعب من الجبل ووجدهم قد عبدوا الوثن اغتاظ عليهم، وكان حادا - أي حاد الطبع - فكسر اللوحين، وندم بعد ذلك، فأمره الله جل اسمه أن يكتب على لوحين الكتابة الأولى.

ثم وجدت ابن بطلان المتوفى سنة ٤٥٤ أي بعد ابن النديم بتسع وستين سنة فقط يستعمل الكلمة نفسها في جميع المواضع من كتابة «شرى الرقيق وتقليب العبيد»^(٢) فيقول: «الوصية الأولى» ثم يعيد العبارة نفسها في ص ٣٥٦، ٣٥٧.

ومن المعروف أن ابن بطلان رحل إلى مصر سنة ٤٤١ وأقام بها ثلاث سنين ثم عاد إلى أنطاكية فأقام بها إلى أن توفي. ويبدو أن ابن بطلان التقط هذا اللفظ من المصريين الذين لا يزالون يستعملون كلمة «الأولة» كثيرا في أعانهم الشعبية. وقد وجدت لهذا الاستعمال سندا في اللسان (وأل ٢٤٤) وفيه وحكى ثعالب.

من الأولات دخولاً والآخرات خروجاً، واحتلتها الأولية والآخرة.

(ماية) يصلك أسماعنا من يطلق بكلمة «مائة» الفصيحة على هذه الصورة التي نخلها عامة شنيعة، والحق أن لها سنداً من الاستعمال العربي القديم، عثرت عليه في كتاب المقرب لابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩ في مخطوطة عتيقة بدار الكتب المصرية يرجع تاريخها إلى سنة ٧٢٢ وهي مقابلة على أصول صحيحة، يقول ابن عصفور عند الكلام على الجمع في الورقة ٨١. «ولا يجوز العطف وترك الجمع، إلا أن يراد الكثير نحو قول الحكم بن المنذر: * بل مائة ومائة ومائة *»

بوضع فتحه على الميم الثالث، وسكون على هائها. فهذا شاهد على صحة كلمة «ماية» في التعبير عن المائة، على ما بها من شذوذ.

(الأخوة) بضم الهمزة، لفظ يستنكره كل الاستنكار جمعاً للأخ، والفصيحة فيه إخوة بكسر الهمزة لكن ذكر صاحب اللسان في مادة (أخو) أن الأخ، وورنه فعّل، يجمع على إخوان مثل خرب وخربان^(٣) وعلى إخوة وأخوة عن القراء» ثم يقول:

(١) المهرست ٢٢.

(٢) بؤادر المخطوطات ١ ٢٥٤

(٣) الحرب بالتحريك ذكر الحارثي.

ففيها نقص ، أى فى النسخة المعارض بها ،
والزيادة فى الرواية التى فى متن الكتاب ،
حقوق عليها بالحمرة » ، أى أدار على النص
الرائد دائره مرسومة بالمداد الأحمر .

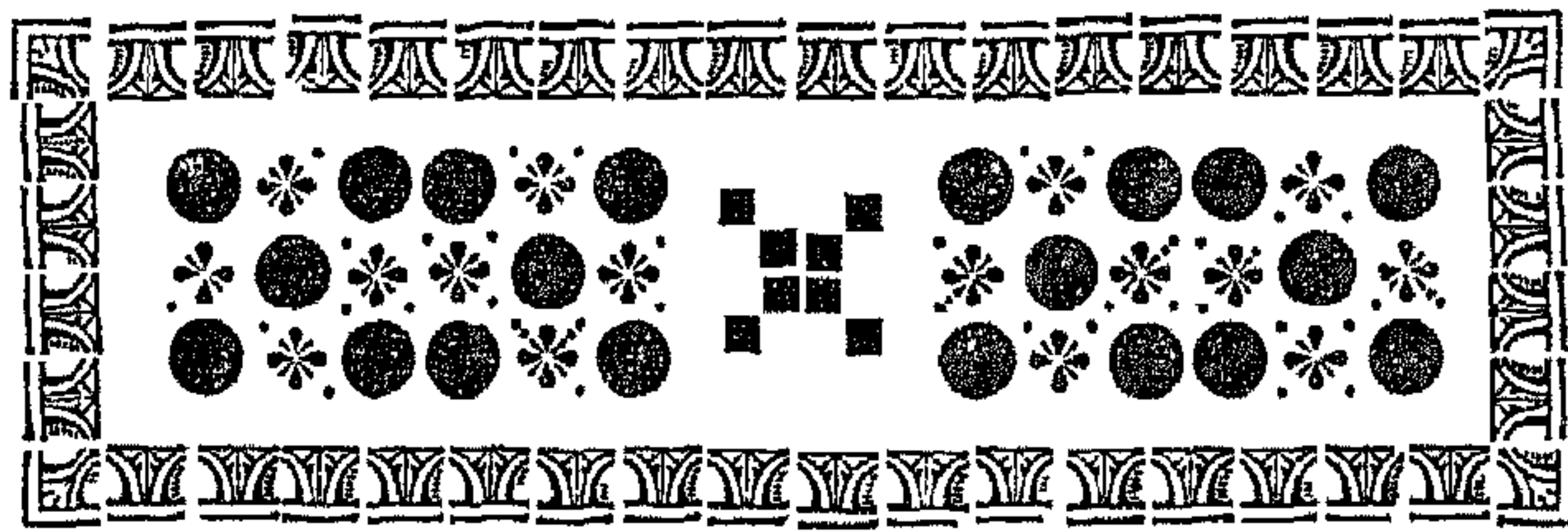
وإذن همحاز قولهم لا يحوق ، أى
لا يكمل الدائرة ، أى لا يمثل الكفاية
المطلوبة .

وأقول هذا بعض من كل ، مما أردت أن
أسجله فى كلمة اليوم ، وهو لا يحوق أيضا
على بعض ما أرجو أن أسجله وأنشره
للعلماء والأدباء ، من نوادر كفايتى التى
أعتر بها كما أعتر بكم جميعا ، إحوه
أشقاء ، وضيوف أعراء أجلاء .

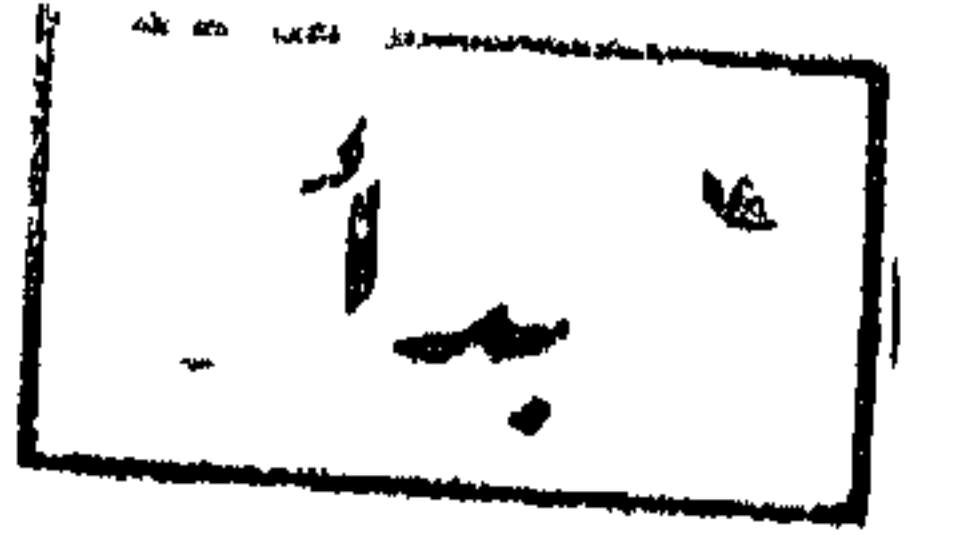
عبد السلام محمد هارون

« فأما سيدويه فالأنخوة بالضم عنده اسم
للجميع ولبس بجمع ، لأن فعلا ليس مما
يكسر على فعلة »

(حوق) يقول العامة فى تعبيرهم حينما
يشكون قلة ما يقدم إليهم من مال أو طعام :
ما يحوقش ، أى لا يحوق . ويحوق كانه
عربية أصيلة ، فى حديث أبى بكر
حين بعث الجند إلى الشام ، كان فى وصيته
« ستجدون أقواما محوقه رعوسهم » أراد
أهم حلقوا أوساط رعوسهم ، من الحقوق
بالضم ، وهو الإطار المحيط بالشئ المستدير .
وقد وجدت تعريزا لهذا النص فى مقدمة
ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن المتوفى
سنة ٦٤٣ وحدثه وهو يرسم المنهج فى
مقابله المخطوطات يقـ ول . وإن كان



كلمة "إلا" في القرآن الكريم للأستاذ سعيد الأفغاني



الالتفات إلى الكلام على معاني الحروف في المئمة الثانية للهجرة ، تم تلاه كتب في اللامات ، أقدمها فيما أقدر (كتاب اللامات) لأبي ريد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٥ هـ) وكتب في الألف واللام وغيرها . وكلها رسائل في أوراق ، ثم جاء الزجاجي في المئمة الرابعة (٣٤٠ هـ) فألف رسالته في الحروف ، وتتابع التأليف وتنامى مع الزمن حتى إذا وصلنا إلى المئمة الثامنة ، طالعنا علماء ثلاثة طبعت مؤلفاتهم فرأينا كيف اتسع الكلام على الحروف ، أولها (رصف المباني في حروف المعاني) للمالقي المتوفى سنة (٧٠٢ هـ) ، وثانيهما (الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ) ، ثم جاء الثالث فأدسى - في رأيي - ما قبله وما بعده ، ذلك هو ابن هشام الأصبغ المتوفى سنة (٧٦١ هـ) فأخرج مؤلفه الممتع (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لم يقتصر فيه

على معاني الأدوات التي استنبطها من الشواهد في القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب ، نثره وشعره ، بل بسط معظم مسائل النحو وهو يناقش الشاهد ، وإن كان في كثير مما ذهب إليه نظر .

وبعد ، وحداني على بحث معاني « إلا » في القرآن الكريم ، عقدة في نفسي وأنا تلميذ في الصفوف الإعدادية في (مكتب عمر بدمشق) ، حين أسمعنا المدرس لأول مرة مصطلح (الاستثناء المقطع) ومثل له بالمثال الشائع في كتب المتأخرين كشرح ابن عقيل مثلاً (فام القوم إلا حماراً) ، فلم يسغ لذهني الناشئ وهم المثال وإن شرح بأن المستثنى فيه ليس من جنس المستثنى منه ، وقلت في نفسي كيف أخرج من شيء لم يدخل فيه من الأصل ؟ ! ثم مصت سون ، وشرعت في التدريس الابتدائي والثانوي فالحامعي إلى اليوم ، خمس وخمسون سنة ، حبيب إلى فيها ابتكار

ما أقرب به لطالبي النحو ، وأعرض بأساوي
المادة الدسمة للعلم في مطولاته شروحا وحواشي
وتعليقات وتقاير في القديم والحديث آخذاً
نفسى بأصول أيقنت بسلامتها وبما تعود
به على العلم من خير وصبط وإقناع ،
مستفيدا من أساليب حديثة في التربية وأصول
التدريس ومن مباح في تقرير مسائل
العلم ، تستند إلى منطق عامي واضح
الصواب ، وانتهيت إلى أن النحو في حقيقته
هو ما استند إلى الموثوق به علمياً من كلام
العرب ، بتحية الضرورات الشعرية عن
طريق القواعد ، ورجوت للنحو زيادة في
الوضوح ، حتى أزيل ما بني على غير ذلك ،
وتبقى من حذل لفظي كثير ومما حركات وترييف
شواهد أفسدت العلم وأضعفت ملذات
وأضاعت أوقاتاً ، لو أنفق بعضها على تذوق
اللغة وأدبها لعاد على الملكات بأعظم
الخير .

* * *

أحصيت المواضع التي وردت فيها
كلمة (إلا) من القرآن الكريم فبانت
(٦٤٣) ، كثرتها العالمة طابعت معانيها
أعاريها وكانت من الاستثناء حقاً ، و (٣٤)
منها لها معنى آخر لا يذكر في كتب النحو
المدرسية كشرح ابن عقيل لألفية ابن
مال ، وشرح شذور الذهب لاس هشام

الأنصاري ، لكنك حين تقرأ شرح هذه
الآيات في التفسير تجد ذكرها لمعناها الصحيح ،
فيقول المفسرون . (إلا) هنا معناها (لكن)
وبذلك تنقطع هذه الأداة عن معنى الاستثناء
لتؤدي معنى الاستدراك ، ويكون ما بعدها
جماعة جديدة تدفع ما قد ينشأ من توهم
في ذهن السامع ، وهذا هو معنى الاستدراك

وكالمفسرين في تحديد هذا المعنى الصحيح
له (إلا) المعجميون ، فترى ، الجوهري
ينص على أنها تكون في (الاستثناء المنقطع
بمعنى (لكن) ، ونقل قوله هذا ابن
منظور في معجمه (لسان العرب) وأيده

فانظر في ثلاث من هذه الآيات محكمين
المعنى المقصود الآية الأولى قوله تعالى .
١ - « فذكر إنما أنت مذكر لست
عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه
الله العذاب الأكبر (١) » .

بوضعنا (لكن) مكان (إلا) بحصل في
يدنا معنيين : الأول (لك التذكير
لا السيطرة) والثاني (من تولى وكفر يعذبه
الله العذاب الأكبر) . وبذلك يرد سؤال
قد ينشأ عن الحملتين الأوليين وهو (إذا
لم يسعجيبوا ولا سيطر على عليهم فهل يتركون
وشأنهم ؟) فكان ما في الآيتين الأخرين
الجواب الشافي . (من تولى عذبه الله) ،
وهذا هو المعنى المتبادر إلى ذهن العربي
السليق .

لكن موقف الصناعيين يختلف ، فليس فيه هذا اليسر والوضوح في الوصول إلى المعنى ، ولأقتصر على اثنين منهم ألفاً في النحو وفي التفسير ، وهما الزمخشري (٥٣٤ هـ) وأبو حيان الغرناطي في المائة الثامنة (٧٥٤ هـ) وكل منهما متأثر - شعر أم لم يشعر - بتقاليد صناعته وقيودها

قال الزمخشري في تفسيره (الكشف) :

« إلا من تولى » استثناء منقطع ، أى لست بمستولى عليهم . ا هـ

وهذا سهو منه رحمه الله ، إذ لو كان استثناء لأصبح المعنى كما هو واضح من السياق . أنت تستولى على من تولى وكفر لا على من ذكرته (لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فأنت مسيطر عليه) وهو - كما لا يخفى - عكس المقصود

ثم قال (ولكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر فهو يعذبه العذاب الأكبر الذى هو جهنم) .

وليته اكتب بحمانه (لكن) التى فرضها عليه المعنى وأسقط ما قبلها وما بعدها ، لكنه كر عليها بما يضعفها فزاد . (وقيل استثناء من قوله « فذكر » أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض) يريد قوله تعالى : « إنما أنت مدكر لست عليهم بمسيطر » وبذلك عاد على قوله (ولكن من تولى . . .)

بالإلغاء ، وأتى بإثباته هذا القول الضعيف بمعنى غريب هو : (فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه) ، ولم يتساءل غفر الله له - : كيف يعرف ذلك منه قبل تذكيره ؟ وما الفائدة من تذكيره إذا ؟ كان التالى لهذه الآيات أقرب إلى فهمها الصحيح قبل أن يفرع إلى هذه البلبلة في تفسير (الكشف) .

ويأتى بعد الزمخشري بمثنى سنة أبو حيان النحوى المفسر (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ) في تفسيره (البحر المحيط) ما يأتى :

(إلا) حرف استثناء ، فليل متصل أى . فأنت مسيطر عليه (يريد قوله : إلا من تولى وكفر) ، وقيل متصل من (فذكر) أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر ، وما بينهما اعتراض ، لم يزد على عبارة الزمخشري إلا نفة شيئاً ، ثم قال . (وقيل منقطع ، وهى آية موادة نسخت بآية السيف) ا هـ ولم يذكر معنى الاستدراك البتة .

وكذلك فعل مختصر البحر في كتابه (النهر)

والطريف أن أبا حيان أورد بعد ذلك قراءة ابن عباس ورید بن على وقتادة وزید بن أسلم (ألا من تولى وكفر : .) و (ألا) فيها حرف تنبيه واستفتاح ، وهى

قراءة تؤيد أن جملة «إلا من تولى»
كلام جديد لا استثناء فيه ، لكن أبا حيان
غفل عن فقهها الذى يؤيد استدراكه
(إلا) كل التأييد .

وبعد مئة سنة شفى النفس جلال الدين
المحلى (٨٦٤ هـ) فى تفسيره المختصر
(تفسير الجلالين) ، فأخذ من كل الأقوال
السابقة معنى الاستدراك فقط بوضعه إلى
جانب (إلا) كلمة (لكن) ليصح الكلام .
لكن من تولى وكسر فيعده الله . إلح
بقد كان محققاً كل الحنفى فى هذا ، وأعرض
عن كل ما سبق من أقوال فأحسن ثم
أكمل السيوطى تفسير المحلى الذى فسر النصف
الثانى من المصحف فقط ، واجتهد فى
اتباع منهج المحلى . فكان هذا التفسير
المسمى بتفسير الجلالين إشاره إلى الجلال
السيوطى ، التفسير الذى - لولا ما فيه من
إسرائيليات - لكان أجود مختصر وأسرع
مسعف فى بيان المعنى للعجلا .

٢ - والآية الثانية قوله تعالى فى اليهود .
« ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى
وأن هم إلا يظنون » (١) .

لم يعرض الزمخشري فى تفسيره لمعنى
(إلا) فى هذه الآية لكنه قال «إلا
أمانى» . إلا ما هم عليه من أمانهم ، وأن
الله يعمو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم
بخطاياهم ، وأن آباءهم الأنبياء يسمعون

لهم ، وما تمنىهم أحبارهم من أن النار
لا تمسهم إلا أياماً معدودة ، وقيل . إلا
أكاديب مختلفة سمعوها من علماءهم فتقبلوها
على التقليد . ثم قال : «إلا أمانى من
الاستثناء المنقطع» ١ هـ

أقوال مختلفة ، ولو عرض أولاً لمعنى
(إلا) فقال . لكن يعلمون أمانى لقنوها
وأكاذيب) لتمكن المعنى فى نفس القارئ
منذ البدء .

وقرباً من ذلك فعل أبو حيان فى
تفسيره (البحر المحيط ١ - ٢٧٥) ،
غنى بالصناعة قبل تعرضه لشرح المعنى ،
قال :

«إلا أمانى» ليست من جنس الكتاب
ولا مندرجة تحت مدلوله ، وهو أحد
قسمى الاستثناء المنقطع ، وهو الذى
يتوجه عليه العامل ، ألا ترى أنه لو قيل
(لا يعلمون إلا أمانى) لكان مستقيماً
وهذا النوع من الاستثناء يجوز فيه وجهان :
أحدهما المصعب على الاستثناء وهى لغة
أهل الحجاز ، والوجه الثانى الإتيان
على المدل بشرط التأخر ، وهى لغة تميم ،
فنصب أمانى من الوحيين (١ هـ

لم أدر ما علاقة هذا كله بهم الآية ؟
لكن أبا حيان بعد هذا باتر الموضوع
فقال :

(والمعنى : إلا ما هم عليه من أمانهم ،

وأمانهم أن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم . . . أو لا يعلمون إلا أكاذيب مختلفة سمعوها من علماءهم نعاوها على التقليد . (وهذه عبارة الرمحشري نفسها) وقيل معناه (إلا تلاوة) أي لا يعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى عليهم .) ١ هـ

في هذا المثال أيضاً كان تفسير الحلالين الموجز خيراً منهما في حلاء المعنى . فقد حط عليه مباشرة واكتفى بقوله .

(ومن اليهود عوام لا يعلمون التوراه إلا أماني) لكن أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها)

وبتفسير (إلا) : (لكن) وضع المعنى على طرف الثام ، وأضرب عن ذكر الاستثناء المنقطع ، وتقسيمه ، وعلى اللغات فيه بين المصوب والرفع وتوجيه كل منها .

٣ - وبأني إلى الآية الثالثة . « فلولا كانت قرية آمنت ومعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كتمانهم عذاب الجحيم في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين » (١)

في كشف الرمحشري . « إلا قوم يونس » استثناء من القرى ، لأن المراد أهاليها ، وهو استثناء منقطع بمعنى (لكن) متصلاً بالجملة في معنى النفي ، كأنه قيل .

ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس ، وانتصابه على أصل الاستثناء . وقرئ بالرفع (إلا قوم يونس) على البدل ، هكذا روى عن الجرمي وسيمويه . ١ هـ

لقد حملت الرمحشري هنا تصريحه بأن معنى إلا هو (لكن) وإنما تمام هذا التصريح في كلامه على الاستثناء المنقطع ، وحوار المتصل بها إلى آخر ما قال . أما أبو حيان فاشتغل عن التفسير بمقالات نحويين في الاستثناء متصلاً ومنقطعاً ، ولم يعرض للمعنى (إلا) في الآية البتة ، إذ قال : « إلا قوم يونس » . و (قوم) منصوب على الاستثناء المنقطع ، وهو قول سيمويه والكسائي والفراء والأخفش ، إذ ليسوا (يرباء قوم يونس) مندرجين تحت لمط (قرية) ونقل قول الرمحشري السابق ، ثم عطف بقول ابن عطية : (هو بحسب اللفظ استثناء منقطع وكذلك رسمه المحويون ، وهو بحسب المعنى متصل ، لأن تقديره : ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس ، والمصوب هو الوجه ، لذلك أدخاه سيمويه في باب ما لا يكون فيه إلا المصوب ، وذلك مع انقطاع الاستثناء . وقالت عوفه : يحور فيه الرفع ، وهذا مع اتصال الاستثناء . وقال المهدوي : والرفع على البدل من قرية . وقال الرمحشري : وقرئ بالرفع على البدل ، عن الجرمي والكسائي : ١ هـ

سقت هذا والكتب الثلاثة كتب تفسير
وشرح معنى ، لا كتب في النحو الصاعى .
أما تفسير الجلالين ، فقد قال كلمة واحدة
أغنت وألغت كل ما تقدم ، وتكفات
بإصابة الهدف ، قال : « إلا قوم يونس :
لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم .

ومن المفيد الإشارة إلى أن من العلماء
قل أي حيان من هدى إلى المعنى الصحيح
ل (إلا) فقرره لها محتجاً بآيات كريمة
وإن لم يكن كتابه كتاب تفسير ، بل كتاب
نحو ، عنيت إلى طرى النحو بأسلوبه
العذب ، أما البركات ابن الأنبارى (=
٥٧٧ هـ) في كتابه المستساغ (الإنصاف
في مسائل الخلاف) لقد أقر الاستثناء
المقطع كما قبل غيره قبله وبعده ، لكنه
كان محسناً كل الإحسان حين قال في المسألة
٣٥ (١)

(إلا) في قوله تعالى (٢) « لئلا يكون
للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني » . استثناء منقطع ،
والمعنى : لكن الذين ظلموا يحتجون
عليكم بغير حجة ثم استشهد على هذا
المعنى بقوله تعالى : « ما لهم به من علم

إلا اتباع الظن » (٣) قال : معناه . (لكن
يتبعون الظن)

وبقوله تعالى . « وما لأحد عنده من
نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » (٤)
معناه لكن وبقوله تعالى . « ثم رددناه أسفل
سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم أجر غير ممنون » (٥) معناه : لكن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإلهم أجر
غير ممنون . لقد وطن إلى تمام الجملة بعد
(إلا) كما فطن إلى أن المعنى هنا هو الاستدراك
فحسب

* * *

ونتساءل : هل تتابع النحاة بعد أبي حيان
على إهمال معنى الاستدراك ل (إلا) في
كتبهم ؟ . المؤسف أن ذلك استمر ، ولقد
كان من المتوقع أن ينتهى الإهمال ويتلافى
بالمشروع الجليل النفع الذى تصدى له
ابن هشام الأنصارى (= ٧٦١ هـ)
صاحب (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب)
أوسع كتاب ألف في معانى الأدوات في
اللغة العربية . لقد احتهد في تصيد معانى
كل أداة من قريب ومن بعيد ، فجمع
ماى محبوطة ومصادره من شواهد كل

(١) ص ٢٦٩ من الجزء الأول

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٥٠

(٣) سورة النساء ٤ / ١٥٧

(٤) سورة الأعلى ٩٢ / ١٩ ، ٢٠

(٥) سورة التين ٩٥ / ٥ و ٦

أداه من القرآن الكريم، بقراءاته المتعددة ،
ومن الحديث الشريف ، ومن كلام
العرب نثره وشعره ، حتى إذا أرضاه
الجمع كر على شواهد يستقصى فيها
معاني كل أداة على حدة ، فصبر وصابر ،
بل بالغ في إضافة معانٍ لا تحتتمها الأداة
مهردة ، فحملها ما أوحى به سياق ما في
نظره . . . ، فلما وصل إلى الأداة (إلا)
والكمال لله — حماتها معنيين لا أصل لهما ،
وفاته معنى أصيل مستفيض ، وهو الاستدراك
جعل ابن هشام ل (إلا) أربعة معانٍ (١) .

١ — الاستثناء ٢ — مرادفة (غير)

٣ — العطف . ٤ — الزيادة

والمعنيان الأخيران لا يصحان .

أما العطف فتبع فيه ابن هشام كوفيين
عملوا عن المعنى الحق للآيات الكريمة ،
وقد مرّ بعضها ، وأما الزيادة فقد
عرره فيها شاهدان أحدهما لا دليل فيه
لاحتماله وجهاً آخر صحيحاً يسقط الاستدلال
به على الزيادة ، وأما الآخر فجهول لا يعرف
قائله أو صانعه الذي اضطره الوزن إلى إسقاط
حرف نبي في أوله ليستقيم له الوزن ، وقد
عراه إلى أحد بني سعد وهو

أرى الدهر إلا منجونا بأهله

وما صاحب الحاحات إلا معدداً

وتمام الكلام (ما أرى الدهر إلا منجونا
بأهله وما أرى صاحب الحاحات إلا معدداً)
والمنجون هو الدولاب .

فأنشأ ابن هشام رحمه الله قسماً خاصاً
بسبب هذا البيت هو محي (إلا) رائدة فجعل
الأصل (أرى منجونا) وما هي بالزائدة ،
ولم في كلام العرب (إلا) زائدة .

لم يسعنا إلا التحسر لهذه الشعرة الواضحة
في كتابه العظيم (معنى اللبيب) فقد أراد
هو لتفسير أكثر منه المحو ، وألمه على المعاني
أول تنبؤ ، ولما سئل : (لم لا تؤلف
تفسيراً للقرآن الكريم ؟) أجاب (ألفت
المعنى)

كان بين أيدي الدين أنوابعد ابن هشام
مادة عريضة جداً في المحو والتفسير حوتها
المحادثات التي سلمت مما حاق بالترات العربي
من نكبات ، ومع سقم أساليب التأليف ومع
الركاكه عند كثير من المتأخرين ، حتى المئة
الثالثة عشرة للهجرة ، لم يحل بعضهم حواشي
المطولة في النحو من الالتفات إلى هذا المعنى ،
معنى الاستدراك في (إلا) ولو عرضاً ، جاء
في حاشية الشيخ محمد الخضرى المتوفى في
المئة الثالثة عشرة ، التي جعلها على سرح
ابن عقيل لألفية ابن مالك

ومتى كان ما بعد (إلا) جملة فهي بمعنى لكن^(١) ولو كان (الاستثناء) متصلاً، لكن إن نصبت تالي (إلا) و (لكن) المشددة كما سيأتي، أوردُ رفع فكالجملة (لكن) أفاده الصبان عن الدمامي . . . تم يعلل المصنف (إلا) بكونها فيه بمعنى (لكن) وعمليات عملها، وخبرها محذوف عالماً نحو . (جاء القوم إلا حماراً) أى لكن حماراً لم يحىء، وقد يذكر الخبر نحو «إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم . . .» اهـ^(١)

ومع صرف الطر عن ضعف تمثيله بجملة لاتصح عربياً وهي (حاء القوم إلا حماراً)^(٢)

حمدنا الله على ذكره المعنى وعلى جملة الإعراب على المعنى وتعويله عليه، ولوفى حاشية على شرح على متن .

أعود من هذا العرض الملخص بنتائج أربع هي .

١ - إلغاء ما سموه (الاستثناء المقطع) من بحث الاستثناء، لأنه لا استثناء فيه، لأنه لا معنى لأن تخرج شيئاً لم تدخله قط

٢ - لكلمة إلا أربعة معان، ثلاثة منها تكثر في الكلام وهي .

(١) الاستثناء حين يكون في الجملة مستثنى منه .

(ب) الحصر (وهو ما سموه بالاستثناء المبرغ، والخير أن يحذف أيضاً من باب الاستثناء)

(ح) الاستدراك

(د) والمعنى الرابع قليل الاستعمال وهو الوصفية أو مرادفة (غير)

٣ - إن المعاني الثلاثة الأولى (إلا) الاستثناء والحصر والاستدراك مما يسعى بيانه للمبتدئين قبل إسهاء دراستهم الابتدائية وتدرج أمثلتها من القرآن الكريم وغيره في الكتب المدرسية (لمنطقيتها) ولسهولة فهمها .

٤ - يلي (إلا) الاستدراكية جملة تامة، وقد يحذف خبرها أحياناً ويكون مفهومها من السياق، أما الأصل الذي صدرت عنه في كل ما تقدم فهو النظر في سياق المشاهد بعد الوثوق من صحته، ومراعاة معناه، بل تحكيم المعنى في كل قول يعرض فما اطرده معه كان هو المقبول، وما حاله وحب الإغصاء عنه مهما يُحط به من تعليقات صاعية غير مقبعة، ولو تواردت عليه كتب قديمة وحديثة، ونحن نعرف أن الحراها

(١) حاشية الحصري على شرح ابن عثقل ٢٥٤ / ١

(٢) الصواب أن يقال (حاء القوم إلا حمارهم) أو ((إلا حماراً لهم))، لأن المستثنى يجب أن يكون معرفة

أو نكره مختصة على الأقل .

خفيفا لمؤلف قديم، ينقله خالف عن سالف من دون تبصر عامل في بلبلة العلم وإفساد المأركة، والمخلص في مثل هذا تحكيم المعنى، ومع أننا نتناقل ما انعقد عليه الإجماع في القول السليم المشهور (الاعراب فرع المعنى)، مع ذلك فقليل ما يراعيه

إن أربعة وثلاثين شاهدا من القرآن الكريم وحده، تفهم بيسر، ويصح معناها ووضعنا فيها (لكن) أو (لكن) موضع (إلا)، كافية لاعتماد قاعدتها بل فوق الكافية بينما وصح ابن هشام قاعدة لا يسندها إلا بيت شعر تطرق إليه الاحتمال، وبيت آخر اضطر الشاعر فيه إلى إسقاط حرف نون في أوله اعتمادا على قرينة (إلا) فيه وعلى شطره الثاني منه، بله جهالة المؤلف اسم صاحب المشاهد هـ

واللافت للنظر أن معنى الاستدراك في (إلا) أصيل باق إلى اليوم حتى في لهجاتنا المحلية الدارجة، وكثيرا ما يسمع في الشام ومصر وشمال أفريقيا مستمع حديثك، يعقب بقوله مثلا (هذا صحيح إلا أنه كذا...) أو (هذا صحيح لكن كذا...) لقد بقي هذا المعنى (إلا) حيا طول هذه الأعصار ما نال من حياته إغفال المؤلفين له إن الاستثناس بما في اللهجات الدارجة من فصاحة في المفردات والأساليب خليق بنظر الباحثين.

مع هذه الكلمة ملحق فيه الآيات الكريمة الأربع والثلاثون التي يتضح فيها معنى الاستدراك (إلا) وبالله التوفيق.

سعيد الأفغانى

عضو المجمع المراسل من سورية



ملحق

بالآيات التي فيها (إِلَّا) للاستدراك بمعنى (لكن) وعملها

الاية	السورة	رقمها	
			١ - « وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » (لكن أكاديب تلقوها)
٧٨	البقرة	٢	٢ - « لِيَسْأَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْتَوْنِي » .. (لكن الذين ظلموا لا يحتججون بغير حجة)
١٥٠	البقرة	٢	٣ - « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّسُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (لكن الذين تابوا . فأولئك أتوب عليهم)
١٦٠-١٥٩	البقرة	٢	٤ - « وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ . إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ حِسَابٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا » (لكن أن تكون تجارة ... فليس عليكم)
٣٨٢	البقرة	٢	٥ - « لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (لكن الذين تابوا . فإن الله غفور رحيم)
٨٩	آل عمران	٣	

٦ - « وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ »
(لَكِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ . . .)

السماء ٤ ٩٠

٧ - « إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ . . . »
(لَكِنَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ . . . فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُرَ عَنْهُمْ)

٤ ٩٨

٨ - « وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ »
(لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . . . فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

٤ ١٤٦

٩ - « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ . . . »
(لَكِنَّ يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ)

٤ ١٥٧

١٠ - « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا . . . »
(لَكِنَّ الَّذِينَ تَابُوا . . . يَغْفِرُ لَهُمْ)

المائدة ٥ ٣٣ - ٣٤

١١ - « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ . . . »
(لَكِنَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ)

يونس ١٠ ٩٨

- ١٢ - « وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ . . . » التوبة ٩ ٤
- (لَكِنِ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ)
- ١٣ - « كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ . . . فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ . . . » ٩ ٧
- (لَكِنِ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ)
- ١٤ - « ... إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ . إِلَّا (لَكِنِ) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » هود ١١ ١٢
- ١٥ - « فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غِيًّا . إِلَّا (لَكِنِ) مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ » مريم ١٩ ٦١
- ١٦ - « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا (لَكِنِ) سَلَامًا » ١٩ ٦٣
- ١٧ - « مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا (لَكِنِ) أَنزَلْنَاهُ (تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ' » طه ٢٠ ٣
- ١٨ - « وَأَلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا (لَكِنِ) الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ٢٠ ٥
- ١٩ - « وَيَحْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا (لَكِنِ) مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ » الفرقان ٢٥ ٧٠

- ٢٠ - « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا نَسُونَ . إِلَّا (لَكِنْ)
 مَنْ أَنَّى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . . » (فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ) الشعراء ٢٦ ٨٩
- ٢١ - « إِنِّي لَا يَحَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ إِلَّا (لَكِنْ)
 مَنْ نَدَّلَ حُسًّا نَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ » النمل ٢٧ ١٢
- ٢٢ - « وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ
 إِلَّا (لَكِنْ أَلْقَى) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
 طَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ . . . » القصص ٢٨ ٨٧
- ٢٣ - « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي
 كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا
 (لَكِنْ) أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا »
 (بَوَصِيَّةٍ فَجَاز) الأحزاب ٢٣ ٦
- ٢٤ - « وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ
 إِلَّا (لَكِنْ) فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (لَمْ
 يَتَّبِعُوهُ) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا
 (لَكِنْ) لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ فَمَنْ هُوَ
 مِنْهَا فِي سَكِّ . . . » سبأ ٣٤ ٢١
- ٢٥ - « وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ
 عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا (لَكِنْ) مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ حِزَابٌ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا . » سبأ ٣٤ ٣٧
- ٢٦ - « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
 إِلَّا (لَكِنْ) اللَّيْمَ » النجم ٥٢ ٣٢
 (يُغْفَرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ - الْجَلَالِيِّينَ)

- ٢٧ - « وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ، إِلَّا (لَكِنْ فَعَلُوهَا) ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ . . . » الحديد ٥٧ ٢٧
- ٢٨ - « وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا . إِلَّا (لَكِنْ أَمْلِكُ) بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ . . . » الجن ٧٢ ٢٢
- ٢٩ - « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا (لَكِنْ) أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ » . المدثر ٧٤ ٣٨ - ٤٠
- ٣٠ - « لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرْدًا وَلَا ثَرَابًا إِلَّا (لَكِنْ) حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . . . » النبأ ٧٨ ٢٤
- ٣١ - « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا (لَكِنْ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ عَيرٌ مَمْنُونٌ » الانشقاق ٨٤ ٢٥
- ٣٢ - « لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا (لَكِنْ) مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيَعْدُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ » العاشية ٨٨ ٢٤
- ٣٣ - « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُحْزَى . إِلَّا (لَكِنْ فِعْلُهُ) ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى » الليل ٩٢ ١٩ - ٢٠
- ٣٤ - « ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا (لَكِنْ) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ عَيرٌ مَمْنُونٌ » التين ٩٥ ٥ - ٦

الأثر النفسي والاجتماعي من تعريب التعليم للدكتور يوسف عز الدين

ليس

تعريب التعليم أمراً
سهلاً ، أو قصصية

بسيطة الحل بعد أن مر العرب بمرحلة صويّة
من التأخر العلمي ، والجمود الفكري .

إنه مشروع ضخم من مشاريع الحضارة
العربية الجديدة ، ويظهر خطره باتساع الميدان
وتشعب الجذور ، واختلاف المصادر ،
ولا بد لدراسة هذا المشروع ، والنهوض بأعبائه
الكبيرة من أن نخطط له تخطيطاً كاملاً وأن
نلم بجوانبه المتشعبة ولا سيما الجانب الاجتماعي
والأثر النفسي بعد أن سبقنا العرب في
ميدان التنمية العلمية بأعمال ضخمة
ومنجزات مثمرة في النمو والتطور .. وسيطرت
على نفوسنا شدة البهر والانبهار وفقدنا الثقة
بالنفس على مجاراته بما نراه كل يوم من
المخترعات ونقرأ عن تطور الفكر والعلم ولا سيما
العلوم والمعرفة والتجارب المادية الكثيرة
التي دخلت في حياتنا اليومية بالمستحدثات
الحديدية وأثر في عقولنا بالاتجاه الحضاري
الغربي دون وعي أو تمحيص .

وأخشى أثر هذه الحضارة في نفوسنا التي
هرقها التمرق الفكري حتى عدت اللغات الأجنبية
ومصطلحاتها سمة الرجل الذي يدعى العلم
والثقافة فدخلت هذه اللغات في الكتب
والمقالات والحديث اليومي .

وراد الطين بلة اختلاف الأقطار العربية
في وضع المصطلحات العلمية والترجمة
المتباينة في لغة العلوم .

فالتخطيط ضرورة لوضع حد لهذا الاختلاف .
والنهج هو الذي سيقف حائلاً دون الفوضى
اللغوية والتضارب الفكري ويحول دون
الانقسام اللغوي والقلق الفكري والحيرة
البيانية التي تأتي من اختلاف الآراء وتشعب
القواعد وتباين الماهج في الأقطار العربية .

التعريب في العراق :

وقد قام العراق بوضع خطط لتعريب
التعليم الجامعي وعقد عدة ندوات ، وقد

(*) ألقى البحث في الجلسة التاسعة ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م .

طبعت محاضرها ومن أبرز هذه المدونات (مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد ما بين الرابع من شهر آذار والسابع منه سنة ١٩٧٨) .

وقد حضره عدد من الأساتذة والمختصين من أكثر الأقطار العربية كالكويت والأردن والمغرب والخرطوم ولبنان وتونس ودمشق وصنعاء وأبي ظبي والجزائر وجامعة بيرزيت وقد حرمت المدوة من حضور القاهرة بسبب القطيعة السياسية المعروفة

وقد كان صدر قرار بالبدء في تعريب التعليم العالي في العراق من حزيران ١٩٧٨ وبدأت العلوم تدرس باللغة العربية في الصفوف الأولى وأجل التعريب في كليتي طب الأسنان والطب البشري ، على أن يطبق التعليم باللغة العربية من أول سنة ١٩٨٠ الأردن .

وولد حدثي الرميل الفاضل الدكتور عبد الحريم حليفة بأن عملية التعريب في الأردن تسير مسيره جيده

تونس

وفي تونس يبدل المجلس العلمي (للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات) جهودا مشكوره في تنظيم حركة الترجمة وأدشأت معهدا باسم (المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات) .

عوامل النجاح :

إن عماية تعريب التعليم لا بد أن يصمم لها أهم مقومات النجاح ، ولعل من أعمق هذه المقومات قول التعريب بمسئولية المجتمع والطلاب والأستاذ، وحلق الاستعداد النفسي ودرع الثقة باحترام اللغة العربية، وأنا أعرف عن أحد الأقطار العربية أن الموظف إذا كاته بالغة العربية ارور عملك بعد أن أصبحت اللغة امر دسية حرةا من الحياة الاجتماعية وأخذ الطائل يتعاسها ويتحدث بها لأن أمه ترى بأن الحديث بالهرسية سوف يجلب لابنها الاحترام . ومن الصعب التلاؤم الروحي والرضا النفسي عند هذا الإنسان . فتكلم بها العامل والملاح والحمال .

وقد سرب بين المجتمع نظرة غير محترمة لمعلم اللغة العربية ، فقد كان يقال للطالب المحقق أتريد أن تكون معلم لغة عربية تم إن بعض الأقطار العربية تدفع لمدرس اللغة العربية أحرأ أقل من أجر مدرس العلوم والرياضيات ويفصل مدرس العلوم والرياضيات ، في السكن على مدرس اللغة العربية الذي يقف أحرأ صف ويكون أحر من يحصل على السكن .

وحدثني أحد الرملاء أنه سافر إلى قطر عربي فوجد استعداداً بمسئولية للحديث بالفرنسية لأنها لغة عالمية متحصرة وهذا ما دعا أبناء الشعب إلى التمسك بالهرسية والدفاع عنها .

والمقابل نجد أن اللغة الفرنسية كانت مستعملة في مدارس دمشق ولاسيما الطب ولما انفصلت عن الدولة العثمانية أخذ أساتذة الطب يتعلمون العربية ويستعينون في كتابة المحاضرات بأساتذة العربية ، لأن الثقافة كانت تركية ، فتعرب هؤلاء على اللغة الأجنبية عندما ترجموها إلى العربية ووصعوا لها المصطلحات وهذا ما وحدناه في زمن محمد علي باشا وقد أشار إليه أستاذنا الدكتور مذكور في اليوم الأول من هذه الدورة

إن الاستعداد النفسي عند شعب من شعوب العرب وتمسكهم بالحدود العربية هو الذي عرب التعليم في سورية . . وأخره عند شعب آخر . مازال يجب في تعلم لغته .

لذلك أرى أن أهم مقومات النجاح هي

١ - توفير الكتب العاجية ومصادر البحث والمراجعة باللغة العربية لطلاب العلوم ، بعد أن كثرت مسنده الكتب في اللغات الأجنبية وتنوع مروح العلوم نتيجة الحروب العلمية وتطور التقنية والمخترعات والاكتشافات وتطور الحساسة السريع في معاهد العرب العلمية .

٢ - إعداد الأساتذة لإعداد نفسيا ليكون الأستاذ قادرا على تدريس العلوم الصرفة لا سيما الطب والهندسة والصيدانية باللغة العربية لأن كثيرا من الأساتذة تعلموا علومهم باللغات الأجنبية وتعمقت في نفوسهم الثقة باللغة الأوروبية واستمروا على القراءة

والمحاضرات بها واتسعت الموه بين أعلامهم واللغة الأجنبية التي أتقوها .

٣ - إن العامل النفسي الذي أسلفنا تحدثت عنه من أهم العوامل المؤثرة في نشر التعليم باللغة العربية ، لأن حاق الاستعداد النفسي والاجتماعي في تقل الدراسة باللغة العربية ضرورة من ضرورات الإبداع ونحاق الثقة بقدالية العربية في استيعاب العالوم الحديثه وهضم الحضارة الحديثة لتكوين وحدة روحية تزرع الثقة العميقة بأصالة اللغة العربية والاعتداد بالآثار الإسلامية وبالتالي إعادة الثقة بقدالية الطالب العربي والاعتداد بالمستوى العالمي للأستاذ .

إن العامل النفسي ضروري لكسب تفه المدرسين ، والمدرسين وإقناعهم بأهمية ما يقومون به ، وإن تعليم العلم الصرف باللغة العربية يحفظ مستقبلهم ويصون مصيرهم ويطور حضارة الأمة العربية .

وقد تكون بدايه هذا الإقناع عاطفيه الحدور . لأن المشاعر ذخيره متنامية تحاق المواقف الكثيره وتؤثر في حياة المجتمع العربي وسياسته العامة وأرجو ألا يقتصر الإقناع الروحي على الطالب والأستاذ إنما لا بد من إقناع الرأي العام ليؤثر بدوره في جو التعليم كله ويرى بأن التعليم باللغة العربية لا يختلف عن التعليم باللغات الأجنبية وهي مرحلة صعبة .

ولعل من المعول عليه أن يمتد الإقناع إلى أصحاب التوجيه الإداري والعمل

التشريعي لضمان مواقف الدول العربية لإصدار
التشريع المناسب الذي يحقق نجاح مشروع
التعريب .

وتذكرون أننا عقدنا في العراق اجتماعا
للمجامع العربية وحضر بعصكم إلى بغداد
وسعدنا بالحضور إلى مجتمعتكم الموقر، لكن موقف
الدول العربية حالت دون أن تستمر المعركة
الرائدة التي كنا ننشدها من اجتماع المجامع
الثلاثة في كل عاصمة عربية .

إن بعض المشرفين على التربية في الأقطار
العربية وبعض الأساتذة ، يظن أن إلقاء
المحاضرات باللغة العربية تحط من قيمته
الجامعية ولا تعطيها الطعم العلمي لأنه تذوق
التعليم باللغة الأجنبية وألف الكلمات العربية
وأصبحت أدوات السهلة في التعليم وقد درس
بها وكتب بحوثه بمصطلحاتها. وأصبحت جزءا
من كيانه الروحي وفكره العلمي وابتعد
عن اللغة العربية ، ولم تعد لعتة العربية
تفي بما يدور في فكره العلمي من آراء
ومصطلحات ، لأن اللغات تؤثر بعضها في
بعض وقد مر أكثرنا بمثل هذه التجربة
عندما درسنا في العرب وألما اللغة الأجنبية
وأحسننا بحلاوة كلماتها فآثرت في اللغة الأجنبية
اللغة العربية مع أننا درسنا اللغة العربية إلى مرحلة
متقدمة ، فلا لوم على المختصين الذين يذهبون
صغارا للدراسة في العرب . وبرغم صعوبة
اقناع هؤلاء ، فمن الضروري كسب جانبهم
للتدريس بلغتهم بإقناعهم نفسيا .

ومن مظاهر هذا الابتعاد عن
اللغة ، التبرير النفسي بصعوبة ترجمة اللغة
العلمية إلى اللغة العربية وانعدام المصطلحات
والكلمات الدقيقة فيها ، لأن الأستاذ في
تبريره لا يريد أن يحس بأنه لا يقدر على
التدريس بلغته العربية بدوافع نفسية
عميقة ، منها الوطنية والقومية ونظرة المجتمع إليه
بأنه ضعيف لا يعرف غير اللغة العربية .
فيخلق التبرير النفسي لإرضاء الذات الاجتماعي
وإقناع اللاشعور بما يعمل .

ولعل بعض الأساتذة لا يقدر على
ملاحقة المواد العلمية وحقائق المخترعات
الحديثة ومصطلحاتها وقد يكون بعيدا
عن المنهج العلمي والدراسة الموضوعية
لضعف في اللغة والعلوم التي تخصص فيها .

إن بعض الأقطار التي ما زالت تدرس
بالفرنسية والإنكليزية وخلقت طبقة من
المتعلمين ، عدت مؤثرة في اتجاهات
التربية فسمعت هذه الطبقة باللغة العربية
حفاظا على مصلحة الطبقة التي تمثلها .
وقد ورثت هذه الطبقة امتيازاتها من الأجنبي
الذي كان قد فرض لعتة على تلك الأقطار
وأصبح المتكلم باللغة العربية أقل مقاما
من أولئك الذين يتكلمون لغة المستعمر ،
وبذلك خلقت عقدة الشعور بالقص بالنسبة
للغة العربية ، وخير سبيل أن تقابل هذه
العقدة بالإقناع النفسي ، ومتى حلت هذه
العقدة النفسية واقتنع هؤلاء بأن اللغة العربية

لغتهم ولغة تراثهم وأن يتحدث بها معث
فخر واعتداد بالنفس، سيذهب عنهم الخوف
على طبقتهم ويأمنون على مصالحهم وينمحي
إحساسهم بتفوق العلم الغربي ولغته . وسوف
يسهمون في حركة التعريب

إن من يرى اللغة العربية غير قادرة
على الوفاء بالتعريب لا لوم عليه ، لأن كل
عمل جديد وكل نقله حصارية تكون
مجهولة النتائج تخيف القائمين عاها . إن
الخوف من التجديد والتطور سنة الكون
فالقديم يحاول الحفاظ على قديمه ويقف
أمام التيار الحديث ولكن الإقناع ورسم
صورة واضحة للمستقبل سوف تقنع
هؤلاء وتتخلص من الموقف السابي وسوف
تساير الرك ه

الكتاب :

إن الشكوى التي يركز عليها الخائفون
من التعريب ويبررون عدم التدريس بها
علاوة على العامل النفسي الداخلي وعدم
وجود الكتاب باللغة العربية وقلة المصادر
التي يعتمد عاها الباحث والطالب ، تلك
حجة صحيحة وصادقة، ولكن إذا آمن هؤلاء
بأن تعريب التعليم واجب من الواجبات
الوطنية والقومية وأنه ضروري للتطور
الحصارى فلا بد أن يسهموا في إعداد الكتاب
الذي يلائم المستوى العلمى الذى يسير
في هديه الطلاب .

وقد برهنت اللغة العربية منذ تأسيس
دار العلوم والجامعة المصرية ثم كلية الطب في
دمشق ومدرسة الحقوق والهندسة في بغداد،

على قابلية اللغة العربية في كثير من العلوم
وقد هضمت اللغة العربية كل المصطلحات
بسهولة ، فقد رأيت كتباً في الطب العام
والتشريح والهندسة والكيمياء والفيزياء في
رمن محمد على باشا وقد ترجمت هذه
الكتب واستوعت مصطلحات الطب
والهندسة والكيمياء والجغرافيا . وقد ترجمت
كتب الطب والكيمياء ووضع لها المصطلحات
ورموز الكيمياء بالعربية وأحرقت التجارب
العلمية وكتبت نتائج هذه التجارب
فيها وفي (يعسوب الطب) أدق الشواهد
وأوضح البراهين ويمكن للباحث أن يجد
في الكتب الطبية التي ترجمها الطبيب محمد
نادر أفندى في علم الأمراض الباطنية والطبيب
أحمد أفندى نيدا (مدرس علم الموالييد
الثلاثة) بالمدرسة الطبية والطبيب
محمد شامعى في (أحسن الأغراض في
التشخيص ومعالجة الأمراض) سيطرة
العربية وقوتها في إيصال العلول الطبية إلى
الطلاب .

إذا كانت اللغة العربية في بداية الترجمة
والاحتكاك بالغات قادرة على وضع كتب
العلوم باللغة العربية ، فلا شك في أنها قادرة
بعد التطور الحصارى والفكرى من أن
تستوعب لغة العلم وتضع كتباً متطورة
اليوم وقد درسنا كتباً في الفيزياء والكيمياء
والهندسة والعلوم الصرفة باللغة العربية
ولا بد أن الدراسة في الجامعات ستسير
في هذا الطريق وتصل إلى ما وصلت إليه
الجامعات الأجنبية في التدريس بلغاتها .

إن وضع الكتاب باللغة العربية والشعور
بقدرتها على استيعاب هذه العلوم وبالتالي
نتخلص من عقدة النقص التي استولت على
بعض المدرسين .

ويقدر الطالب على فهم العلوم بسهولة
ويسر، ومتى استوعب الطالب علومه وضمها
وفهم مصطلحاتها فسوف يكون قادرا على
الاختراع والاكتشاف والإبداع عندما يصل
إلى مرحلة من التعليم كافية لأن فهم القواعد
العلمية الأولى ضرورية للتطور والتحديد
ونقيى بأن الطالب الياباني والروسي والصيني
لم يدع أو يكتشف ويطور العلوم إلا
بعد أن درس العلوم بلغته القومية وأحسن
بالسيطره على هذه العلوم والاستفادة منها .

إن وجود كتاب باللغة القومية أول
أسس القواعد النفسية التي تعسدى
الطالب بالثقة بقدراته لأنها تمكنه من
فهم الحريثات العلمية، وبالتالي تمكنه من
الإبداع . فبعد أن فهم الياباني لغة العلم
عكف على مخترعات العرب وطورها
وأنس أصحاحها في عقريديارهم، بل اكتشف
ما لم يخطر ببال العرب من الأمور الدقيقة
والحريثات الصغيرة التي لم يصل إليها
العرب بعده

الطالب :

متى أصبح الأستاذ مقتنعا بفسيا بضرورة
التعريب وأمن بأنه يقوم بعمل قويم ووطى
وأعدت الكتب وترجمت المصادر، سيكون

تدريس الطالب أمرا سهلا ونقضى على
العامل النفسى

إن التعريب لن يبعد الطالب عن الأستاذ
ويصح حاجز اللغة بينهما بعد أن وصحت
المصطلحات وكتبت الكتب بأسلوب عربى
ميسر :

وقد لاحظت من خلال تمتعى للتعليم
في زمن محمد على باشا مقدار الجهد الذى
بذله المشرفون لإيصال العلوم إلى أفكار
الطلاب . فقد كان الأساتذة لا يعرفون
اللغة العربية، وكان المترجمون لا يعرفون
إلا اللغة العامية المصرية وكان منهم الطلاب
والفرنسيون ولن يكون القرن العشرون ،
بعد أن كثر الدين يعرفون اللغة الأحدية وتوفر
ما ترحم وما وضع من معجمات - حائلا
دون فهم الطالب ولن يحد صعوبة في
التعريب : فقد سهلت المعجمات والترجمة
على الطالب انعلم وفهم النظريات الحديثة
التي تعلم قواعدها الأولية في التابوية :
وسيجد أن لغته العربية قادره على إيصال
العلم إليه . وعندما يدرس العلوم الصرفة
فيها سيكون قادرا على الفهم ورفع
مستواه العلمى والمكرى وبالتالي سيقود
هذا الفهم إلى الإبداع كما حدث في اليابان
وروسيا والصين

ختاما :

إن التعبير باللغة العلمية سوف يعمق
الأصالة الفكرية وأرحو ألا يقف التعريب

الوسائل :

وأخيرا أتمنى لتحقيق هذه الغاية أن .

١ - قوِّف لجنة عربية مختلفة الاختصاص تشمل العلوم الصرفة والعلوم الإنسانية يكون عملها قاصرا على الترجمة واختار أمهات الكتب التي صدرت في اللغات الأجنبية وما ستصدر في المستقبل وأن تخصص جابا من نشاطها على ترجمه المقالات التي تصدرها الجامعات العامة والاعوية والمعاهد المتخصصة وتوزع مع الكتب على جميع ذوى الاختصاص ومواكبة التطور العلمى فى جميع أنحاء الدنيا المتحصره وهذا العمل هو الذى اختصر الهوه بين علماء العالم برغم الاختلاف السياسى وتباين العقائد فى الشرق والغرب ، وادى بالتالى إلى تبادل المعلومات العلميه بين أمريكا ودول أوربا وإلى إرالة الفوارق الاعويه والتعاب على الاختلاف الفكرى وتقريب وجهات النظر فى الإختلاف الذى سببه اختلافهم السياسى .

٢ - جمع المصطلحات الحديثه التى تضعها الجامعات والمؤسسات العلميه والجامعات وتوزيعها على جميع مصادر وضع المصطلحات الحديثه ، لإقرار ما اتفق عليه الذوق العام .

٣ - إصدار مجلات علمية متخصصة لاستعمال المصطلحات الحديثه وقد سبقا إلى هذه فى العصر الحديث العاملون على محله (يعسوب الطيب) و(روضة المدارس) وأوائل أعداد حريده (الوقائع المصرية) وفى العراق (لغة العرب) على ضيق المال

عند ترجمة البحوث ووضع المصطلحات إنما أرجو أن يكون أداة صادقه للإبداع فإذا ساعدت اللغة اللاتينية اللغات الأوربية فى وضع المصطلحات لتقارب محارجها ووحدة جذورها ، فاللغة اليابانية بعيدة كل البعد عن اللاتينية وفى اللغة العربية يساعدنا الاشتقاق والسوابق والواحق على تطور المصطلح العلمى وتوحيده

إن ما ورثناه من مصطلحات العلوم التى وضعها الرواد المسلمون فى البحت العلمى مثل أثر بكر الرازى فى (الحاوى) وما كتبه عن (محنة الطيب) و(الجدرى) وابن سينا فى (القانون) وابن البيطار فى (جامع مفردات الأدوية والأعذية) والحسن بن الهيثم فى (الصوء) وجابر بن حيان فى علم الكيمياء والفارابى والخوارزمى والمجريطى والبيرونى وغيرهم من العلماء والمفكرين الذين تعرفونهم جميعاً ، حافظ لنا فى وضع أسس التعريب الحديث .

إن وحدة اللغة العلميه سوف تكون ركيزة للوحدة الفكرية، تحافظ على الهوية العربيه وتحد من التمزق اللغوى، الذى بدأ يسرى فى اللغة العلميه مع أن اللغة العربيه هى لغة جميع العرب ومن أصالتها يستمدون حاضرم اللغوى وبالتالى سيكون الفكر العربى موحدا علميا ويمكن الاستعاده المباشرة من جهود العرب الحديثه فى الإكتشاف العلمى ويشاركون العالم فى صبح الحضارة بعد أن بذلت الجامعات العربيه جهودا كبير فى تيسير المصطلح وصقله وجاء جيل جديد تعلم الأجنبية وأتقنها .

وقلة العلماء والمترجمين ولا يمكن أن يقتصر العرب اليوم - بما لهم من أموال ومن كثرة في الأساتذة ووفرة المترجمين والمختصين - على مجارة الرواد الأوائل .

٤ - تشجيع البحث العلمي بإعداد شباب في الدراسات العليا يوقفون بحوثهم على جهود العرب في العصر العباسي وعصر محمد علي لدراسة لغة العلم في هذه الحقبة وحصر المصطلحات العلمية التي استعملت في كتب العلوم الصرفة بصورة خاصة والعلوم الإنسانية بصورة عامة .

٥ - القضاء على الانفصام الفكري الذي بدأ ينتشر بين العرب في فهم لغة العلوم وإقناع الأساتذة بضرورة التعريب لأنه من أهم أسس الأصالة العامة للأمة وتطویر حضارتها وغرس الثقة بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الحديثة والتأكيد على أن الروابط التاريخية والوطنية والقومية تقوم على وحدة اللغة التي تنهض الجسور بين الشعوب العربية وتعمق الصلات الروحية والحضارية بينهم . بعد أن أثر هذا الانفصام في كثير من اتجاهات المفكرين المعاصرين ، بعد الترقق الداخلي للأمة العربية الذي حال دون وحدة الفكر والمصالح المشتركة :

٦ - ضرورة توحيد التشريع لتعريب التعليم باللغة العربية ، وقد سبق مجلس قيادة

الثورة في العراق إلى وضع هذا التشريع وطلق في الجامعات العراقية ولا بد أن الأقطار العربية الأخرى فعلت ما فعل العراق . وآخر ما صدر قرار من الملك فهد بضرورة استعمال اللغة العربية في جميع المملكة العربية السعودية

إن تعريب التعاليم لا بد أن يكون متكامل الأهداف ليصل إلى وحدة فكرية ولغوية ولن يصل إلى حد النجاح ما لم يكن هناك رابط نفسي يندسق هذا العمل الكبير وأن يكون له مركز يوجه هذه الأعمال الكثيرة . يتابع تطبيق ما تضعه الجهات العامة من مصطلحات وترجمات وتعريب .

وان تخدم القرارات التشريعية وحدها الهدف الكبير ، ما لم يساند فكريا ، يؤمن الجميع بأن التعريب يقرر مصير اللغة العربية المعاصرة ومستقبل الأمة كلها ، وسوف يأخذ الأمة إلى مستوى علمي راق لتواكب الحضارة الغربية ، بعد أن سبقنا العرب بمراحل واسعة

أرجو من الله التوفيق وأن يأخذ بيد العرب نحو أسمى هدف من أهدافها في وحدة فكرها ولغتها ومصيرها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف عز الدين
عضو المجمع المراسل من العراق

حرفا "الباء" و "الفاء"

بحث الدكتور عمر فروخ

لا شك

في أن الأبجدية كانت
نعمة عظيمة على المدنية
والثقافة واللغة والعلم . ولكنها كانت
أيضاً قيداً على اللفظ الإنساني .

لسنا نعلم متى استطاع الإنسان أن يضع
الأبجدية ولا نعلم في أي الأقطار قد وصعها .

ولكننا نرى من الأبجدية وجهين . ظاهر او باطنا .
أما الوجه الأولي الظاهر فهو أن التجار
الكنعانيين (ومن الناس من يقول : الفينيقيون
خطأ) هم الذين نقلوا الأبجدية (بعد أن
وصلت إليهم من مكان ما) إلى الإغريق .
ومن الإغريق انتقلت الأبجدية إلى اللاتين .
ومن اللاتين انتشرت في العالم الغربي .

ولعل انتقال الأبجدية من الكنعانيين
إلى العرب كان من طريق الآراميين ، لا
من طريق العبرانيين ، ذلك لأن العربية
والسريانية تكتنان بحروف موصولة .

وأما الأمر الباطن أو الخامص فهو أننا

نعلم أن الأبجدية وصلت إلينا اثنين وعشرين
حرفاً من الكنعانية إلى الآرامية إلى العربية ،
غير أننا نميز لأنفسنا أن نقول إن الأبجدية
(أي مجموع الحروف المعبرة عن الأصوات)
كانت قبل الكنعانيين (أي قبل أن تصل
إلى الكنعانيين) أقل من اثنين وعشرين
حرفاً ، لما أنها أصبحت بعد أن حملها
الكنعانيون إلى الإغريق أكثر من اثنين
وعشرين حرفاً .

وتعليل ذلك ليس مستعصياً إذا درسنا
الحقائق التالية .

إن العبرانية زادت حرفاً (مشتقاً
صوت السين) .

وإن الأبجدية الإغريقية زادت حرفين
مركبين ، وتبدل فيها أحرف ، أشهرها العين
التي أصبحت واوا قصيرة مفخمة .

وأما اللاتينية فنشأ فيها ياء جديدة وقاف

(إذا كان في الكلمة كاف يتلوها حرفاً

علة) :

* * * وأن الكلمة الفرنسية temps والكلمة الإنكليزية tall والكلمة الألمانية Teufel (وهي كلها بطاء واضحة) تكتب في اللغات الثلاث بالتاء.

* * *

هذه المقدمة الطويلة كانت ضرورية للانتقال إلى الأصوات العامضة التي يعبر عنها بحرفين وهي في الأصل صوت واحد سمعته الأمم سماعاً مختلفاً. واسمحوا أن أبدا من اللغة الأحسية كيلا يضل بي شيء من الميل على لغتنا القويمة. وسأقصر كلامي هنا على حرف الباء وحرف الغاء. ولكن يحسن أن نعلم أن هناك باء واضحة وباء مهموسة ثم فاء واضحة وفاء مهموسة

— إن شهر نيسان يعرف في اللغة اللاتينية باللفظ . april (بباء مهموسة) ويحىء بالفرنسية avril (بفاء مهموسة) وبالإسبانية abril (بباء واضحة) وبالإنكليزية april, aprile والألمانية والهولندية والإيطالية (بباء مهموسة) .

— ويصعب الذين يسمعون الألفاظ أحيانا بين الأصوات وطلالها. قال الإنكليز للقرد ape ، وقال الألمان Affe وقال الألمان للتفاح Apfel (بباء مهموسة بعدها إفاء واضحة) وقال الإنكليز apple (ببائين مهموسين) .

كما احتاجت اللاتينية إلى حرف يقع في الكلمات المستعارة من اللغة اليونانية . وغفلت جميع الأمم إلا العرب عن دقة التمييز بين الأصوات المقاربة في لغاتها فكتبت أصواتاً متقاربة أو متباعدة بحرف واحد ، من ذلك مثلاً أن صوت الكاف وصوت الحاء يكتبان في السريانية والعبرية بحرف واحد ، على بعد ما يسهما في المخرج

وأما العرب فرادوا في الأبجدية ستة أحرف يجمعها قولك (تخذ صطع) هذه الأحرف الستة تمثل أصواتاً موحودة في اللغة العربية وأصواتاً مفرقة في لغات غيرها تنبّه الإنكليز لثلاثة أصوات في لغتهم الثاء والذال والظاء وكتبوها كلها بمجموع واحد مؤلف من حرفين . فقالوا thin (ث - بالكسر) و the (دا ، دي) thus (ظس - بالفتح) .

ومثل ذلك فعل الألمان بصوت الحاء الخفيفة أو الثقيلة وفعل الاسكتلنديون بصوت الحاء وكتبوه جميعهم بحرفين . ich و doch (بالألمانية) ثم Loch (اسم بحيرة في اسكتلندا بالإنكليزية .)

وأما صوتا الضاد والطاء فوجودا في لغات كثيرة ، سأكتفي من الأمثلة بما يلي : « إن الكلمة الفرنسية ruh والكلمة الإنكليزية done والكلمة الألمانية Dorf (وهي كلها بضاد واضحة) تكتب في اللغات الثلاث بالذال .

وسأتناول الكلمات الغربية الحائرة بين
الباء والفاء من حائنين من جانب يتناول
الكلمات عند انتقالها في صوء التاريخ من الأمم
الأجنبية إلى العرب ثم من الحالب الذي تقلب
فيه الكلمات العربية على اللسان العربي

كان للعرب من قبل الإسلام احتكاك
باليونان والرومان واليهود والفرس وجميع
هذه الأمم تعرف البائين : الواصحة والمهموسة
سمعوا من الهنود أو من الفرس كلمة (بيل)
فقالوا فيها : فيل . وسمعوا من الفرس : دارس
فقالوا فيها فارس والمرردق والفابيد والفرسح
وسمعوا من اليونان بارا ديوس وبلاطون
وبيثاغورس فقالوا فيها : المرديوس وأهلاطون
وفيثاغورس . ولكنهم سمعوا من اليونان
أيضا بريمينياس (أحد كتب أرسطو
في المنطق) فتركوها ناريمينياس ثم سمعوا
أيضا فيليستين (اسم شعب حاء جزيرة
كريت) وفيلوسو فبافتركوها بالفاء .
فلسطين^٤ وفلسفة .

* * *

ونأتي الآن إلى كلمات تقال في العربية بالباء
وبالفاء ، والمعنى بالحرفين واحد أو كالواحد
لا أظن أن أحدا منا يستعرب إذا قيل له
إن حرفي البحر الماء المكسورة والفاء ، المكسورة
المشبعة بالياء ، صوت واحد في الأصل
ثم إن الفعلين باء وفاء معاهما « رجع » (في

المعجم الوسيط) ثم هالك بأر ، وفأر بمعنى
حصر . ونقر السطن شقه . وفقر الأرض شقها
وخر الأرض شقها وحمرها والعامية يقولون
في حنر وحر ثم هالك حماه وحماه بمعنى أعطاه
ثم يقع الحلد خالط لونه لون آخر ووقع
اللون الأصفر^٥ .

ومن هذا الباب خبت ذكره تخفي وخمت
بصوته أخفاه^٦ هفت الريح هت . وتخبى
اختفى ثم تخفى استقر وتوارى . ومن ذلك
أيضا برف فرع ودهش ثم إفرق جرع
واشتد خوفة

* * *

هذه حولة قصيرة في القاموس — وفي
جانب واحد منه — دارت حول جانب من
فقه اللغة المقارن ، لم أقصد أن آتي بهذه الحولة
على جميع ما يمكن أن يقال فيها ولكني
أقصد أن أفتح نافذة صغيرة على التروة العظيمة
الحميلة في لغتنا العربية في ذلك الدور القديم
من تاريخها حينما كان الصوت معبرا عن
عن المعنى أو حينما حاول الإنسان أن يعبر
بالصوت عن المعنى في ذلك الحين . لم يكن
هالك فرق بين لغة ولغة . سأفتح في هذا
المقطع الأخير الباقي من كلمتي هذه ناهله
أصغر بكلمة واحدة هي موضوع حديث .

في اللغة العربية جاءت اللام مع الهمزة
أو مع الهاء ومع الواو ، للدلالة على الصوت
المرتفع في الحزن والألم أو في الفرح والمتشاط
وكادت الهاء مع اللام تختص برفع الصوت
بالتلبيه أو الدعاء في المواسم الدينية . والتلهيل

في الحج في الإسلام أمر مشهور (راجع تاح العروس القاهرة ٧ : ٣١١ و ٨٠ ١٦٠ ١٧١ ، ١٧٣ ، راجع ١٧٧) وليس من المستغرب أن نجد مثل ذلك في المألفة والعبرية فهما لغتان أعرابيتان . ولكن لعل نرا ما يستغربون أن يجدوا هذا الصوت في اللغة الإنكليزية معبرا عن مثل ما يعبر عنه في اللغة العربية إن هذا الصوت انفعالي (لا إرادي) يبدل من الإنسان في حالة الطرب (من المرح أو الحزن) ومن الحماسة في الحرب . وأغرب من ذلك أن يكون هذا الصوت قد انتقل من اللغات الأعربية إلى اليونانية أو إلى البيزنطية (اليونانية المتأخرة والمسيحية) على الأصح ثم إلى الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والإسبانية وإلى سائر اللغات التي ينطق بها المسيحيون في العالم . وتتردد هذه الكلمة هلياويا في هذه اللغات بين البدء بالهمزة أو البدء بالهاء كما أنها في العربية حائرة بين الهمزة والهاء أيضا . الآ ليل والتهليل وقد أنصف « المعجم الكبير » (١ . ٤٢٥ - ٤٣٢) هذا الجذر « ال » من ناحية الاشتقاق والشواهد

أما صلة « ال » و « هل » بهذا البحث بين الماء والفاء فهو لفت النظر إلى الحروف التي يحل بعضها مكان بعض في اللغة العربية وفي سائر اللغات ، وذلك لتقسيم مراحل اللغة ثلاثة أدوار

— الدور الصوتي . حينما كان لفظ الكلمة يدل على معناها

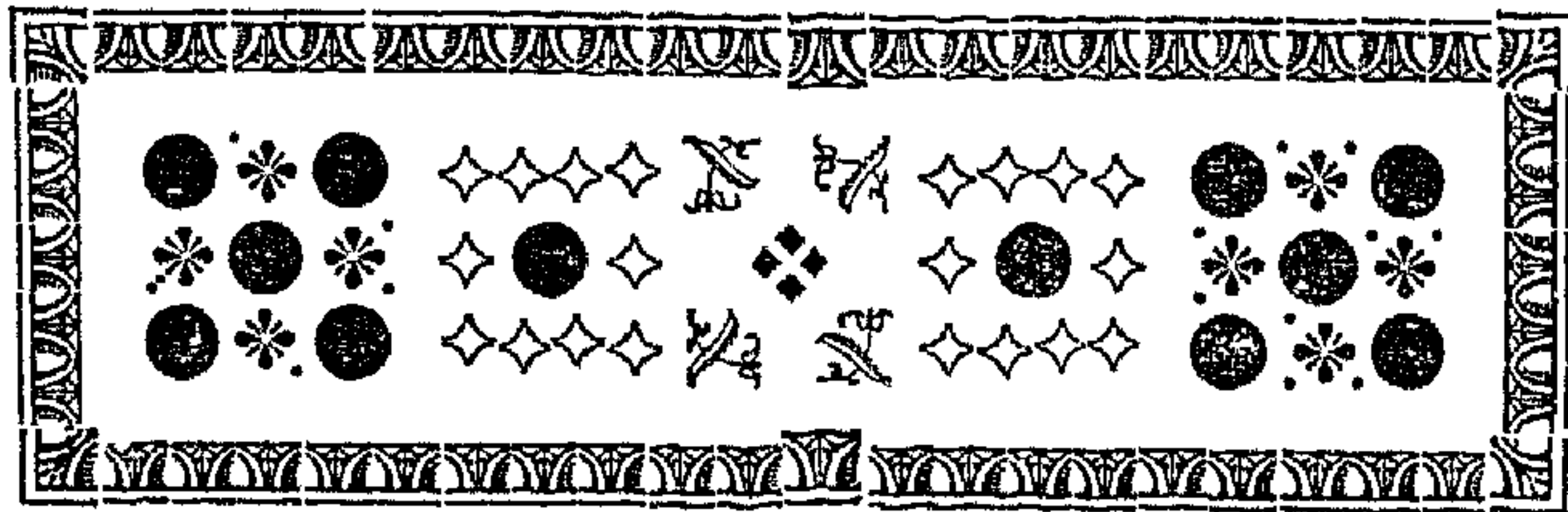
— الدور المعطى . حينما احتاج الإنسان إلى التعبير عن معان وأشياء فتواضع على ألفاظ لا صلة بها بين الصوت والمعنى

— الدور الاجتماعي . حينما نقل الإنسان الألفاظ من حانب إلى حانب على سبيل المحار مما لا صلة ، بالتواضع على ألفاظ معينة ولا بالصوت .

أرحو أن أكون هذه الكلمة التي طالت قليلا قد أشرت إلى موضوع دى صلة بمقه اللغة المقارن ومكانة اللغة العربية في هذا في الحقل الواسع من البحث .

عمر فروخ

عضو المجمع من لبنان



معوقات تعريب التعليم الجامعي

للدكتور محمود مختار

بحث

العربي بل على مكانة الأمة العربية من
ركب الحضارة الحديث

الأصوات في المؤتمرات
العلمية في كافة أرجاء

إن كلا من الجانبين الجامعي واللغوي
يحمل قسطاً من مسئولية تعريب التعليم
الجامعي في الكليات العملية ، وذلك بحكم
كيانه أولاً ثم قانون إنشائه . وإلى وقد
مارست الجانبين ، لن إنحار لأحدهما دون
الآخر بل سوف نحاول وضع الحقائق
كما لمستها في كل منهما في عرض موجز
مجرد .

الوطن العربي وفي السنوات المحلية
وأجهزة الإعلام منادية بحتمية تعريب
التعليم الجامعي وبخاصة في الكليات العملية ،
وداعية لتوثيق الترابط بين التعليم الجامعي
بصفة عامة وبين اللغة العربية ولهذا الموضوع
بطبيعة الحال جوابه الحيوية الإيجابية ،
وهذه تناولها الزميل الدكتور محمود حافظ
في محاضراته القيمة كما أن للموضوع سلبياته
أو معوقاته التي تعترض مساره وتماؤه
بالثغرات والعقبات وهذا هو موضوع
كلمتي هذه .

إن مكانة كل من اللغة العربية والتعليم
الجامعي تحتل في كيان الأمة العربية أعلى
المراتب فاللغة العربية التي استمدت قوتها
من القرآن الكريم ليست في حاجة منى
أو من غيرى لإيصاح أهميتها في جميع
جوانب الحياة . فهي اللغة الصالحة لكل
زمان وكل مكان والقادرة على أن تفي
بكل ما يمت لحياة الإنسان . وعلى الجانب

هناك من يرى أن كلا من الهيتين الجامعية
واللغوية تعمل في هذا المجال -
مجال تعريب التعليم الجامعي في الكليات
العملية - بمعزل عن الأخرى ، وهناك من
يذهب إلى أبعد من ذلك ، وأيا كان مقدار
هذه العزلة فإن المأساة تؤرق كل عربي
غيور على مستقبل التعليم الجامعي في الوطن

(*) حديث ألقى في مؤتمر الجمع في الدورة الحادية والحسين في ٧ مارس ١٩٨٥

الأخر فإن العلوم التطبيقية والتكنولوجيا الحديثة وقد تصدرت كل حواشٍ المحاضرة الحديثة وتغلغلت في كل جوانب الحياة فمكانتها ليست أيضاً في حاجة منى أو من غيرى لتأكيد أهميتها أو التمدليل عليها ، أما الأمر كذلك فأين يا ترى تكمن جرتومه العزلة أو التباعد في مجال حيوى كتعريب التعليم الجامعى الذى طال أمده واستعصى حله ما يزيد على نصف قرن من الزمان . لبدأ البحث في قانون الجامعة ثم في مجمع اللغة علما نهتدى إلى ضالتنا .

وفد أربى عددها على الستين في الوطن العربى فأصابها جميعاً بالداء الالهم إلا واحده أو اثنين صمدتا للتيار ولكن تجربتهما لم تتكرر بعدهما بل لقد حدث العكس ، فقد سرت العدوى إلى جامعة كانت قد بدأت تدريسها في كلياتها العملية الحديثة باللغة العربية بحكم كونها مداراً وأمياً عليها منذ أكثر من ألف عام وهى جامعة الأزهر ، فقد أساقت في تيار الجامعات الأخرى وأقرت استخدام اللغة الأجنبية واستبدلتها بالعربية ، ثم بعدها جامعة الرياض فلاقت المصير نفسه

وبعد أيها السادة ، هإلى أبادى ناقاد التعليم الجامعى من جرثومة الإستثناء هذه وهى في نظرى المعوق الأول لتعريب التعليم في الكليات العملية .

لا تنقل بعد ذلك لمعوق آخر . هو عدم وجود الأستاذ الجامعى القادر على أن يحاطب طلمته بلغة الأم السليمة بدلا من المعجمة البعيدة المتفشية اليوم في التعليم الجامعى والتي تجمع بين لغة أجنبية صعبة ركيكة مختلطة بالفاظ متأثرة من عربيه عامية دارجة .

ونى رأي أن مسئولية إصلاح هذا الوضع يقع على عاتق كل من الجامعات ومجامع اللغة فكما أن من واجب الجامعة أن تحرص على إعداد المدرس فيها إعدادا عاما جيدا ، عاها أيضاً أن تحرص على إعدادة للتدريس

يحدد قانون الجامعة أهدافها بعناصر ثلاثة هى التعليم والبحث العلمى وخدمة المجتمع ويص صراحة في أول بنوده على أن لغة التعليم في الجامعة هى اللغة العربية ، وهذا أمر طبيعى لا جدال فيه ولكنه ليته وقف عند ذلك . بل لقد أردفه باستثناء به التدريس بلغة أجنبية تلك هى الجرثومة التى ولدت ونمت وأبدت ما تعابه الجامعة اليوم من مأساة التعليم بعير العربية في كلياتها العملية وإذا سلمنا بأن هذا الإستثناء كان له إيا يبرره عند إنشاء الجامعة منذ أكثر من خمسين عاماً ، فقد كان من اللازم تحديده وتوقيته واكن فتح باب الإستثناء دون تحديد أو توقيت جعل منه المساعدة وطمس ه الأصل . فترعت جرتومه التعليم بلغة احدمة في هذه الكليات . تم انتقلت من الجامعة الأم إلى كل جامعة أحدثت بعد ذلك

باغة الأمم لتزداد قدرته على الإيضاح وتزداد قدرة الطالب على الاستيعاب . أما مسئولي مجامع اللغة فإنها تتناول نشر اللغة العربية العلمية المذمورة كتابة وقراءة وتيسير الاشتقاق والنحت والقياس والمجاز والتركيب فيها ، وعليها أن تكون أرحب صدرآ لإستقبال ألفاظ الحضارة والتكنولوجيا الحديثة والمصطلحات ذات الطابع الدولي وإثراء اللغة العربية بها ثم التوسع في استخدام السوابق والالواحق ، وأخيراً وليس آخراً تطوير الكتابة والطباعة الآلية والإلكترونية باللغة العربية ، التعامل مع الحاسبات وأجهزة المعلومات الميكرو الإلكترونية الحديثة .

بمثل هذا أيها السادة تصبح اللغة العربية لغة علمية حضارية حيّة ميسرة لا للتعليم الجامعي وحسب بل لكل مقتضيات الحياة الحديثة .

ونمة معوق ثالث صمد بأنه معوق مقمع ، ذلك هو تلك الكتب الدراسية المترجمة عن لغات الشرق أو العرب والتي غرت سوق الكتاب العلمي . أصعبها بابها معوق مقمع لأن طاهرة البراءة التي تراعى في إيجابياتها تحيى الكثير من سلبياتها . هذه الكتب الدراسية قد كتبت أصلاً لطالب جامعي في مجتمع متقدم علمياً وحضارياً تختلف أساليبه وإمكاناته وبيئة عن طالب في مجتمع نام له ظروفه الميثية والتعايمية وإمكاناته المحدودة وقد استخدم في ترجمه هذه الكتب

مصطلحات علمية عربية من وضع المرحم واحتجاده والتي لم يوفق في الكثير منها . فاختلعت الكتب فيما بينها في مدلولات هذه المصطلحات وراحت بليلة القارئ في التعرف على المعنى المقصود ثم إن في غالبية هذه الكتب استسهل المترجم كتابة المعادلات الكمائية والمعادلات الرياضية والميريقية باللغة الأجنبية وبالصوره التي وردت في الأصل ، وهصلا عن هذا الخلط المتناهر بين العربية والأجنبية فإن به إجماع واصحها يعجز اللغة العربية وهصورها عن كتابة هذه المعادلات ، وهو إتهام باطل من أساسه . كل هذه السلبيات في في الكتب الدراسية المترجمة تبدو كثيراً على مع إيجابياتها ، ولهذا لم ترحب بها الجامعات التي تستخدم اللغة العربية في تدريسها وأندرها . أما الجامعات التي تستخدم اللغة الأجنبية وهي الدالية فلا حاجة لها بها . وبعد أيها السادة .

فاني أكتفي بالقاء الضوء على هذه المعوقات الثلاثة التي تعترض مسار تعريب التعليم الجامعي في الكليات العملية وقد أوردتها للتمثيل لا للحصر . أما أمر علاجها فهو في يديها تين الجامعة واللغوية متصلاً متين وحيداً لو انشئت لذلك هيئة قومية موسعة ترعاه بالدراسة المستفيضة والتخطيط السليم وتقيد اللغة العربية العلمية من هذه المعاقاة وتحلها مكانها الواجب في التعليم الجامعي بل وفي الحياة الحضارية الحديثة .

والله تعالى ولي التوفيق ، ، ،

محمود مختار
عضو المجمع

قضية تعريب التعليم العالي والبحث

في مصر

للدكتور محمد هاشم

شهد

مصر في ربيع القرن
الأخير وفل ذلك

بسواب عناية واهتمام بتعريب التعليم
العالي والجامعي واتحاد الامة العربية لخدمة
العلم والتعليم وذلك من منطلق واع مستنير
يستشرف الآفاق الرحبة لخدمة الامة ويرى
في قوتها وحيويتها الدافعة وثرائها وسموها
قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق
في شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى مواكبة
الإيقاع السريع الذي يشهده في هذا العصر
لحركة العلم والتقدم العلمي كما يهض بالتعليم
الجامعي ومسوى تحريجه الآحاد في المسوط
والتردى إلى درجه لفتت إليها الأنظار في
كل مكان .

ومبعت الاهتمام كذلك بالتعريب وبالامه
العربية يأتي من ترات عربي يستمد حضوره
من تلك البهجة العلمية الإسلامية التي تألفت
في سماء الأمة العربية ونبعت أوحها في عصر
الحلمة المأمون (٨٧٦ / ٨٣٣ م) حيث أحد
المساحون يهاون من موارد العلم ويترحمون
الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية وينقلون
إلى الامة العربية مختلف الدخائر العلمية وقد
حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التي

امتدت بعد ذلك بضعه قرون عدد من
العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات
العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات
وأضافوا إلى التراث الكبير من مستكراتهم
كان ذلك العصر عصرا ذهبيا بالنسبة
للعربية لخدمة العلم وحرب بآلاف المصطاحات
والمقولات والمأثورات ولا رلما نحن المسلمين
بالعلوم حتى اليوم نترع من نعلم الرياض
وأسارهم الرائعة كوؤوس العلم والمعرفة بأغمة
عربية حزله معطاة اتسعت آفاقها ارحمة
لختلف العلوم والفنون ولست في حاجة
إلى القول إن الامة العربية هي الأداة
الطبيعية للتعليم الجامعي والعالي وذلك
لاعتبارات هووية وعلمية واجتماعية إذ أن
الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت
تعلم باعتمها وتكتب وتؤلف باعتمها وقد
أكدت ذلك كل المؤتمرات والمداولات العلمية
التي توالى عقدها في البلاد العربية في عام
١٩٦١ ومافناه والتي نظم معطيتها وأتت
عليها اتحاد الجامعات العربية لدراسة كالات
التعليم الجامعي وأخص من بينها المؤتمر

(*) ألقى البحت في الجلسة العلنية (العاشرة) مساء الأربعاء ٧ / ٣ / ١٩٨٥ م

العام الذي عقده الاتحاد في فبراير عام ١٩٧٣ والإستفتاء الذي اضطلع به المكتب الدائم لتسيق التعريب في العالم العربي بالمغرب عام ١٩٦٦ وكانت هذه المؤتمرات تستهضى الهمم بضروره إسراع الجامعات العربية بتعريب التعليم في كلياتها المختلفة واستخدام اللغة العربية كذلك في البحث العلمي وفي التقييمات الحديثة كما أن اليونسكو كرر دعوته وتوصيته بحل اللغة العربية لغة المعايير في مراحلها المختلفة وفي مقدمتها مرحاه التعليم الجامعي بل إن قانون الجامعات حرص على النص على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والتدريس وإن كان قد سمح بتأجيل أعمال هذا النص في بعض الأحوال فيما كان ذلك لأجل موفوت

وقصصيه التعريب في التعليم العالي والجامعي ترتكر على محاور أو اهتمامات ثلاثه هي الأستاذ والكتاب والطالب وسأعرض إلى كل منها وما أصابها جميعاً من تطور في ربع القرن الأخير في مصر مع الاستشهاد بكافة العاوم بجامعة القاهرة التي أعمل بها منذ خمسين عاماً وأود أولاً أن أذكر أن في مصر الآن اتيت عشرة حاهمه تصمم قرايه نصف المايون من الطلاب يدرسون في مائة وواحد وسمعين كايه ومجهداً بالإصافه إلى ستة عشر مهنداً حالياً تابعاً لوراره التربيه والتعليم وتحت إشرافها في مصر الآن ٢٤٠ مائتان وأربعون مركزاً ومجهداً للبحث العلمي - وتشهد ربع القرن الأخير في

مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائله في أعداد الطلاب والكليات والمعاهد وازدادت تبعاً لذلك أعداد أعضاء هيئة التدريس بالتعايم الجامعي والعالي ومن بين هؤلاء الطلاب قرايه مائة وخمسين الما يدرسون معظم مقرراتهم بالانجه الإنجائريه وهم طلاب كليات العاوم والهندسه والطب البشرى وطب الأسنان والصيده والطب البيطرى والمعهد العالي للتدريس ومعهد العلاج الطبيعى ويعوم بالتدريس لهم نحو خمسة عشر الما من الأساتده والأساتده المساعدين والمدرسين والمدرسين المساعدين والمعيلين (٦٣٠٠ من هيئه التدريس و ٨٧٠٠ من المدرسين المساعدين والمعيلين) وذلك لحلاف أعضاء هيئه التدريس بحاجه الأره - وهناك فاه من المقررات في بعض هذه الكليات تدرس باللغة العربية كما سيتمصيح فيما بعد وحمايه القول أن نحو ٣٠٪ (ثلاثين في المائة) من مجموع طلاب المرحاه الجامعه في مصر ونحو ٥٠٪ (خمسين في المائة) من مجموع أعضاء هيئه التدريس في هذه المرحاه يدرسون ويبدرسون بالجه الإنجائريه في الوقت الحاضر - أردت بذكر هذه الأعداد من أسانده وطلاب أن المصح إلى حجم المسكاه وابعادها في الحاضر والمستقبل قريه ويعيده

دور الأستاذ والمعلم في قضية التعريب :

لست في حاجة إلى التأكيد أن دور الأستاذ أو المعلم دور رئيسى في قضية تعريب التعليم العالي والجامعي وأحد أركانه

الركيزة وفد شهد ربع القرن الأخير في مصر نشاطا ملحوظا في الدراسات العليا وحصل على درجة الدكتوراه من الجامعات المصرية بصحة آلاف أبحاثهم درجاتهم العلمية التدريس بالجامعات أضيف إلى ذلك آلاف أخرى عادوا من الخارج بعد أن أتموا دراساتهم العليا بالجامعات الأجنبية بالجلترا وأمريكا وفرنسا وبلاد الكتلة الشرقية وغيرها وتخصص الكثير منهم في العلوم الحديثة والتطبيقية ويقومون بتدريس أغاب هذه العلوم باللغة الإنجليزية في كلياتها وجامعاتها المختلفة على مدى سنوات طوال حتى اليوم وتجذبهم في ذلك المادة العلمية الجاهزة في مراجعها الأحادية وبميل بهم التراخي إلى تكرارها ويخشون استخدام اللغة العربية فيحتاجون إذن إلى بدل جهود مصاعمه في الترحمة والإعداد هم في غي عنها حين يستخدمون اللغة الأجنبية ويا ليت اللغة الأجنبية التي يتعلم بها الطلاب لغة سائمة بل هي آحاد في التردى وقد زاد الطين بابه تكادس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماما بهذه اللغة الأجنبية ويغنى أن نطلع على أوراق اجاباتهم بكليات العلوم والطب التي أعرفها حتى المعرفة لنرى انحدار المستوى اللغوي والعلمي في هذه الأيام والذي باغ درجه من الصعف عند كثير من الطلاب لم يسبق لها مثل ومع ذلك نرى عزوفا عن التدريس باللغة العربية

وعلى الجانب الآخر نرى صوراً مشرقة وضاعة لمصر من أعضاء هيئة التدريس بجاهداتنا المصرية خاضوا التجربة - تجربة التدريس باللغة العربية في عزم وإصرار وأبلوا فيها أحسن الملاء ومن بين هؤلاء عالم فاضل هو الأستاذ الدكتور على محمد كامل رئيس قسم هندسة الطاقة بكلمة الهندسة بجامعة عين شمس وكان قد أتم دراسته العليا بالجلترا قال وهو يصف التجربة التي حاصمها في التدريس باللغة العربية حتى على عقد من الزمان وأنا أراول التدريس بالخط العربي الإنجليزي قبل أن استجمع عريمتي واستندت إلى نص قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة فلم أحد العقبات التي كان بعض الناس بتصورها فكتر من المصطلحات كان متداولاً وإن احتاج معه إلى من التهذيب وغيرها كانت تحتويه المعاجم وإن اعتراه بعض التشتيت أ.أ. الباقي فقد أفادني حواره التدريس لعشر سنوات خات في الوفوف من معناه إلى درجة تؤدي بسر إلى اختيار النمط العربي الصالح لتأديته وكان على أن تعود اتباع الأسلوب العلمي الصارم في التعبير حتى أصل إلى أقرب الطرق وأوصحها إلى أدهان الدارسين فأنقل إليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلس .

وتحصرني تجربة أخرى تستحق التسجيل
خاضها الدكتور عبد الملك أبو عوف الأستاذ
بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة حين انتدب
لتدريس الكيمياء العضوية بجامعة دمشق
واضطر لتدريسها باللغة العربية لأول مرة
واستطاع أن يفعل ذلك بعد بضعة أسابيع
ثم قارن بين عمله في القاهرة وفي دمشق
في قوله « وما أحب أكرر عايه . هو حسن
المتائج التي أحررها الطلاب بالنسبة لنتائج
أقرانهم طلاب كلية الصيدلة بالقاهرة وصحاحه
المتحصل وحسن الاستيعاب الذي توصلوا
إليه إلى أن قال إن تفهم الطلاب للمادة
المحاضرة والشرح كان معه من بدل مجهود
بصاعده . يصرف نفسه لفهم اللغة والتعرف
على المعربات الصعبة في اللغة الأحادية التي
يدرسها . ويصرف المصنف الآخر
من الجهد لاستيعاب المادة العلمية نفسها
وصلا عما يعجزون فهم الطلاب أحيانا من
غموض في المعنى أو نقص فيه يخلل معه
بناء المعلومات أو تفهم إياه بعد الصوره
المقتضيه من المحاضر .

ويجدر بي في هذا المقام أن أذكر جهود
عالم من حوزة علمائنا في مصر هو المصنف له
الدكتور محمد ولي المدي أصر على تدريس
علم الحيوان باللغة العربية طوال ريع فروع
كلية العلوم بجامعة القاهرة وعمل جاهداً
مع زملاء له على رأسهم الأستاذ بالجليل الدكتور
كاديل منصور في تعريب الكيمياء والمصطلحات

وكنا نحاس إليه وبأخذ عنه ونذكر له
محاضراته التي ألقاها في عام ١٩٣٤ بالجمع
المصري للثقافة العلمية عن « العربية لغة للعلم »
والتي جاءت معبرة عن رغبة حارسة
في صدورنا في تعريب التعليم الجامعي
والتي لم ترل مثله حتى اليوم على الرغم
من العصات التي تعترض طريق النجاح
ولذلك كانت كلية العلوم من أوائل الكليات
التي عييت بتعريب التعليم وسعدت بعدد
من علمائها وقممها الشاخصة الذين ألبوا في
هذا المجال أحسن الملاء وحهودهم بارزة
شاحصة حتى اليوم أمثال المصنف لم
الدكتور علي مصطفى مشرفة عالم الرياضيات
والدكتور أحمد ركي عالم الكيمياء وعصو
مجمع اللغة العربية في مصر والدكتور محمود
توفيق حمنواي عالم السمات والزراعة وعضو
المجمع ايضاً ثم الدكتور كامل منصور عالم
الحيوان أهد الله في عمره

وفي أوائل السبعينات استقر الرأي على
تدريس العلوم الطبيعية وعلوم الحياة بالأسرة
الإعدادية لطلاب الطب باللغة العربية والتمت
لذلك كتب مرحمية في هذه العلوم منها
كتاب علم الحيوان العام وكتاب علم السمات
العام وكتب في الكيمياء والفيزيقا تصم آلاف
الصفحات والمصطلحات واستمر التدريس
باللغة العربية عدة سنوات وكانت النتائج
مدهشة من حيث استيعاب الطلاب للمادة

العلمية وتفهمها في سهولة ويسر والأسف الشديد عدل عن هذا التمرار وعاد التدريس باللغة الإنجليزية استجابة لما طالب به كليه الطب وتكرر بنفس القصة بالنسبة لطالب السنتين الأولى والثانية بكلية العلوم في أوائل السبعينيات - ومنذ سنوات تلاب في شهر مايو عام ١٩٨١ وافقت لجنة قطاع الدراسات الطبية التابعة للمحاسن الأعلى للإحاطة على السماح باستخدام اللغة العربية في التدريس بكميات الطب ولكن قامت قومة أساتذة الطب للحيلولة دون تهديد هذه التوصية وسقطت في هذا الاتجاه محاولات أخرى قادها الدكتور محمد سايان أستاذ الطب الشرعي بجامعة القاهرة ومعه زمر من المؤمنين بهذه الرسالة ولكن لم يكتب لهذه الجهود النجاح . ومرد ذلك إلى قريه يروحها المعرصون أو المتحورون من أن اللغة العربية قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التعبير عن علوم الطب أو عره باللغة العربية وعن ملاحقة التطور العلمي السريع في هذا المجال وفاتهم أن جامعة دمشق تقوم بتدريس الطب باللغة العربية منذ خمسين عاماً حتى اليوم كما فاتهم أن أقرانهم من الأساتذة بالكليات الأخرى ككلية الزراعة وغيرها يدرسون مادتهم العلمية باللغة العربية منذ سبعين طرياً وتخرج على أيديهم العديد من العلماء والباحثين

وحملة القول إنه لا سبيل إلى تعريب التعليم العالي والجامعي ما لم يؤمن بذلك

الأستاذ وعصو هيئة التدريس وما لم تروى في هذه قناعه فورة بأهميه التعريب باعتباره قضية قومية ووحيه فعالة للارتقاء بمستوى التعليم ودفع حركته خطوات مناعة فسيحة إلى الأمام وأن تتوافر حاب هذه القناعه وهذا الإيمان أحدث المراجع العلمية واللغة العربية وله في ذلك دور كبير ترجمه وتالياً وتعريباً للمصطلحات مع تأهياه لتدريس بالعربية لتحسن لعتة ويستقيم لسانه وقد كتب العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم حايمة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني دراسة قيمة في موضوع تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالعربية وأشار في مجلة المجمع - أربع سنوات - إذا اجتمعت كل هذه المقومات واقترنت بقرار سياسي مارم بتعريب التعليم الجامعي لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية فلا شك أن عصو هيئة التدريس سيمضي في تأدية رسالة التعليم بالعربية بالجامعة بالأسان عزمي

الكتاب وقصة التعريب :

إذا كان الأستاذ أو المعلم يمثل ركناً رئيساً في قضية تعريب التعليم الجامعي وكذلك الكتاب فهما صنوان في هذه القضية عليهما يتوقف النجاح وهما تمطو حركه التعريب خطوات مسيحه إلى الأمام

وفي ربيع القرن الأخير زحرت المكتبة العربية بالآلاف من الكتب العلمية بالكليات الجامعية والمعاهد العليا التي تمارس علومها باللغة العربية ولكن على القيص من ذلك

ظلت المكتبة العربية حتى اليوم فقيرة في الكتب والمراجع العلمية بالعربية التي يعتد بها مؤلفة أو مترجمة بكتابات العلوم والملاحة والطب والفروع المختلفة مستثاء بعض المقررات في هذه الكليات إذ لها كتب بالعربية لأنها تدرس هذه اللغة وقلما تجد في مكتبة كلية العلوم جهات الماهرة متلاكماً باللغة العربية في الكيمياء أو الهندسة أو الحيوان أو النبات اللهم إلا بعض كتب أواها النسيان في هذه العلوم كما قد ألفها في أوائل الستينيات حين كان المدرس لطابه اعدادية الطب باللغة العربية واستمر أيضاً بصنع سنوات ثم انفرط عقده وعاد التدريس سيرته الأولى باللغة الإنجليزية - مرد ذلك الذي نشهده من قاء المراجع العلمية العربية بالجامعات وكلياتها العلمية إلى العزوف عن التأليف بالعربية أو ترجمه أمهات الكتب والمراجع العلمية إلى العربية في غيبة الحافز الذي يدفع إلى ذلك ومرد ذلك أيضاً إلى الأزمة التي تمر بها حركة الترجمة بوجه عام لا في مصر وحدها بل في بلاد أخرى من الوطن العربي وعى عن البيان أن الترجمة ضرورة لتحقيق التواصل الفكرى الدائم بينا وبين العالم الغربى الذى تتقافر خطواته في معارج الرقى والتقدم كما أن اللغة العربية ترداد غنى وتراء بالترجمة وتوسع آفاقها بالحصيله الجديدة التي تصاف إلى مدحور تراتها ونصبح أقدر على تأديه رسالتها في

عصر العلم والتقدم العالمى والتكمولوحتى بفصل عمليه التلاحم التي تصطاع بها الترجمة .

وعن موضوع الترجمة وعصورها الرائرة لا أريد أن أذهب بكم بعيداً إلى عصر القطة الإسلامية كما يقول أستاذنا الكبير الدكتور إبراهيم مدكور حين انطاق « حين ابن إسحق بأمر الخليفة المأمون إلى القسطنطينية باحثاً عن الكتب والمراجع وبوجه خاص عن مؤلفات جالينوس ولا أظن أن جالينوس أحيى إلا على يديه وعلى أيدي من عاونوه من مترجمين وتلاميذ وإذا كانت القرون الوسطى المسيحية قد عرفت شيئاً في القرن الثالث عشر الميلادى عن الطب اليونانى إنما عرفتته عن طريق الطب العربى إلى أن قال « إذا رجعت إلى كتاب الفهرست لابن النديم وحدثم طائفة قيمة من تلك الترجمات التي كانت دعامة الحركة الفكرية والعلمية في القرن الثالث الهجرى أو العاشر الميلادى وفي جو هذه الترجمة تخرج أكبر طبيب عربى هو ابو بكر الرازى كل ذلك يؤكد أن علينا أن نستعيد ما أخذ به السابقون من إعداد المراجع وال تراجم والمؤلفات »

كذلك لن أذهب بكم إلى عصر قريب ازدهرت فيه الترجمة في مصر حين قام رابع الطيطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٥) والذي اطاق عليه شيخ المترجمين ، عصره قام بتجميع من محمد على والى مصر بعد عودته من دته في فرنسا هو راعنا مثل

عشرات الكتب والمؤلفات في مختلف
 الفنون والعلوم الحديثه إلى اللغة العربية
 مما كان له أبعد الأثر في النهضة العاميه
 والثقافيه الحديثه في مصر في ذلك العهد
 وما تلاه - كذلك لا أريد أن أذهب بكم إلى
 أيام المقتطف في مصر الذي ظل أكثر من
 خمسين عاماً منذ أواخر القرن التاسع عشر
 (حين بدأ نشاطه عام ١٨٧٦ في بيروت
 ثم انتقل إلى القاهرة في عام ١٨٨٥)
 يحمل بمختلف التراجم والموضوعات العاميه
 والمصطلحات باللغة العربيه - أو أذهب بكم إلى
 أيام زاهرة أيام لحيه التأليف والترجمة والنشر
 في مصر والتي كانت تصمم نخبه من أساطين
 العلم والفكر والأدب من بينهم شيخ المجتهدين
 أستاذنا الدكتور مذكور وقد زودت هذه
 اللججه على مدى ثلاثين عاماً ونيف، المكتبه
 العربيه بطائفة من الكتب والمؤلفات القيمه
 التي كانت عوناً كبيراً للتعليم العالي والجامعي
 وللأسف الشديد وتحت ضغط الظروف
 يتوقف نشاطها منذ سنوات وكذلك كان مصير
 مشروع الألف كتاب الذي نهضت به إدارة
 الثقافة بوراره التعليم في الستينيات .

ورحم الله أستاذنا المجتهد الدكتور أحمد
 ركي عالم الكيمياء واللغوى الأديب حين بدأ
 دعوتَه المدويه في أوائل الثلاثينيات بكايه
 العام بمجامعة القاهرة بضرورة البدء في ترجمة
 أمات الكتب العاميه إلى اللغة العربيه كخطوة
 في تعريب التعليم الجامعي وقد كتب في ذلك

المقالات وألقى المحاضرات ومن "أبع كتاباته
 في مجلة العربى لرأى كيف كانت اللغة العربيه
 بعظمها وغناها طوع قاعه ويراعه يطرق بها
 مختلف الموضوعات العلميه ويصف بها
 المستحدث من علوم العصر في مكنة وافتدار
 وكانت كتاباته العربيه في العام قمة في الأداء
 والاستقصاء - وقد قاد عدد من علمائنا
 الأعلام هذه المسيره في الدعوة إلى تعريب
 التعليم الجامعي في مصر وأحياء التراث
 العلمى أمثال الدكتور محمد كامل حسين
 والأستاذ مصطفى نظيف والدكتور على
 مصطفى مشرفه والدكتور كامل منصور
 والدكتور محمدولى والدكتور محمد مرسى أحمد
 والدكتور عبد الحليم منتصر وغيرهم وقد
 كتبوا كثيراً وألفوا وترجموا وحققوا كتباً
 رائده من تراثنا العلمى العربى .

وعلى أى حال ففي أواخر الخمسينيات
 شهدت الأوساط الجامعيه حركة طيبه بدأها
 المجلس الأعلى للعلوم عندما وضع برنامجاً
 لترجمة أمهات الكتب والمراجع في العلوم
 الأساسيه كإسهام في تعريب التعليم الجامعي
 ولإيجاد الكتاب العامى العربى الجامعي
 الذى يرجع إليه وتم بالفعل ترجمة ما يقرب
 من ثلاثين كتاباً من هذه الكتب والمراجع
 على يد نفر من العلماء وأساتذة الجامعات
 ذوى الباع الطويل والخبره الواسعة في هذا
 المجال وطبعت هذه الكتب طبعاً أنيقاً جيداً
 وزود الكثير منه بكشافات تضم المصطلحات

العامية الأحمدية ومما لا ثمة باللغة العربية ومن المحزن حقاً أنه لم يعمد على هذا العمل الجليل والإيجار المرموق بصنع سنوات حين ألقى المحاضرات الأعلى للعلوم حتى أهداه هذه الكتب ومما لا يساهل إلا أن عدم التدريس بالعربية قد رأى الكثرة من أخص الحفود المصنعة التي بدلت في سبيل اعازها .

أو المناهج الدراسية التي تدرس باللغة العربية في هذه الكليات الجامعية في مصر في الوقت الحاضر ويمتحن فيها الطلاب بهذه اللغة ولها كتبها ومراجعها باللغة العربية وهي حركة مباركة يرجى لها الاطراد والنماء لأن ما يدرس من المناهج والمفردات باللغة العربية في هذه الكليات لا يزال فلا لاكثر

وتدريته أخرى مما لا فائدة بها .
فرا دكان في مصر بدأتها في الستيات حين أخرجت إلى المكتبة العلمية العربية العديد من الكتب والمراجع ويحصرني بها كتاب صبحي في علم الحشرات من أعظم المراجع في هذا العلم أنفقت مع بعض الرمال في ترجمة إلى اللغة العربية ومراجعتها قرابة ثلاث سنوات ورودناه بألف وخمسمائة من الأسماء والمصطلحات الأجنبية ومفادلاتها بالعربية ومن الأسف أيضاً أنه لم يجمع به ويعيره مما ترجم وعرب الاصطاح الأمتل في التعليم الجامعي ويعلم الله كم أنفقا فيه من جهود وعناء ونصب .

أولاً . في كليات العلوم على مستوى الجامعات المصرية تدرس الرياضيات في السنتين الأولى والثانية باللغة العربية .

وفي بعض كليات العلوم (مثل كلية العلوم - جامعة عين شمس) يدرس علم البيئة النباتية والسمات الزراعي وفسولوجيا السمات والحشرات باللغة العربية في السنين الأولى والثانية .

وفي كليات العلوم بجامعة القاهرة تدرس العلوم كلها باللغة العربية لطلاب السنة الأولى وتشمل علوم الكيمياء والفيزياء والسمات والحيوان والحيولوجيا والرياضيات ولها كتب مؤلفة باللغة العربية

وفي كلية العلوم بجامعة الأزهر تدرس علوم السنة الإعدادية باللغة العربية وكذلك علوم الأحياء والتطور والبيئة والتصنيف في السواب الأخرى

ثانياً . في كليات الهندسة تدرس علوم السنة الإعدادية باللغة العربية وتشمل

وسط هذه الحسرة على ما فات يتبدى على الجانب الآخر ما ينبغي على التماؤل والأمل فقد حمل ربع القرن الأخير وما قبله بتطور ما حوط بالسنه للكتاب العربي الجامعي وبالسنه لاتخاذ اللغة العربية لغة للتدريس بالجامعة في كليات العلوم والهندسة والطب البيطري وسأذكر أمتاه لبعض المفردات

الرياضيات والفيزيكا والميكانيكا والكيمياء
والهندسة الوصفية وغيرها

كما تدرس مقررات أخرى في خواص
المادة والمساحة والحجوم والكميات باللغة
العربية في السنتين الأولى والثانية ركاية
الهندسة بجامعة عين شمس ويدرس علم
المساحة بالسنة الثالثة والسكك الحديدية والطرق
وتخطيطها بالسنة الرابعة وغيرها من المقررات
بالركاية بممها باللغة العربية أيضا .

ثالثا في كليات الطب البيطري تدرس
علوم الوراثة بالسنة الأولى وترسه الخواص
والاقتصاد الزراعي السنة الثانية باللغة
العربية والكل من هذه العلوم الثلاثة كتبها
ومراجعتها باللغة العربية

رابعا . في كليات الطب والصيدلة
وطب الأسنان : عروف بين عن المدرسين
والتأليف باللغة العربية حتى الآن ولو أنه
في بعض المواد كالطب المعنى خاصة
عين شمس يحوز للطالب أن يحس باللغة
العامية والرواية والأمراض العصبية
باللغة العربية .

الطلاب الجامعي والعربي :

كلمه قصيره عن تال العناصر أو
المخاور في قصيدة التعريب وهو الطالب
الجامعي وهو بمثابة التربه التي يتعامل معها
الأستاذ فادا صاحبت وصاحب مكوناتها
أتى التعريب أكله وأنى بأعظم اسائج
وأطيب الثمرات .

وفي ربيع الثورن الأنخير شهدت الجامعات
المصرية نوا مطردا واردادا هائلا في
أعداد الطلاب الملتحقين بها بعد أن ران
كل العقبات التي كانت تحول بين جماهير
الطلاب والتعايم الجامعي فاردحت فادات
الدرس تحتود مهم بلغ الآلاف بدرجه
لم يسبق لها مثيل في السواب الأخيرة
مما جعل مهمه المحاضر في أغلب الأحيان
بالعه الصعوبه في تأديه واحده التعاملي
على النحو الذي يرضيه وأصبح العلافه
بين الأستاذ والطالب صعوبه واهيه إن
لم تكن معدومه وفي الوقت نفسه تعذر
على كثير من الطلاب فهم الماده العاميه
التي تلقى عليها باده أحبابه واستيعابها
وهضمها مما كان له أبعاد الأثر في ضعف
مستوى الطلاب وادأهم وقد تبدى ذلك
في وصوح وحلاء في إجاباتهم في الامتحان
وعر ذلك من المواقف والاماسيات

وإذا كنا ندعوا لتعريب التعليم الجامعي
وهو أمل طالما انترايت لتحقيقه الرؤوس
وتطاولت الأعاق وهدف فومي اسمي
طالما سعيما إليه -- علما أن يعمل على
رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة
العربية بعد أن هبط لديه ولدى غيره
إلى الحضيض وأصبحنا نجار بالشكوى
لما وصل إليه حال اللغة العربية هذه الأيام
لدى سمانا بعد أن كنا نقرأ كلامه ودمه
لانس المقنع والمطرب للمملوطين ونحن
في أولى مراحل التعايم ويمكن أن يتم ذلك

عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تعليمية لتدريس اللغة وقواعدها الأساسية إنما الذي يجب أن يتم كذلك بل هو قطب الرحى في هذه العملية هو العناية باللغة العربية والإعداد اللغوى لطلاب التعليم العام بمراحله الابتدائية والإعدادية أو مرحلة التعليم الثانوى وهى المراحل التى تسبق التعليم الجامعى ولذلك بات أمرا بالغ الأهمية أن نعيد النظر بصورة جذرية في تعليم اللغة العربية في هذه المراحل وتطوير برامجها ووسائلها التعليمية ليكتمل بذلك الساء اللغوى السليم لجميع الذين يهون الدراسة الثانوية ويلتحقون بعد ذلك بالجامعات بل يذهب البعض وهو فكر سديد إلى ضرورة العناية باللغة العربية في مراحل الطفولة ليستقيم الإنسان مبكرا طقا وتعبيرا - وبهذا التكامل لا يسهل التعليم الجامعى عن التعليم العام ليستقيم الأمر لدى الأساتذة والطلاب على حد سواء وصحح التعليم عربيا في جميع مراحله

هيئات علمية ولغوية تنهض بحركته في مصر:

حفنل ربع القرن الأخير وماقبله بنشاط ملحوظ في مصر من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة في صبر وأناة على اتخاذ العربية لغة للعلم وتطبيقاته وفي مقدمه هذه الهيئات مجمع اللغة العربية ولا أحاور الحقيقة إذا قلت إن أعظم إبحار قومى وعربى أخذ بيد اللغة العربية واطلاق بها إلى آفاق

رحمة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور ويسهم في حركته التحريب هو إنشاء مجمع اللغة العربية في مصر وإنشاء أشقائه من المجمع اللغوية في الوطن العربى - ولعل مايعندنا في المقام الأول بالنسبة لتعريب الكتاب العلمى الجامعى هو المهمة الكبرى التى يصطلىح بها المجمع ويحمهاها على كتميه ألا وهى وضع المصطلحات العلمية - وعنى عن التعريف أن لجان المجمع العلميه المتخصصة حين تتصدى لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معى ومسى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتحت عن أفضل المقابلات له باللغة العربية وترجع في ذلك إلى مختلف المعاجم اللغوية وقد تجد مقابلا أو ماثورا دقيقا غير مطروق في الكتب القديمة فتأخذ به ليشيع استعماله ويمر المصطلح في مراحل عدة من الدراسة المتخصصة والتحصيل والمناقشات في لجان المجمع ومجلسه ومؤتمره كميانه بصقله وصوغه الصياغة المتلى وقد أفر المجمع من المصطلحات العلمية أكثر من ثلاثين ألف مصطلح علمى فيها

في الكيمياء والصيدله ٤٥٢٢ ، وفي الميزيقا ٣٥١٤ ، وفي الأحياء والزراعة ٥٤١٣ ، وفي الحيولوجيا ٤١٩٦ ، وفي الرياضيات ٨٥٧ وفي البعظ ٩٥٤ ، وفي الهندسة والهيدرولوجيا ٣١٩٤ وفي الطب ٧٨٢٧

كما أنجز عددا من المعاجم العلمية المتخصصة منها :

معجم الكيمياء والصيدلة ، معجم الميريقا الوويه ، معجم الحيولوجيا ، معجم علوم الاحياء ، معجم الميريقا الحديثه وذلك بالإضافة إلى ٢٦ جزءا من مجلة المجمع حافة بالآلاف من هذه المصطلحات

وتحضرني كلمة المغفور له الدكتور أحمد عمار نائب رئيس المجمع في معرض حديثه عن المجمع والمصطلحات - قال طيب الله ثراه « على مدى خمسين عاما مصت كان مجمع اللغة العربية في مصر مدرسا للمصطلح العلمي تناصرت فيه جهود اللغويين والعلميين في العالم العربي لاقتحام المحالات العلمية على اختلافها حتى طمرت الجهود الجمعية بالثقة والتقدير من أهل العربية جميعا واكتسبت ألوف مصطلحات المجمع الشرعية اللغوية والشرعية العلمية على سواء » .

واست في حاجة إلى القول إن هذه الثروة اللغوية الهائلة من المصطلحات العلمية تأخذ طريقها رويدا رويدا إلى قاعات الدرس بالجامعات وإلى كتب المؤلفين والمترجمين الذين يدرسون علومهم باللغة العربية بالكلية الجامعية وهي باذن الله المعين الراخر لحركة تعريب التعليم العالي والجامعي حين يكتمل الشوط الذي بدأناه

وتصبح محاضراتنا بكلية العلوم والهندسة والطب تلقى بلسان عربي مبين ويقتضي الإنصاف أن ألمح إلى جهود الاتحاد العلمي المصري في ربع القرن الأخير وهو أحد روافد الاتحاد العلمي العربي الذي توقف نشاطه منذ سنوات والذي نرجو له أن يعود نشاطا كما كان لهؤدى رسالته العلمية واللغوية في الوطن العربي .

واصل الاتحاد المصري منذ نشأته عام ١٩٥٦ نشاطه في اتخاذ اللغة العربية لغة للعالم وفي سبيل ذلك أبلى بلاء حسنا في موضوع المصطلحات العلمية وترجمتها وإيجاد المقابلات العربية المناسبة لها وقد أجز منها بصعة آلاف ونشرها الاتحاد في كتبه وقد أشرف على هذا العمل وركاه بعلمه وفصاه عالم ثبت هو المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف رئيس الاتحاد آنذاك وعضو مجمع اللغة العربية وقد عاونه في ذلك استاذ جليل كما معه هو الدكتور عبد الحليم منتصر الذي دفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية التي كان ينظمها الاتحاد العلمي العربي وكان آخرها مؤتمر بغداد عام ١٩٦٦ وجدير بالذكر ان هذه الجهود التي قام بها الاتحاد استمدت عونها من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والجامع اللغوية الشقيقة في الوطن العربي ومكتب التعريب بالرباط وما انجزته في هذا المجال - وانبثقت كذلك من رغبة

حارفة تحتلح في صدور كثير من العلماء في هذا الاتحاد للتدريس والتأليف باللغة العربية لطلبة الجامعات إيماناً بأن الطالب يستوعب المادة العلمية بأجره قومه بدرجة تسوق كثيراً عما لو تألقها بأجره أحبية وقد قام على ذلك الدليل تلو الدليل

وبحار في كذلك في هذا المقام أن أذكر أن الجمعيات العلمية في مصر والتي قهر عددها في ربع قرن الأخير حتى باع ثلاثاً وتسعين جمعية علمية تقوم بدور بارز في اتحاد اللغة العربية لعنه للعلم فيصمها ينشر دراساته ويأق محاضراته باللغة العربية كالاتحاد العلمي المصري والمجمع المصري للثقافة العلمية والمجمع الآخر الذي ينشر بحوثه بأجره أحبيه بإحق بالبحث ما حصا باللغة العربية كأكاديمية المصرية للعلوم وترخر عضويه هذه الجمعيات بالآلاف من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومن شباب العلماء

وأود كذلك أن أشير إلى بادرة طيبة بكلية الطب بجامعة الأزهر حيث يقوم بعض اساتذتها بالترجمة والتأليف باللغة العربية في تخصصاتهم أذكر منهم الدكتور محمد عبد العزيز الذي وضح أول كتاب في عام الرمذ وطب العيون باللغة العربية صممه أحباب المحوت والتمهيات في هذا العلم وكذلك الدكتور عبد الباطيف عثمان الذي كتب في العدائيات والأمراض العصبية وأحرين مثل الدكتور عبد الحميد إبراهيم البابا يعدون

كتاباتهم في تخصصات أخرى إسهاماً منهم في تعريف العلوم الطبية والطبيعية بجامعة الأزهر ونرحو محاضرين أن تمتد هذه الحركة المباركة لتشمل الجامعات الأخرى في مصر.

نقى أن أشير أيضاً إلى نشاط علمي في هذا المجال يقوم به مند سواب مركز الأهرام للترجمة العلمية ولعاه الوحيد من نوعه في الوقت الحاضر في مصر وهو يعتبر اليوم أنشط هيئة علمية تقوم على ترجمه كتب العلوم وإعداد الماحم والتصدى لأمهات الكتب والمراجع في الرياضيات والطب والتكنولوجيا وغيرها كما لا يفوتني كذلك أن أؤره بالنشاط الماحوظ في إصدار الماحم العلمية في مصر وفي الوطن العربي وأهيتها بالنسبة لقضية التعريب وتيسير مهمه العلماء والدارسين الذي يضطاعون بمودع التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية - وفي هذا المقام نود أن يستكمل المسره بأصدار معاه أخرى وافية في المستحدثات من فروع العلم مثل زيادة المصاء والحسابات الألكترونية والتكنولوجيا الحديثة الأخرى ولو أن محاولات تدل في هذا السبيل والأمل فيها كبير

الانفتاح على التطور العلمي العالي :

بقيت نقطة هامه تستلزم الإيضاح وهي يجب ألا يتبادر إلى الدهن ونحن ندعو لقضية التعريب وعمل لها لتصبح حقيقة واقعة أننا نريد الانعلاق على انفسنا بل العكس هو الصحيح - وهو الانفتاح على العالم الخارجى

على علمه وفكره وإنجازاته الحديثة في العلم وتطبيقاته ومواكبة التقدم العالمي المذهل الذي يشهده في هذا العصر ولا شك أن ذلك يعتمد في المقام الأول على اتقان لغة أجنبية من اللغات الحية كالإنجليزية أو الفرنسية مثلا تطل بها إطلاقات نيرة متمرة على منحدرات العلم وآفاقه الرحبة في كل رجا من الأرحاء — علينا الاهتمام بتعليمها في أثناء المرحاة الجامعية بل وفي أثناء مرحاه التعليم العام لأنها أصحها في عصر لا يحور فيه لخريج الجامعة طبيباً كان أم مهندساً أن يقف عند اعته اليومية إذا أراد أن يتابع التقدم العلمي العالمي في محاله وتخصصه — وإذا كان تعلم اللغة الأجنبية ضروريا لطالب المرحلة الجامعية ليتسع بها أفقه ويستعين بها على مرید من الدرس والاطلاع الخارجى فانه واجب أساسى وحتمى بالنسبة لطالب الدراسات العليا بالجامعة إذا لا يمكن أن يحرى بحوته أو ينشر إبحاراته وهو بمعزل عن منحدرات العلم والعلماء في كل مكان ودون أن تقوم قنوات الاتصال بانه وبين غيره من العلماء في الخارج ولن يتأتى ذلك دون اتقان لغة أجنبية حديثا وكفاءة وفكرا — ولذلك يسعى أن يكون من بين الأهداف الرئيسية عند إعداد طلاب الدراسات العليا العمل على اتقانهم واجادتهم للغة أجنبية إدهم الصفوة المختارة للبحث العلمي والقيادة العلمية ونجدد في هذه المناسبة أن أشير إلى أن برامج الدراسة في كليات العلوم وبالأخص

في جامعة القاهرة تشمل برنامجا لتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب السنين الأولى والثانية وبرنامجا لتدريس اللغة الألمانية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وآخر مكثفا لطلاب الدراسات العليا ولكن يلزم لها مع ذلك المزيد من الاهتمام والجدية .

مفردات وتوصيات :

في - سوريا لمعربب التعاليم العالى والجامعى والعمل على تحصيله كاملا بالكليات التى يحرى فيها التدريس باجه أجنبية شهدت الجامعات والهيئات العامية في مصر خلال ربع القرن الأخير وفناه مند الثلاثينات عسرات الأحاديث والمخاضات والدراسات والمؤتمرات والندوات حول هذه القضية كاتب آخرها ندوه آفاهها الاتحاد العلمى المصرى مند عامين عن تعريب لغة العلم في التعاليم الجامعى رأسها وتحدث فيها سبيح المجتمعين أسنادنا المذكور إبراهيم مذكور كما تحدث فيها د. محمد من علماء الطب والعلوم والمهندسة على مدى يومين كاملين وقد قدمت الندوة بالكثير من الآراء والاقتراحات والتوصيات استعين بها فأقول

— إذا خطونا في سبيل تعريب النعام العالى والجامعى حطرات في ربع القرن الأخير وآل الأوان لأن نكمل السوط ونؤدى الرسالة كاملا .

— أثبتت التجربة أن السبيل الوحيد لتعريب لغة العلم هو المعلم والكتاب ومعلم أى مادة إنما يدرسها على نحو ما تعلمها فلاأخذ أنفسنا في كلياتنا العلمية بأن ندرس ونحاضر باللغة العربية إلى جانب الإنجليزية في مرحلة تمهيدية وستتهي بنا إلى تعريب تام .

— تعريب الكتاب شرط أساسى لهذا التعليم وعليما أن يؤلف وترجم في لغة عربية واضحة سليمة لكي نعد لكل علم مراجعه العربية وواجب جامعاتنا أن تسهم إسهاما كبيرا في التشجيع على التأليف والترجمة كي تعد المكتبة العلمية العربية المتخصصة .

— ليس معنى التعريب أن يهمل اللغات الأجنبية العالمية ومع أخذنا بالتعريب لا بأس من أن يكون بين مواد الامتحان ورقه أو أكثر بلغه أجنبية .^١

— دعوة المجلس الأعلى للجامعات أن يتكفل بمواجهة هذه القضية وفي وسعه أن يخطط لها ويعد عدتها ونود أن نؤكد على النقاط الآتية :

أولا أن قضية التعريب قضية قومية ذات أثر كبير في الهوض بالتعليم العالى والجامعى ورفع مستوى الخريجين وأن في تراء اللغة العربية وسموها وحيويتها وآفاقها الرحمة قدره فائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى الوفاء بمطالب العلوم الحديثة والتقدم التكنولوجى في هذا العصر .

تابيا التوسع في تعريب المصطلحات

العلمية ووضع المقابلات العربية المناسبة لها لا سيما في المستحدثات من فروع العلم والتكنولوجيا ومتابعه الجهود الكبيرة التى يقوم بها مجمع اللغة العربية في مصر والجامع العربية الشقيقة الأخرى في هذا المجال مع حمز العلماء والباحثين على استخدام هذه المصطلحات واشاعتها في كتبهم ومؤلفاتهم ودراساتهم الجامعية والدعوة إلى أن يذيل كل كتاب أو مؤلف علمى بقائمة المصطلحات الواردة فيه ومقابلاتها باللغة العربية .

ثالثا . العمل على توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربى للقضاء على بلباه قائمه في استعمال المصطاح الواحد بمقابلات عربية مختلفة في البلاد العربية ومنابعة الجهود التى يقوم بها اتحاد الجامعات العربية في هذا المضمار .

رابعا : ضرورة التوسع في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وقد أسهم مجمع اللغة العربية والجامع العربية الأخرى بمسط كبير في هذا السبيل

خامسا . توحيه عمايه حاصة إلى ترجمه مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية مع ضرورة التفكير في إنشاء مركز قومى للترجمة يتولى جمع المعلومات وتبادلها وتنشيط حركة الترجمة والتأليف والنشر ورعايتها .

المختلفة ودعوة الجمعيات العلمية إلى القيام بهذا الواجب القومى .

هذه اقتراحات وتوصيات حول فضيحة التعريب طالما رددتها المؤتمرات والندوات على مدى سنوات ولا أرانى فى حاجة إلى التأكيد على أنه إذا أريد لتوصياتنا أن ترى النور وتأخذ طريقها نحو التنفيذ لنستكمل الشروط الذى بدأناه ولاحت تباشيره فعلى الدواية أن تتبنى قصصه تعريب التعليم العالى والجامعى بقرار سياسى مازم يوفر لها كل الإمكانيات التى تكفل لها الحل والانطلاق باعتبارها قضية قومية وثيقة الصلة بكياننا العربى ومستقبل الأجيال الصاعدة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

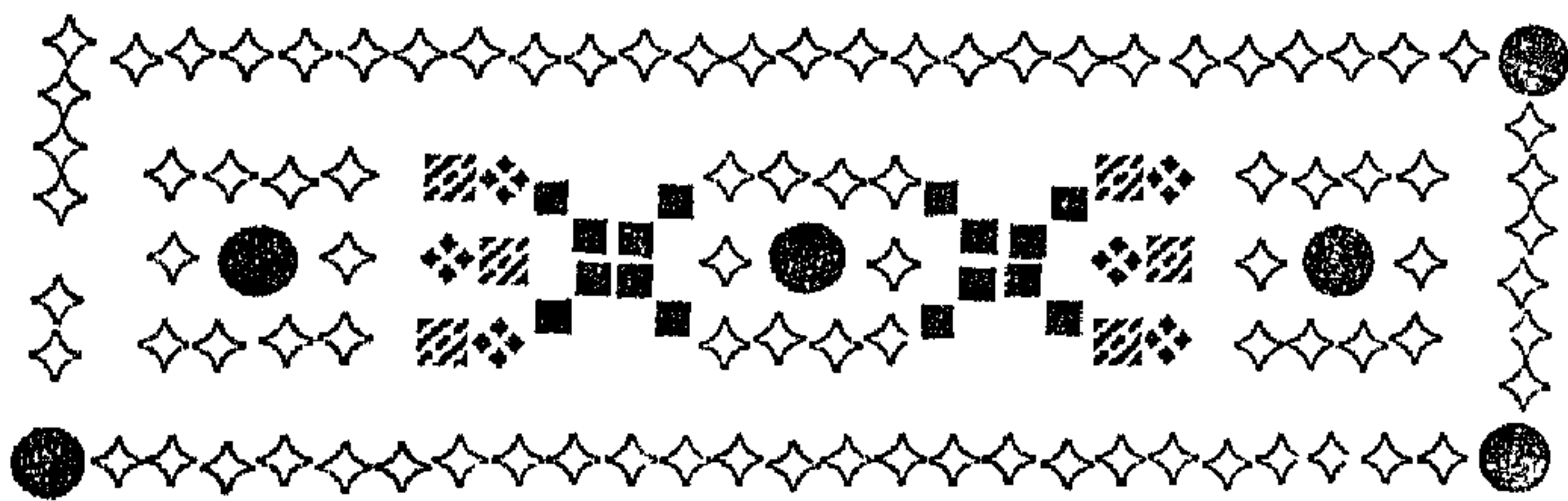
محمود حافظ

عضو المجمع

سادساً توجيه عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية فى مراحل التعليم المختلفة :
فى مراحل التعليم العام تم فى مرحله التعليم الجامعى تم فى مرحلة الدراسات العليا وفى هذه المرحلة الأخيرة يستحتم اتقان لغة لغة اجنبية (الإنجليزية) وإحداثها حديثا وكتابه وفكرا لطلاب هذه المرحلة ووضع البرامج الكفيلة بذلك لفتح الانفتاح على العالم الخارجى والاتصال بالتطور العالمى ومجرات العصر .

سابعاً : تكثيف العناية باللغة العربيه فى جميع مراحل التعليم وبصفه خاصة فى التعليم الجامعى وتطوير برامجها وطرق تدريسها مع العمل على تأهيل أعضاء هيئه التدريس بالجامعات والمعاهد العليا لتدريس باللغة العربيه

تماماً التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربيه لجميع المحووب والدراسات التى تنشر باللغة الأجنبية فى المجالات العلميه



المراجع

- المجمع العربية والمصطلح العلمي
للككتور إبراهيم بيومي مذكور
- مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالى
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة ١٩٨٠
- العربية لعد العالم
للككتور محمد ولي
- كتاب المجمع المصري لتقاوه العلمية عدد ٤ سنة ١٩٣٤
-- اللغة العربية لغة عالمية
للككتور اسماعيل مظهر
- كتاب ١ - معاصرى لتقاوه العالمية عدد ١٠ سنة ١٩٤٠
تعريب العالم
للككتور عبد الحام مستصر
- كتاب المجمع المصري لتقاوه العالمية عدد ٣٠ سنة ١٩٦٠
-- نشر الكتب العالمية اللغة العربية
للككتور كامل مذكور
- كتاب المجمع المصري لتقاوه عدد ٣١ سنة ١٩٦١
-- مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية
الحلقة الأولى - شعارى - مايو ١٩٦٤ الحلقة الثانية - يروت ١٩٦٤
- مؤتمر تعريب التعليم العال في الوطن العربى - بغداد ٤ - ٧ مارس ١٩٧٨
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية
- تجربته في العاوم الهندسية
للككتور على محمد كامل
- مؤتمر تعريب التعليم العال في الوطن العربى - بغداد مارس ١٩٧٨
تأهل أعضاء هيئة التدريس بالتدريس بالعربية
للككتور عبد الكريم حايمة
- مناهج جميع اللغة العربية الأردنى - العدد المردوح ٧ - ٨ سنة ١٩٨٠
- المؤتمرات والمداوب التى عقدتها المنظمات والهيئات
للككتور عبد الحليم مستصر
- العربية حول تعريب التعليم الجامعي في محالات المصطلح العلمى والترجمة والمأليف
مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالى
مطبوعات اتحاد الجامعات العربية - الخامس ١٩٨٠

للدكتورة عائشة عبد الرحمن

— اللغة العربية ودراسة العلوم بالجامعة

المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

للدكتور كامل منصور والدكتور
عبد الحافظ

— مستقبل التعليم الجامعي والبحث العلمي في مصر

حلمي وآخرين

مطبوعات المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي ١٩٧٩

وكتاب المجمع المصري المصري للثقافة العلمية عدد ٤٩ سنة ١٩٧٩

للدكتور محمود حافظ

— اللغة العربية في خدمة علوم الأحياء

مؤتمر مجمع اللغة العربية (القاهرة) ١٩٧٩

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

للدكتور حسين نصار

— اللغة العربية والتعليم الجامعي

المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

للدكتور عبد الحافظ حلمي محمد

— لغة تدريس العلوم في الجامعات

مؤتمر تعريب التعليم الجامعي والعالى

مطبوعات إتحاد الجامعات العربية — القاهرة — ١٩٨٠

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

للدكتور محمود الشنيطى

— اللغة العربية في التعليم والثقافة

المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١

وكتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

— ندوة تعريب لغة العلم في التعليم الجامعي

كتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمي المصري ١٩٨٢

المتحدثون في الندوة الاساتذة : الدكتور إبراهيم مدكور : تعريب التعليم الجامعي

والدكتور أحمد عمار (طب) والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش (هندسة)

والدكتور كامل منصور (علوم أساسية) والدكتور عبد العزيز سامى (لغة الطب)

والدكتور عبد العظيم حفى صابر (تعريب المصطلحات العلمية)

الدكتور محمد داود التنير (النواحي القومية في قضية اللغة) الدكتور محمد عماد الدين فضلى

(الأسس المنهجية لتعريب الطب) والدكتور عبد الواحد بصيلة (تعريب العلم الطبي)

مواكبة لتعليم اللغة العربية للتطور العلمى

للدكتور محمود اسجلى

إنه

لشرف عظيم وسرور

كبير أن أتحدث

أمام هذه الصنفوة الكريمة فى مؤتمر مجمع اللغة العربية الموقر عن « مواكبة التعليم باللغة العربية للتطور العلمى ». ولقد سبق لى أن تكلمت قبل ثمانى عشرة سنة أمام المؤتمر عن « لغة عربية للعلوم » .

إن أكثر ما يقلق العاملين فى الشؤون العلمية باللغة العربية هو مسايرة اللغة فى الوقت الحاضر للتطور العلمى السريع فى كثير من وروع المعرفة ، وبخاصة العلوم الصرفة (البحتة) والعلوم التطبيقية والطب وما يدعى الآن بالتقنيات Technology .

ويمكن أن تتحقق تلك المواكبة بأمر واحد ، أو أكثر ، من الأمور الآتية :

١ - معرفة اللغات التى تُستعمل فى العلوم والتقنيات فى الوقت الحاضر ، ويبدو أن اللغة الإنكليزية من أهمها ، إذ يتداولها باحثون ومؤلفون من عدد كبير من البلاد التى ليست هى اللغة الأم فيها . كما يُترجم إلى اللغة الإنكليزية كثير مما يُنشر فى اللغات الأخرى .

ولابد من القول بأن العلم أصبح عالمياً ، ويسرت وسائل الاتصالات الحديثة انتشاره . وأصبحت لغة العلم والتقنيات ، أو بالأصح مصطلحاتها ، متقاربة أو موحدة فى كثير من الأقطار المتقدمة فيها ، حيث أن معظم اللغات الأوربية متشابهة بالحروف والأصول ، ومن السهل على من يتقن إحداها أن يتعلم ما يكفى لفهم عام للموضوع

(*) ألقى البحث فى الجلسة الحادية عشرة ١٠ / ٥ / ١٩٨٥ م .

الدى يقرؤه باللغة الأخرى ولكن اللغة العربية مختلفة عنها بأصولها وطريقة كتابتها ، وإذا لم يعرف العربى لغة أوربية فإنه لا يتمكن من قراءة أى شىء فيها .

ولابد من الإشارة إلى أن من الضرورى أن يتقن العلماء والمدرسون فى الجامعات والباحثون لغة أحسبية أو أكثر ، وأن تكون للآخرين القدرة على فهم ما يقرأون فى اختصاصهم . ويشترط عدد من الجامعات العالمية ، التى لغتها هى اللغة الإنكليزية ، معرفة لغة أخرى أو لغتين أخريين (معرفة فهم) عند منح شهادة الدكتوراة . ولكن ذلك ليس معمولاً به فى بلادنا .

٢ - الترجمة إلى اللغة العربية . ويأخذ ذلك وقتاً طويلاً ، ويحتاج إلى مترجمين يتقنون اللغة المأخوذ منها ، واللغة التى يترجمون إليها . وأن يكون لديهم معرفة كافية فى الموضوع . ثم إن الترجمة الدقيقة الواضحة هى صنة أو فن يعتمد على تلك الأمور .

٣ - وفى بعض الدول الرئيسية فى العالم مراكز كبيرة لترجمة العلوم ، يقوم بها مترجمون متفرعون للعمل فيها ، وباحثون

أو علميون يتقنون اللغات الأجنبية ، ترسل إليهم المقالات المطلوب ترجمتها ، وربما بلغ عددهم الألوف ، وتتم ترجمة البحوث المهمة خلال أسابيع ، وترسل إلى الباحثين المختصين ، وتأخذ البحوث الأخرى دورها فى الترجمة خلال مدة معقولة لا تتجاوز بضعة أشهر

ولقد زار كاتب هذا البحث أحد هذه المراكز العالمية قبل ربع قرن ، وقيل فى حبه إن الدين يساهمون فى هذه العمالة^٢ يعدون عشرات الألوف .

وهناك مؤسسات أخرى تترجم إلى اللغة الإنكليزية من اللغات الأخرى ، وتنشر ذلك فى كتب أو دوريات

إن القيام بعملية مناسبة للترجمة إلى اللغة العربية يحتاج إلى التعاون على مستوى الوطن العربى كله ، ليتم نقل المعرفة إلى اللغة العربية . وأن يكون هناك جهة منظمة تمتد فروعها وتتصل بأكبر عدد ممكن من الذين بإمكانهم المساهمة فى ذلك .

٣ - تصدر بعض الدوريات الطبية بأكثر من لغة واحدة فى الوقت ذاته ، أو فى أوقات

مقاربة . ويمكن الاتفاق مع بعض هذه المؤسسات على أن تكون اللغة العربية إحدى اللغات التي تصدر بها تلك الدوريات (المجلات) ، أو أن تقوم المؤسسة العربية المختصة بالترجمة من مجلات كهذه في الوقت الذي تطبع فيه ، فلا يفوت وقت طويل بين صدورها بلغتها الأصلية وصدورها باللغة العربية .

٤ - نشر البحوث العلمية التي يقوم بها سكان الأقطار العربية باللغة العربية ، ولا مانع من نشرها بلغة أخرى من اللغات العلمية العالمية في الوقت ذاته ، مع الإشارة إلى ذلك . وهذا يستوجب وجود مراكز بحث بإمكانها إنتاج البحوث التي فيها إضافة إلى المعرفة ولا بد من الإشارة بهذه المناسبة إلى أنه لا يجوز التركيز على البحوث التطبيقية وترك البحوث الأصلية ، لأن الإنتاج العلمي المهم ينمو في البيئة التي تبقى على صلة بالبحوث الأصلية .

٥ - إصدار مجلات مراجعات وخصائص Reviews and Abstracts باللغة العربية ، كما هو موجود في اللغات الأخرى ويكتب المراجعات خبراء بالموضوع يستعرضون

فيها المهم والجديد مما نشر في الزمن القريب .

٦ - إصدار كراسات وكتب تختص بموضوع واحد Monographs باللغة العربية ويحسن أن يكون ذلك على طريق سلسلة متكاملة أو أكثر .

٧ - التأليف باللغة العربية ، ويشمل ذلك تأليف الكتب الدراسية Textbooks أو الكتب المراجع Reference Books ، ويكون لها رئيس تحرير يخطط لتأليف الكتاب ومادته ، ويضمن حسن التوازن بين أقسامه ، وأن يكون ذلك على مستوى الوطن العربي ، ليتم التداول بسرعة وإعادة الطباعة قبل أن تصبح الكتب قايلة الفائدة في بعض فصولها ، بسبب تطور مادة تلك الفصول . كما أن في ذلك فائدة كبيرة لتحقيق الانسجام العلمي بين الأقطار العربية .

* * *

إن التطور العلمي والتقني العالمي السريع ناتج عن بحوث وتجارب علمية

تُنشر المعلومات عنها بطرق مختلفة ،
أهمها الدوريات Periodicals ، وتشمل
المجلات " ، وبعضها أسبوعي مثل
Science (العلم) و Nature (الطبيعة)
في العلوم باللغة الإنكليزية ، « ولانسيت »
Lancet ، والمجلة الطبية البريطانية ،
British Medical Journal ومجلة النقابة
الطبية الأمريكية Journal of the American
Medical Association وغيرها في الطب باللغة
الإنكليزية . وقسم من الدوريات شهري ،
وبعضها يصدر كل شهرين أو كل ثلاثة أشهر
و قليل منها السنوي ، وبعضها غير منتظم .
وبعض هذه الدوريات ينشر المقالات الأصلية
وغيرها وأخرى تنشر المراجعات والخلاصات ،
وهناك مجلات تجمع بين هذا وذاك .

ويصدر في العالم ألوف الدوريات الطبية
والعلمية ، ومن هنا تبرز أهمية مواكبة
التطور العلمي السريع وضخامة ذلك ،
والجهد الذي يجب أن يُبذل باستمرار
لتحقيق الهدف المقصود .

ولمعرفة مدى حجم المادة التي تنشر سنوياً
بالطب ، رجعنا إلى مصدر مهم يسمى
« الفهرس الطبي المجمع Cumulated Index

Medicus « يصدره سنوياً معهد الصحة
الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية في
بيتيسدا في ولاية ميريلاند National
Institute of Health, Bethesda, Maryland,
U.S.A. ويتضمن عناوين المقالات التي تنشر في
المجلات الطبية المُفهرسة فيه ، بمختلف
اللغات وأسماء مؤلفيها ومحل نشرها . يقع
إصدار سنة ١٩٨٣ في ١٤ مجلدًا ، مجموع
صفحاتها ١٤٨٣٤ صفحة ، في كل صفحة
ثلاثة أعمدة ، وفي كل عمود ١٠٢ (مائة
سطر وسطران) ومعدل كلمات لكل سطر
ثمانى كلمات .

أحصيت عدد المجلات التي تفهرس فيه
فكانت ٢٥٠٥ مجلات ، يُضاف إلى ذلك
٢٨٠ مجلة ، يُفهرس منها ما له أهمية طبية ،
فيكون مجموع المجلات المفهرسة ٢٧٨٥
مجلة في مختلف أنحاء العالم .

ويتضمن الكتاب كذلك ثبتا بالمراجعات
الطبية Bibliography of Medical Reviews

وقد تضمن إصدار سنة ١٩٨٣ (٧٥٠)
عنواناً رئيسياً . ويقصد « بالمراجعات »
المقالات التي تتضمن مسحاً شاملاً جيد
التوثيق للمنشورات الطبية الحديثة في
موضوع معين .

ويصدر معهد الصحة الوطني في الولايات المتحدة الأمريكية كتاباً آخر بعنوان « الفهرس الطبي » Index Medicus

يتضمن كذلك عناوين المقالات الموجودة في المجلات الطبية المفهرسة فيه ، وأسماء مؤلفيها ومحل نشرها ، ويقع إصدار سنة ١٩٨٣ في ١٢ مجلداً معدل صفحات كل منها ١٤٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة .

وليس من المطلوب الاطلاع على كل ما يُنشر في الطب وفروعه ، ولكن يجب أن يكون هناك مقدار مناسب من المعرفة الطبية الحديثة باللغة العربية . ويمكن الاكتفاء بعدد محدود من الدوريات الرئيسية واختيار المادة التي تحتاجها المشورات العربية .

وتنشر كذلك مجلدات سنوية تتضمن خلاصات للمقالات المنشورة في الدوريات في فروع المعرفة المهمة ، منها الخلاصات الأحيائية Biological Abstracts والخلاصات الكيميائية Chemical Abstracts وغيرها .

* * *

وتحتاج مواكبة هذا التطور العلمي السريع باللغة العربية إلى مصطلحات مقبولة إلى حد معقول ، وأن يتم اختيارها وإعدادها بسرعة تسير سرعة التطور العلمي ، وحيث أنه توجد مصطلحات سابقة لا يوجد ما يقابلها في اللغة العربية ، فلا بد من العمل بطريقة تناسب الحالة الجديدة ، وأرجو أن يسمح لي السادة الأساتذة الأفاضل بعرض الأمور التالية :

١ - تقوم المجامع باختيار المصطلحات الأساسية في العلوم والتقنيات ، وتعاون فيما بينها تعاوناً وثيقاً ، وتنشأ بقية المصطلحات التي تعتمد عليها تدريجياً .

إن معظم الكلمات في العلوم والطب مستندة إلى أصول محدودة ، فبعد اختيار هذه الأصول الأساسية أو وضعها ، يتمكن الباحثون والمؤلفون أنفسهم من السير في طريق واضحة بالاعتماد على هذه القاعدة العريضة الرصينة ، ويقومون بالصياغة والتركيب والإضافة ، فتتكون حصيلة كبيرة من المصطلحات تسير الزيادة السريعة الكبيرة في التطور العلمي .

ثم إن تعاون الجامعات والمؤسسات العلمية ومعاهد البحوث والمعنيين بالمصطلحات مع المجامع في هذا الأمر ، يؤدي إلى الإنجاز السريع القويم .

٢- أن يكون اختيار المصطلحات نظامياً ، فلا تُترك فجوات كبيرة فيها ، وأن تُدرس الكلمات المتقاربة أو المتقابلة أو المتتابعة في الوقت نفسه

إن دور اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية في تحقيق الانسجام والتوحيد ، دور أساسي وفعال ، والمطلوب من اتحاد المجامع أن يقوم بعقد اجتماعات تناقش فيها الكلمات المختلف عليها ، بعد إعداد علمي مناسب ، فإن الكلمات المتفق عليها من التسميات والمصطلحات تشكل الغالبية العظمى منها .

* * *

٣- إن قيام جهات عديدة باختيار المصطلحات أدى إلى وجود كلمات مختلفة للمصطلح الأجنبي الواحد في أقطار عربية مختلفة ، وفي بعض الأوقات في القطر الواحد نفسه ، وكذلك بين العلوم المختلفة فقد يوضع للكلمة الأجنبية الواحدة في الرياضيات والفيزياء والهندسة مقابلات عربية مختلفة ، بالرغم من التقارب بين هذه العلوم .

ولقد توصلنا إلى تعريف ربما يكون له تأثيره في اختيار المصطلحات ، وهو أن يُعرَّف اختيار المصطلحات بأنه (صناعة أو فن يعتمد على علوم) ، مثلاً ما عُرِفَ الطب بأنه صناعة أو فن يعتمد على علوم . ولا بد من مواجهة الحقيقة القائمة ، وهي إن هناك مدارس مختلفة في اختيار المصطلحات :

(أ) الْمُعْخَمُونَ - الذين لا يريدون الخروج عن المعنى الحرفي ، والصيغ الواردة في المعجمات ، وهذا يؤدي إلى تجميد اللغة ، وهو الأمر الذي تحاشاه الأسبقون في عصر اردهار الحصار العربية الإسلامية . ثم إن كثيراً من الكلمات قد تطور معناها بعد

إن التنسيق والتعاون بين القائمين بإعداد المصطلحات واختيارها أمر ضروري للتقليل من الاختلافات ، وذلك قبل أن تستقر مصطلحات كل قطر ، فيؤدي ذلك إلى بلبلة كبيرة وصعوبات عملية على مستوى الوطن العربي .

ظهور الإسلام ، فأصبح لها مدلولات معينة
وتمّ الاشتقاق منها كذلك ، وهذا خير
مثال يحب السير على هده

ثمّ إن هناك اختلافاً بين المعاجم اللغوية
في بعض الأمور الدقيقة^٣ التي لها أهمية
خاصة في الاستعمال العلمي والطبي ، وهناك
مدلولات مختلفة في المعجم نفسه ، ولاضير
في ذلك ، وهو موجود في اللغات الأخرى .
ولكن الاختيار الصائب من بين هذه
المدلولات وإعطائها صفة الاصطلاح
والالتزام بذلك ، يجعل بين أيدينا عدداً
كبيراً من المصطلحات المناسبة . [١]

ومثال ذلك ماورد في «سنن الإنسان»
في المعاجم اللغوية والكتب الطبية من عدم
الانسجام ، ومن أهم ذلك كلمات : الصبي
والفتى والشاب ، مما يوجب الاختيار من
بين هذه المدلولات . وكذلك ماورد في
النوم وأبواعه ودرجاته .

وتتضمن المعاجم شروحاً غير دقيقة
لبعض الأسماء ، مثلاً : الأثَر ، وهو الشريان
الرئيسي الذي يخرج من البطن الأيسر
من القلب ، ومنه يمر الدم إلى الجسد كله ،

ففي القاموس المحيط (الأَهر : الظهر ،
وعرق فيه ، ووريد العنق . والأكحل) ،
فاستعمال كلمة الأَهر الشريان الرئيسي
 وإهمال المدلولات الأخرى في الوقت الحاضر
هو استعمال صائب . [٢]

ثم إن المعاجم لا تحوى كل اللغة العربية ،
وهي تتضمن ما ذكره مؤلفوها فيها ،
ولا بد من الاستفادة من كتب العلوم
المختصة مثل كتب الطب العربية القديمة ،
وكتب الرياضيات والفلك والكتب التي
تبحث في الحيوانات والنباتات ، والمؤلفات
التي تتضمن المصطلحات والتعريفات ،
علاوة على المؤلفات العامة في الحضارة
والآداب والتاريخ .

ويتضمن الكلام الاعتيادي في الأقطار
العربية كلمات لا يوجد ما يدل على
أنها غير عربية ، لكنها ليست موجودة
في المعاجم اللغوية وهي تؤدي في الوقت
نفسه مدلولاً علمياً دقيقاً . إن من المفيد
دراسة هذه الكلمات ، على أن لا تكون
أجنبية الأصول . ويظهر أن واضعي

المعاجم أهملوها ، ولكنها بقيت ماثات
السنين مستعملة في أماكن كثيرة ،
فهل يجوز إهمالها ؟

ولا بد كذلك من استعادة الكلمات
العربية التي دخلت اللغات الأجنبية مثل
الفارسية واليونانية واللاتينية أو غيرها
من اللغات. كما أنه لابد من إعادة النظر
في الكلمات التي اعتبرها بعض المؤلفين
دخيلة في اللغة العربية ، وهي ليست
كذلك ، وإن تحقيقاً دقيقاً ينقص تلك
الادعاءات ، فكثير منها موجود في اللغات
العربية القديمة

(ب) الانطباقيون - وهم الذين يريدون
أن ينطبق اللفظ العربي انطباعاً تاماً
على المصطلح الأجنبي ، وأن يتضمن كل
مدلوله ، وهذا أمر ليس مفروضاً ولا مطلوباً
في المصطلح ، ولا صار تسمية ولم يكن
مصطلحاً . ثم هل المصطلح الأجنبي
يؤدي مثل هذا المدلول الشامل

إن الجمع بين المعجمية والانطباقية
يؤدي إلى شلل في نمو المصطلحات

ج - الذين يرون ضرورة الاستمرار
على تطور اللغة وتطبيق ما سبق أن عمله

أئمة اللغة العربية من الاشتقاق والمجاز
وعبر ذلك ، واستعمال عدد كبير من
الصيغ التي يمكن الاستفادة منها . ولقد
نشرنا بحثاً عن صيغ افتعال وانفعال
وتفعال وفعلون وصواب القياس عليها ،
وصغنا كثيراً من المصطلحات العلمية
والطبية على هذه الأوزان

ولابد من القول بأن ما أجاز به بعض
علماء اللغة يكون مقبولاً ، وإن لم يجزه
آخرون ، فإن الإجماع في بعض أمور
اللغة لم يكن مطلوباً دائماً .

إننا بهذه الطريقة نساير التطور العلمي
ونبتعد عن الكلمات الدخيلة في وقت
واحد .

* * *

ونحتاج إلى خطة مستقرة وواضحة
تتطور مع الوقت والممارسة للوصول إلى
التيحة المتوخاة ، ويشمل ذلك .

(١) قيام مؤسسات تؤدي هذا العمل

ويتعاون بعضها مع بعض على مستوى
الوطن العربي .

(ب) اتصال دائم وسهل ومباشر بين
مراكز البحوث ودور الكتب والمراجع
العالمية .

(ج) إيجاد مراكز توثيق
Documentation Centres
دوات مستوى
عالٍ تتعاون فيما بينها .

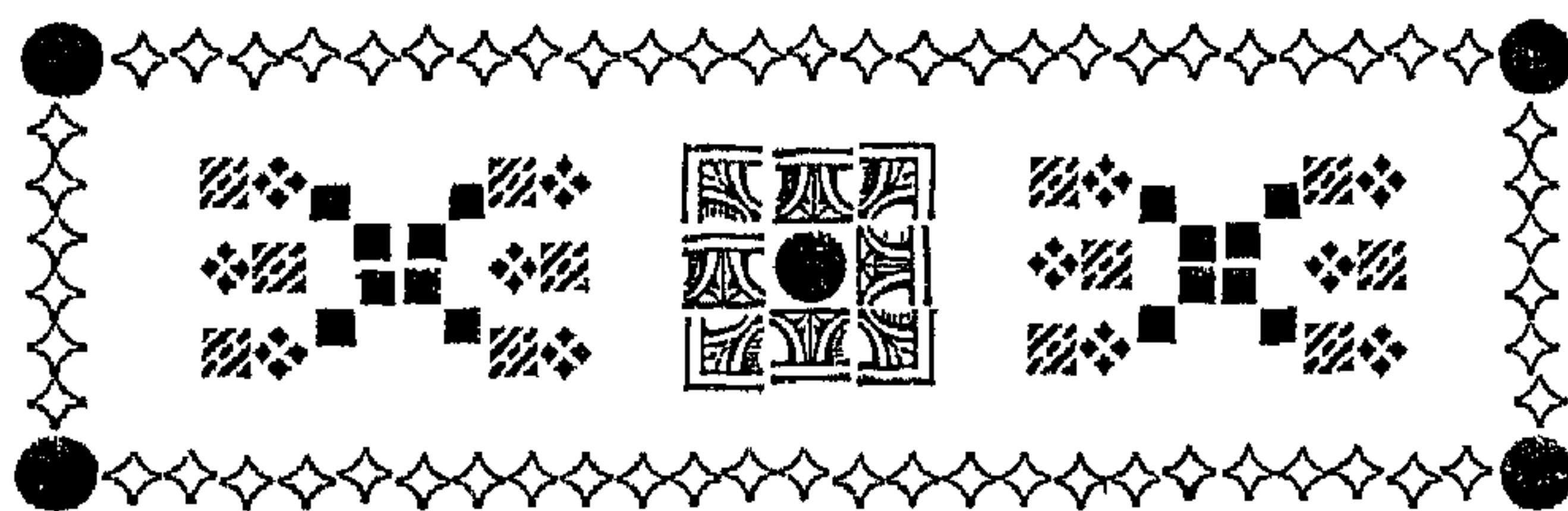
(د) الاستفادة من التقنيات الحديثة
مثل الحاسبات Computers ووسائل
الاتصال البعيد وما إلى ذلك . وربما كان
من المفيد تخصيص وقت معين محدد
أثناء دوام المراكز العلمية لذلك بوساطة
الساتل العربي Arabsat .

(هـ) إن « تعريب » العلوم والتقنيات
يجب أن لا يقف عند حد استعمال اللغة
العربية في التعامل معها ، وإنما يجب أن
يكون التفكير عربياً . وهو آتٍ لا ريب
فيه إن شاء الله .

والله الموفق إلى ما فيه خير هذه الأمة
الكريمة واللغة العظيمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمود الجليلي
عضو المجمع المراسل من العراق



لغة العلوم في التدريس الجامعي وهل تصلح العربية أم لا غنى عن التدريس باللفظ الأصيلة لأننا نريد أن نكون

إن

لغة العلوم في التدريس الجامعي وفيما قبله من مراحل الدراسة في العالم العربي يجب أن تكون هي العربية ، ولا يصح أن تكون غيرها بحال ولئن كان ما أثار هذا التساؤل من جديد هو تقرير الخبراء الأجانب الذي أوصى بإجماع الآراء بضرورة تعليم الطب في جامعة حلب باللغة الإنكليزية فإن ما وراء هذا الإجماع من بية مبيتة لعرو عاصمة بني حمدان غروا فكريا على عرار ماوعاه (دنلوب) من قل في بلاد الكنازة ، هو مما لا ينبغي أن يعيب عن الأذهان .

والعريب في أمرنا حسن العرب أن مقوماتنا الأولى من لغة وتربية وما إلى ذلك هي التي يجعلها محل استشارة واستشارة أجيد ، بالخصوص في حين أن الشعوب التي تريد أن تنمي كيانها على أساس من ماضيها وحضارتها وتطلعاتها للمستقبل ، تخطط لبعثها وتستعين بالأحباب على التمسيد .

وعلى أحسن ما يكون الطن بهؤلاء الأحباب

ألا يوحى موقفنا هذا بالضعف والتخاذل ونلشك في قوميتنا العربية؟ وإذن فإن الأجنبي أولى منا بالشكر في صلاحية مقوماتنا ولا نتوقع منه أن يتحمس لها دوننا لأن من لم يؤمن بنفسه لا يؤمن به الناس .

ولقد قرأت في العدد الأخير من مجلة دنيا العلوم استجوابا أجرتة المحلة مع البروفسور (واووستر) أستاذ علم البلورات بجامعة كمبردج ورئيس الاتحاد البريطاني للمشغلين بالعلوم وأمين صندوق الاتحاد العالمي للمشغلين بالعلوم وذلك بمناسبة زيارته للقاهرة ، جاء فيه عندما سئل عن رأيه السريع فيما يجب أن يكون عليه التعليم في البلاد النامية ، فقال على الفور : يجب أن يكون في التعليم الابتدائي فلسفة البلاد القومية وأن يكون في التعليم الثانوي لغة عالمية إلى جانب تدريس اللغة القومية ، مع ضرورة التدريس على الأعمال اليدوية وقيام التلاميذ بتجارب عملية بأنفسهم لا أن يقوم المدرس بتجربة

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجمع في دورته الحادية والخمس .

عمامة أمام التلاميذ وهم يتفرجون فقط ، فإذا أردنا أن نحقق لشعب ما تدريبا متينا فيجب أن يبدأ هذا التدريب في كل مكان .

وما قاله هذا العالم الكبير هو الذي نقول رد ، فإن إضافة لغة أجنبية أو لغتين إلى اللغة القومية في التعليم الثابوي ، هو مما لا مندوحة عنه لإتاحته فرصة التعليم الخارج والمتابعة الاطلاع على المجالات العلمية من نظريات وابتكارات سواء كانت هذه اللغة القومية هي العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو سواها فالعربية في هذا تتساوى مع غيرها من اللغات في عدم صحة الاستعانة عن اللغات الأخرى ولعل البروفسور (ووستر) سكت عن التعليم الجامعي . لأن السؤال كان عن التعليم في البلاد النامية ، والبلاد العربية في هذا الميدان . أعني ميدان التعليم . ليست من البلاد النامية ، لاعتبار العربية ، لغة حية ومطورة وعريضة في المجال العلمي والحصاري وهذا أمر لا يحمله مثل البروفسور إلا أن يكون الاستجواب من أولئك الذين يسعرون بمركب النقص الذي آتينا إليه إنما إزاء اللغة العربية فيكون سكوت المحقق عن هذه البهجة والدات من أسارب الحكماء . الخراب .

نعم إن بلادنا العربية بلاد نامية اقتصاديا لحياتها علميا بلاد متقدمة ، لأن لها ثقافة روحية وتشريعية عظيمة ولها أدب عالمي عاود ولعبها بالملكاه التي ذكرت . وليس ينقصها إلا تكبير عامي تقني سريع التاجي بالركب الطلائعي

التقدمي وتجبر نخلها الاقتصادي الذي يلزمها في حظيرة الشعوب النامية ، وربما كان هذا التكوين هو ما يعنيه (ووستر) بالتدريب المهي على ما جاء في آخر كلامه .

ويؤيد هذا أن الحكوم المغربية استقدمت لجنة من خبراء الملك الذي للإشياء والتعمير بقصد الاستشارة ، وكان من أهمها أن اردوا فيه لغة التعليم هي مما تستنزف مالية المغرب (ناهج ميزانية وراره التربية الوطنية ما يارا من الفربكات يصرف معطها في أحوار الأساتذة المربين فضلا عن كونها السبب في هبوط مستوى التعليم) وأوصى باعتماد لغة البلاد وجمعها اللغة الأساسية للتعليم

ولقد يحجب القارئ من إحلاص هذه اللجنة الأحادية وإشارتها الضائقة ، ولكن إذا تذكر أنها لغة مالية لا تماهية وأن ما قام به هو ، ممارس الأرقام بين الموارد والمصارف ، قطاعا المصالح الحكومية ، فلم يكن همها التمكن لهذه الجهة أو تلك وإعما عرصها اجاد وضع سايم . إذذاك رال عجمه وعرف ، ر تلك المصيبة الخالصة .

وعليه فإن ليسا وبين تخطي عتمة التخلف هو نشر التعليم بلغتها القومية ورفع مستوى شعوبنا من الأمية العامة التي تمخبط فيها إلى مستوى الشعوب المتعامة المتمرسه ببسائط العلوم ونواميس الطبيعة ، أي نقل العلم إلى المجتمع العربي وحمل أفراده يدركون حقائقه ودياراته كما يدركها أي فرد في مجتمع راق من المجتمعات المعاصرة ، ولن يكون ذلك

إلا إذا تعلم الشعب العربي بلغته الأم ، وطوع
لسانه على التعبير عما يشاهده ويحسه ، بألفاظ
يعرف مساها ومعناها أما أن يتعلم عدد من
الأشخاص باعة أجنبية ثمنها نقل هؤلاء
الأشخاص إلى عالم العلم وزيادة عدد المتعلمين
في اللغة التي تعلموها فلا تستفيد شعوبهم كبير
فائدة منهم ، لأن التفاهم بينها وبينهم معدوم
بسبب اللغة التي هي أكثر حاجر يجمع هذا
التفاهم بل يجمع حتى الاتصال . ولعل هذا
هو السر في أن النهضة العلمية في بعض
الأقطار العربية بدأت منذ نحو قرن ومارال
لم تؤت أكلها على النحو المرجو . ومارال
الشعب العربي فيها يعيش بعقائمه الرواوسطى

يشير بعضهم إلى وحوب ملاحظته ركب
المعرفة وصوره الاتصال بأوساط العالم في
آخر ما أنتج من أجل التقدم الإنساني
المطرد ، قائلا إن ذلك لا يأتى إلا من تلقى
تعاليمه العالى باحدى اللغات الأجنبية الحية
ونحن نقول إنه يتأتى لمن أنقى لعه من تلك
اللغات ولا يارم أن يلقى تعاليمه العالى بها
وقد قلنا بضرورة تلقين لغة أجنبية أو
اغتني منذ المرحلة الثانوية للتعليم ، وإما
الذى يدعى تأكيده هو أن يكون هذا التلقين
فويا يكتسب المتعلم تلك اللغة كما هو الحال عند
عربنا من الأمم والشعوب ، فإذا حاد
مرحاه التعليم العالى وحصل الطالب على
الدرجة العلمية المستوده . باعته الأصايم ، كان
عنده من الوسائل العلمية ما يؤهله لمواكبه
قائمة البحث العلمى والتقى في العالم بكل
نجاح ، إن هو أراد ذلك . وهذا هو ما يبعاه

العالم الفرنسى والألماني وغيرهما من علماء
الأمم التي تقف في الصف الأول من حسب
التصنيف في التقدم والحضارة ، وكذا علماء
غير هذه الأمم ممن يقفون في الصف الثانى
وإن كانوا في الطريق وعلى وشك اللحاق
بأولئك . فليس منهم من يدرس العلوم في
بلاده بغير لغته القومية ، اللهم إلا أن يستج
لأستاذ أحمى تستقدمه جامعته لإلقاء بعض
المحاضرات في فرع من فروع المعرفة يكون له
أصل علم به . أو يذهب في بعثه دراسية إلى
بلد أحمى . وحيدئذ تكون اللغة الأجنبية التي
لهمها في الثانوى هي وسيامه في الدراسة ودو
بإقامته في ذلك البلد الأحمى ، لابد أن يتقرب
في لغته حتى يتمكن مواصلة تعليمه بها .

وعلى كل فإن الاطلاع على دسا العالم
وما يجد فيها من تحارب وكسوف ، مردن
بالهمة والبساط وحب المعرفة أكثر من كل
سوى آخر فكم من دارس لهذه اللغة الأجنبية
أو تلك قد تمكن منها كل التمكن وصار
أعرف بها من كثير من أهلها . وإذا تكلم بها
فانه لا يجزم حرفا ولا برة من نراتها ولكمه
في مجال العلم والبحث والاطلاع صغر على
اليسار ، قد يقطع ما بينه وبين المحصيل . له
تخرجه ولم تعد منه آمنه سنا بدكر بل هو
يسكل نخصا لها بما أنه تذكر لمعارفها وأنها
حتى لقد أصبح عمنا ثقيلا على شتمه
لا يستسيغه ولا ينسجم وإياه .

وبالعكس فإن هناك دارسين مودون
من ألبتهم العربية والاطلاع ونعموا به

العلم والمعرفة ولو لم يكونوا على مثل الرسوخ والتطلع في اللغة الأجنبية الذي عند صاحبنا الأول ، فنراهم دائماً على اتصال بما جد ويجد في حقل الخبرات الإنسانية والأعمال الفنية المبتكرة ينشئون وينتجون باستمرار ودون انقطاع ، ما يترنون به ترانيم القومى وحياة الفكر في بلادهم . وهؤلاء هم الذين تعمل عليهم الأمم والشعوب في تطوير عقليتها وإخصاب ثقافتها ، لأولئك الطميليون الكسالى ، الذين لاعناء فيهم ولا فائدة ترجى منهم .

ونعطي مثالا من معربا العربى الذى يعتمد المرنسية في الدراسات العامه ، فإن عشرات بل مئات من مثقفيه ، قد انقطعت الصلة بينهم وبين الحياة العاميه ، أو على الأقل لا يعرف لهم أثر في هذه الحياة . وقد مر على تحرح الكثير منهم عشرات السنين وذلك برعم إتقانهم لاعم المرنسيه إتقان أبنائها لها فالطبيب منهم يعالج المرضى إن لم يشعل وطيمه حكومية يكون أكثر دخلا من مهنته تاركا ميدان التطبيب للدكتور الأجنبي ، وكذلك المحامى والمهندس وغيرهما لايزيدان على مراولة مهنتهما بصعقة عادية ، ولقد عجز كثير منهم حتى عن إعداد أنفسهم للتدريس بالعربية في المدارس التايويه لإبحار مشروع تعريب التعليم فأين ما يرعم هذا الذى يقول إن الدراسة اللغة أجنبية تفتح آفاق التعليم والاطلاع ؟

ولنقارن حال هؤلاء بحال طالب مجتهد أكمل دراسته باللغة العربية في بلاده ، ثم ذهب في بعثة دراسية إلى فرنسا وحصل على الدكتوراة في الفلسفة والأدب بتفوق ولما رجع إلى بلاده قام بحركة فكرية وأدبية عظيمة ، درس ، وبحث ، ونقد وألف في أكثر فنون الأدب كتباً قيصة . نقل الكثير منها إلى اللغات الأجنبية وغيرها وما لث أن صار عميد الأدب العربى ورئيس المجمع اللغوى ، والغريب في الأمر أنه ضرير ، فبكم تقاس الدكتور طه حسين من الدارسين باللغة الفرنسية الذين ليس لهم هممة وعزيمة ، وإن كانوا في إتقان المرنسيه والعلم بها ربما يتفوقونه ؟

والعقري الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد ، إنه لم يكن حتى من الذين درسوا دراسة جامعة باللغة العربية ، ومع ذلك فإنه كان آية في الاطلاع والتفتح على أحدث الأنظار العامية والفلسفية ، وتغذية الأدب العربى والثقافة الإسلامية بأحسن ما ظهر في عالم الفكر والمعرفة ، حتى أصبح قمة من قمم العلم والأدب . وكانت اللغة الأجنبية التى يتقنها هى الإنجائزية . وإنما تعلمها في السنوات الأولى من الدراسة الثانوية .

هذان المثالان وإن يكونا من عالم الأدب ، فإنهما يجبران ذيلهما على عالم العلوم ، وقصدت الإتيان بهما للإلماع إلى جبايه أخرى مما تجنيه الدراسة باللغات الأجنبية على الحياة الأدبية في هذا الجناح من الوطن العربى .

إن بلاد المغرب كثيرا ما تشكو من ركود الحركة الفكرية وحسود القرائح وضعف الإنتاج الأدبي وقلة القراء ودور النشر أو انعدامها بالمرّة وتأخر في الطباعة العربية وإن كثيرا من الباحثين يعللون ذلك بمختلف الأسباب ولكنهم قلما ينتبهون إلى السبب الرئيسي في ذلك وهو انتشار الثقافة الأجنبية وغزو الفكر الفرنسي لشباب المغرب واختطاف الصحافة والمجلة والكتاب الفرنسي للقارئ العربي وحلول المكتبات الفرنسية محل المكتبات العربية وعود فائدة ذلك كله إلى الكساتب والناشر الفرنسيين ، ولئن دام هذا ولم يعجل بتلافيه سوف يصح المغرب العربي كالسينغال يفكر باللغة الفرنسية وينتج بها ، ولأمر ما يجد المتعلمين بها هم أكثر المتحمسين لازدواحية لغة التعليم والاحتفاظ بتلقين الفرنسية حتى في التعليم الابتدائي كما كان عليه الحال أيام السيطرة الاستعمارية ؛ لأنهم على ما يظهر ، يريدون أن يجعلوها قنطرة بينهم وبين الشعب يتصلون به عن طريقها ويتفاهمون معه بواسطتها ، فهذا ما فعله التعليم باللغة الأجنبية في وطن عربي كبير في الميدان الاجتماعي والقومي ، ولن يكون أثره في المجال العلمي والتقني بأحسن من ذلك أثرا ولا أقل ضررا .

ويورد أناس مشكلة المصطلح العلمي والاختلاف فيه على قلة ما وضع منه ويجعلون ذلك عقبة في طريق تدريس العلوم

باللغة العربية ، وما كان المصطلح ولن يكون عقبة في هذا السبيل ، وأمره أهون من ذلك ، وأكثر المصطلحات العلمية عالمية مشاعة بين الأمم على اختلاف لغاتها ونحن العرب لا بد أن نأخذ الكثير منها كما هو من غير ترجمة ، ولسنا في ذلك ندعا من الناس بل إن أجدادنا فعلوا ذلك فقالوا الله وساتريا والماليخوليا والديابيطس وغيرها من مئات الألفاظ التي لم يغيروها وأبقوها على حالها فصلا عن التي عربوها وأجروها على الموازين العربية . فليسعنا ما وسعهم ، لاسيما والمصطلح ما هو إلا لفظ يحتاج إلى الشرح ولو كان عربيا ، فكيف نقف حذرا في طريق تدريس العلوم بالعربية ؟

ولقد وضع الأفراد والجماعات وأصحاب المعاجم العلمية آلاف المصطلحات التي تسهل مهمة تدريس العلوم ، فما عليه إلا أن يجد في تحصيلها ، وعلى جامعاتنا أن تزود مكتباتها بهذه المعاجم ولوائح المصطلحات وتجعلها بمتناول يد الأساتذة والمدرسين والطلبة والباحثين ، ولا تأخذ أحدا من هؤلاء العزة بالإثم فيتروح عن الاستفادة من جهود العلماء الذين سبقوه في هذا الصدد ويستغنى عن التزود بما قدموه من ثمار يانعة طالما تعموا في نطقها . فان العلماء يجب أن يكون خالقهم الإصناف والاعتراف بالجميل لذويه وما نال من نال إلا بالتعظيم والاحترام لأهل الفضل وما حرم من حرم إلا بترك ذلك

وأحسب أن ما يهول به بعضهم من اختلاف الاصطلاحات بين البلاد العربية وتعدد الأسماء المسمى واحد إنما هو من سوء التقدير وحب التشغب ، وإلا فآية لغة ليس فيها ذلك؟ وإنك لتجد المؤلف توصل له اللوائح الخاصة لتقسيم مصطلحاته ومع ذلك ما رأينا أهل لغة يقيمون مثل هذه الصيغة التي يقيمها كتاب العربية لتوحيد المصطلحات حتى صار نهجا متعاكسا وقع الكلام على تعريب العلوم إلا وأتارها هذا الكاتب أو ذاك، ولو على سبيل التقليد، وهي كانت أخرى بأن تعد احتمادات مشكورة تعين على التعريب ولا قصد عنه، ولا سيما لمن يتشكون من قلة الاصطلاحات المتعددة وليست من الكثرة بالقليل الذي يدعيه المبكرون .

على أن مجمع اللغة العربية الذي أصبح يمثل البلاد العربية جمعاء قد قام بتصميمه الكثير من هذا الحائط، وخطا خطوات مهمة في توحيد المصطلحات المتعددة وانتقاء الأصلح الواضح والدقيق الدلالة منها ، وذلك بمشاركة المجتهدين السورى والعراقى ونخبة من أهل العلم والمعرفة من بعثة الأقطار العربية الأخرى ، فمن لم يطالع على مجزاته في ذلك فليطلبها من أمانته العامة ولا يبق حائرا يردد كلاما قديما لم يكن على صواب لما قيل لأول مرة . فكيف به الآن وقد صار أسطوانة مملولة ، والظن بل الواجب أن يستمر الوضع للمصطلحات من أهل العام

وأن نتعدد المصطلحات لذلك ولكن مجمع اللغة ذا السليقة العربية والحسن اللغوى المشترك من أبناء العروبة في المشرق والمغرب ، هما اللذان يختاران أو يقران ما يصلح . (أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) هذا وفي نفسى شىء أخاف إذا أبديته أن أرمى بالمبالغة وربما بسوء الظن ، واكفى لا بد أن أشير إليه ولو على سبيل الاحتمال البعيد، وهو أنى أرى وراء هذه الصيغة التي تستخدم في هذه الأيام حول صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم وعندها أيدياً حمية تحركها وتمسح في نازها وهي أبد ليست بظبيحة ولا تريد الخير للعرب ولا لأعتهم وإنما أصحابها يرون ويسمعون حيره بعض الأقطار الإفريقية والآسيوية وخاصة الإسلامية منها التي استقلت أحياء وملاكت أمر نفسها وهي ليس لها لغة تصلح لأحياء العامة أو لها هذه اللغة وتريد أن تكتبها بحروف مامن الحروف الأوفى لمطعمها وهجائها وكثير من هذه الأقطار تتطاع لغة العربية والحرف العربى فلصدها عن هذا التطاع ولتشككها في قيمة العربية وصلاحية حروفها للاكتساب الصحيحة ، يوعر المعرصون بإتارها هذا الموصوع في الصحف والمجلات العربية بالذات وبوحوون بطريق غير مباشر إلى بعض أوائائهم ومالى لا أقول بتواطؤ مع بعضهم إلى الجهر بالحكم على العربية وحرفها بالعجز والقصور عن مسايرة ركب الحضارة

العصرية وعدم الكفاية لما يتطلبه المداثوري
الذي يكتسح البلاد العربية من تطوري
وسائل تحقيق البعث العربي: المادية والمعوية
ومنها أداة التعبير الملائمة للعصر .

إن أوانك الإحوا الأافره والآسيويين
إذا سمعوا العرب أنفسهم يرددون هذا الآلام
ويتهمون لعنهم أشجع الاتهام لا بد أن يقر في
أنفسهم ما يلقيه إليهم المستعمر الذي حلا عن
أرضهم من الباب وعاد يدخل إليها من
البافله. لاسيا وهو ما يفتأ يمدهم بالعون
والخبره المدحوله. ويقدم إليهم المشروعات
الجاهرة في هذا الطلب وعمره من مطالب
الحياة ولذلك فإن المتأني والمتتبع منهم هو
الذي يرحى . مسألة اتحاد العربية لغه رسميه
اه واصطباع الحرف العربي لعنتين ، وعمره
يعرم ولا ينتظر ومن ذلك ما جرى أحيرا
لدى بعض الدول في أفريقيا من عقد مؤتمر تحت
رعايه منظمه اليونسكو للبطر في وضع
أحديه لكتابة لغاتها وتوحيدها وهكذا
نصيح على أنفسنا وعلى أصدقائنا حرصا
تمة لا تعوص جدالنا وتنازعنا في هذه الأمور .
وكان الأحذر بنا أن نعتمد هذه المرحصة لسط
نعودنا الروحي في أقطار العالم . وكما أحرنا
ذلك أن نرفع رأسنا فخرا للمال من ثقافة عالميه
ولاعة حية تعمل أكثر لغات العصر ثقلا

لكسب ما لها من مقام وحرمة وتأثير في حياه
عائد من الشعوب المنتشرة في أطراف المعموره
ولا يقال إن هذا الكلام عاطفي في محال
عامي فإن العلم كل العلم أن نهض بلغتنا
ونسرنا على أوسع مدى كما تعمل الأمم
الراقية ولولم يكن في تلبى لعنتنا وحرطنا من
طرف أهم أخرى غير عربيه إلا التشيب
ورياده الإيمان للمؤمنين وإقناع الشاكين
المرتدين . لكان ذلك كمايا لحرصنا عاينا
وعمانا على رفع لوانها في كل مكان ، ولقمنا
بتعاون مع هذه الأقطار الرابعه في تعلم
العربيه بوضع برامج سهاه ومبسرده للمبها
لأنسائها . ونسر مجموعته من الكتب المنسده التي
تظهرهم على كور انتماءه العربيه . لجعلهم
يتدوون الأدب العربي قديما وحديثه وتتصلون
تسبنا وشيتنا بال فكر العربي والتراب الإسلامي
حتى ينادجوا . ولو بعد حين . في السبع العربي
وبصيروا من أحلص أصدقائه وأقرب الناس
إليه

إن هذا « تكتيك » وليس عاطفه ولاكنه
مطلب من العمل قدر ما عندنا من العول
« وفل اعملوا في سبيل الله عماكم ورسوله
والمؤمنون »
صادق الله العظيم

عبد الله كنون
عصو المحسح من المغرب

ترتيب الحروف الأبجدية بين المشارقة والمغاربة للدكتور عبد الهادي التازي

من

المعلوم أنه كان للمعارفة
والأندلسيين ترتيب
للحروف الهجائية بل والأبجدية غير
ترتيب المشارقة كما لاحظته أكثر من
واحد من أمثال ابن عبد الملك المراكشي
واس نخلدون والقلقشندي

فما يتعلق بالحروف الهجائية نجد أن
المغاربة مع المشارقة يتحدون إلى حرف
الزاي الذي يليه عند المغاربة .

ط - ط - ك - ل - م - ن - ص -
ص - ع - غ - ف - و - س - ش -
ه - و - لا - ي

إما المشارقة يجعلون بعد الزاي .

س - ش - ص - ض - ط - ظ -
ع - غ - ف - ق - ك - ل - م -
ن - ه - و - لا - ي

إن هذا الخلاف بين أهل العالم الإسلامي
في هذا الموضوع إذا ما قارناه بالاتفاق
الشامل بين الشرق والعرب فيما يتعلق
بترتيب حروفهم هو الذي دفعني لهذا
التدخل .

وهكذا إذا ما قمنا بهذه المقارنة فسنشعر
أن من واجبنا أن نتخذ قراراً — نحن
الجميعين — لتوحيد الترتيب بين أهل المشرق
والمغرب وفي جميع وثائقنا على وقيرة واحدة
عامة شاملة -

وفيما يتعلق بترتيب الحروف الأبجدية
تلاحظ أيضاً خلافاً بين المشرق والمغرب .

وإذا ما كان الخلاف في موضوع الحروف
الهجائية أمراً قد يتساهل فيه وإن الخلاف
في ترتيب الحروف الأبجدية يعتبر من
الخطورة بمكان . لأن الحروف تعني
أرقاماً معينة وإذا اختلفت الأرقام فيما
ينبغي أن تتحد فيه فهناك يكون الاضطراب
على أتمه .

ولكني أوضح فكرتي أدرك أن هناك
سنة حروف من أبجد تختلف قيمتها العددية
بين المشرق والمغرب مما سبب في بعض

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجميع في دورته الحادية والخمسين .

مقاطع مقدمة ابن خلدون ارتباكاً سواء
في التواريخ أو في بعض القيم

ونقدم هذا الجدول للمزيد من التوضيح،
وهو يتناول الحروف الستة التي يختلف
فيها المعاربة مع المشاركة:

قيمه الحروف حسب الترتيب المعربي

ص	60
ض	90
س	300
ظ	800
ع	900
ش	1000

قيمه الحروف حسب الترتيب المشرقي

ص	90
ض	800
س	60
ظ	900
غ	1000
س	300

للتصور ابن خلدون يتحدث في مقدمته—
وهو يتكلم عن الفترة التي تستمر فيها الملة—
يذكر رقماً يشير إليه بالحروف الأبجدية
حسب الترتيب المعربي، ويقوم بحصن
المعاقين^(١) لترتيب الأرقام المقدمة من ابن
خلدون باعتبارها لا تنطبق مع القيمة العددية
المعطاه لتلك الحروف وكأن هذا المعاق

لا يعرف أن هناك خلافاً بين وجهة النظر
المغربية ووجهه النظر المشرقية. وللتصور اليوم
مثلاً أن أحاء المؤرخين المعاصرين يتحدث عن
تاريخ إنشاء مسجد محمد — عام 1830 —
ويريد أن يؤدي ذلك بالحروف الأبجدية
عوض الأرقام فيجب عليه أن يقول، حسب
الترتيب المشرقي عام (لصغ) التي تكون
عند المعاربة عام 1120، أي ينقص عشر
سنوات وسبع مائة سنة

ولو سمحنا للمعاربة بأداء ذلك بواسطة
أبجديتهم المعروفة لكان علينا أن نسمع عام:
(شطل) وليس (لصغ)

هذا تدخل في وإن ما ألتبس من السادة
أعضاء الحجاج هو إصدار توصية بصرو
توحيد ترتيب الحروف الهجائية وكذا
الأبجدية بين سائر البلاد التي تستعمل اللغة
العربية.

ولا بد أن يعلن عن الوصية وهي محددة
العمل ابتداء من تاريخ معين، مثلاً: ابتداء
من بداية المحرم 1405 — الذي يوافق اليوم
27 من شتنبر 1984

وهكذا نقوم بإدخال تحسين حاسم
وهام على لغتنا العربية تشترك فيه سائر
الدول العربية وتعمل على نشره وإذاعته
وتعميمه.

عبد الهادي النازي

عضو المجمع المراسل
من المغرب

في تعريف التعليم العلمي الجاهلي

للكثور اسحاق الحسيني

في نابلس وكاتهما تاويتان وأدشأب الثانية
فرعا لتدريب المعالجين في أواخر أيامها

كاتب لعة التدريس في المدارس الحكومية هي
العربية . أما المدارس الأهلية فكانت
لغة التدريس فيها لغة عربية .

ولكن الإمبراطوريين استغلوا عن الحكومة
منذ البداية هي سنة ١٩١٨ أشتأوا (الجامعة
العبرية) في القدس التي ظلت تنمو وتتقدم
حتى شملت جميع الكليات المتخصصة
من طب وصيدلة وهنسية ورعاية وآداب
وعلم ومما إلى ذلك. ودرشأت إلى جانبها معاهد
ومدارس ابتدائية وثانوية . لغة التدريس فيها
جميعا اللغة العبرية . سواء أكانت جامعية أم
ثانوية . تم تأسيس بعد ذلك جامعة حيفا
وحامدة تل أبيب وجامعة القدس وجامعة
بار ايلان . مضافا إليها عدد من مراكز الأبحاث
العامية والتاريخية .

لم نعن السلطة في أثناء الانتداب البريطاني
على فلسطين - بالتعليم العالي ، كما هو شأن
السلطة في مصر وجميع بلاد المغرب العربي
كان التعليم أشبه بهرم عريض القاعدة دقيق
القمة فام يوحد في فلسطين سوى معهد
عربي واحد اسمه (الكلية العربية) في
القدس ، لتخرج معلمين للصنف الابتدائية
وفي أواخر عهد الانتداب أصبح التعليم
ثانويا كاملا في عدد محدود من المدارس
أما سائر المدن الصغيرة والقرى . فوقف
التعليم فيها عند المرحلة الابتدائية

ووجدت إلى جانب المدارس الحكومية
مدارس أهلية مغطتها عربية . تدرس
بالإنجليزية أو الفرنسية تفهم كلها إلى حد
الشهادة الثانوية المعروفة « بالمترياك » :
ووجدت مدرستان وطبقتان هما (روضة
المعارف) في القدس تحت رعاية المجلس
الإسلامي الأعلى . ومدرسة (السجاح)

(*) قدم البحث إلى مؤتمر الجمع في دورته الحادية والحسين .

وحدث بعد الاحتلال الإسرائيلي لما
تبقى من فلسطين المعروف بالضفة والقطاع
سنة ١٩٦٧ تطور مدهش في التعليم العالي
لم تعرف البلاد له مثيلا ويرجع ذلك إلى عدة
أسباب :

أولا : غريزة الدفاع عن النفس إزاء
التحدى السياسى والحصارى الذى لمسه
العرب وواجههم في مختلف ميادين الحياة .
ثانيا : صعوبة السفر إلى البلاد العربية
والجامعات الغربية وكلفتها العالية .

ثالثا : ازدياد الطلب على المتعلمين في
دول الخليج العربى والسعودية وليبيا
والرواتب المغرية التى تدفعها .

رابعا : النمو الطبيعى لمعاهد سابقة حاءها
دعم مادي من الخارج .

والجامعتان الرائدتان هما (جامعة النجاح)
في نابلس (وجامعة بير زيت) في بلاد
بير زيت في قضاء رام الله

أسست (النجاح) سنة ١٩١٨ مدرسة
ابتدائية ثم أصبحت ثانوية كاماة سنة ١٩٤١ ،
وكلية تضم معهدا للمعلمين سنة ١٩٦٥ ،
وجامعة ذات خمس كليات (آداب وعلوم ،
واقتصاد ، وعلوم إدارية وتربية ، وهندسة)
سنة ١٩٧٧ وعدد طلابها سنة ٨٣/٨٢ :
٢٣٩١ طالبا :

وأسست مدرسة (بير زيت) سنة ١٩٢٤
مدرسة ابتدائية ثم تطورت إلى مدرسة ثانوية
فكلية متوسطة وجامعة ذات أربع كليات
(آداب ، وعلوم ، وتجارة ، وهندسة)
سنة ١٩٧٢ ، وعدد طلابها من التاريخ
نفسه ٢٠٣٧ طالبا .

وتوالى بعد ذلك الجامعات والمعاهد
العالية فأنشأ سنة ١٩٧٣ إخوة دى لاسال
من بيت لحم ، والقاصد الرسول في القدس ،
والسلدة البابوية (جامعة بيت لحم) ذات
أربع كليات (آداب وعلوم وإدارة أعمال
وتمريض) مضافا إليها دراسة متوسطة
في الفنادق والإرشاد الصحى ورياض الأطفال
وعدد طلابها من التاريخ نفسه ١٢١٦
طالبا .

وافتتحت في غزة سنة ١٩٧٨ (جامعة
غزة الإسلامية) امتدادا لمعهد فلسطين الدينى
(الأهر) ذات ست كليات (الشريعة والقانون ،
الدعوة وأصول الدين ، اللغة العربية ،
العربية ، التربية ، التجارة ، العلوم) .
وعدد طلابها في التاريخ نفسه ٢٣٩٧ طالبا .

وتأسست في مدينة الخليل سنة ١٩٨٠
(جامعة الخليل الإسلامية) امتدادا لكلية
الشريعة المؤسسة سنة ١٩٧١ ، ذات كليتين
(كلية الشريعة وكلية الآداب) وتخطط
اليوم لإنشاء كلية ثالثة للزراعة وعدد طلابها
من التاريخ نفسه ١٦٥٠ طالبا .

ومن سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ اتحدت أربع
كليات من ضواحي القدس مكونة (جامعة
القدس) والكليات هي :

أولاً : كلية الدعوة وأصول الدين في بيت
حنينا - من ضواحي القدس - أنشئت سنة
١٩٧٨ وتضم ورعين ، هما : الدعوة وأصول
الدين واللغة العربية .

ثانياً : كلية العلوم والتكنولوجيا في قرية
أبو ديس (قضاء القدس) أنشئت سنة ١٩٨١
امتداداً للمعهد العلمي العربي ، الذي تأسس قبيل
الاحتلال ، ويضم الرياضيات والفيزياء
والكيمياء والعلوم الحياتية ، الحاسب الآلي والكروني
والتكنولوجيا الكيميائية والطبية والإلكترونية

ثالثاً : الكليات العربية للعلوم الطبية تأسست
سنة ١٩٧٩ وتضم التمريض والطب المخبري
والصحة العامة .

رابعاً : كلية الآداب للبيات في القدس
تأسست سنة ١٩٨٢ امتداداً للمعهد الخدمه
الاجتماعية ومؤسسه دار الطفل العربي التي
قامت سنة ١٩٤٨ لإيواء أطفال مذبحه
دير ياسين وتضم اللغة العربية واللغة الإنجليزية
والخدمه الاجتماعية وتسعى لإنشاء أقسام
أخرى حسب حاجة البلاد .

وعدد طلاب جامعة القدس بكلياتها
الأربع ٩٧٩ طالباً وطالبة .

وتوحد إلى جانب هذه الجامعات ثلاثة
معاهد ، هي : المعهد العلمي الهندسي (البوليتكنيك)
في مدينة الخليل ، تأسس سنة ١٩٧٨ ويشمل
الهندسة المدنية والمعمارية والميكانيكية
والكهربائية ، والمعهد الشرعي في القدس
تأسس سنة ١٩٧٥ فرعاً من فروع المعهد
الشرعي في عمان ، والمعهد الشرعي في
قلقيلية بطير المعهد السابق تأسس سنة ١٩٧٨

والتعليم في جميع الجامعات والمعاهد
مشاركاً لذكور والإناث ما عدا (كلية الآداب
للغات) .

لا شك في أن جميع هذه الكليات
والمعاهد تتجه اتجاهها قومياً لأسباب طبيعية
لا تخفى على أحد (جامعة بيرزيت) التي
تميل إلى محاكاة الجامعات العربية أكثر
من غيرها ، بصت في مقدمة دليانها العام لسنة
١٩٨٤ على ما يلي : « تهدف الجامعة إلى
تهيئة الطامة ليكونوا مواطنين صالحين فعالين
في المجتمع ، قادرين على تحمل المسئولية
ومواجهة تحديات المستقبل ، ولذلك فإنها
تشجع الطالبة على الإبداع والإتقان في العمل ،
كما أنها تحرص على تنشئة صلتهم بمجتمعهم
وتنمية روح التعاون فيهم ، وتعمل الجامعة
على تنشئة الطلبة في حو من التراث العربي
الوطني » .

ورغم ذلك فإنها تدرس جميع مواد
الدراسة -- المساقات -- باللغة الإنجليزية
ودائرة اللغة الإنجليزية هي أوسع الدوائر

ثالثا إن الأساندة الغربيين الدائرين
لا يعرفون العربية

رابعا إن الطلبة الذين يحصلون على الشهادة
الجامعية الأولى - الأساس - يتمون
دراساتهم في الجامعات الغربية لفقدان الدراسة
العليا في البلاد .

خامسا . إن التعريب وسياء لتحديث
العمارة العربية في عصر التحدى الداخلي
والخارجي .

سادسا إن معظم الأساتذة تخرجوا في
جامعات عربية وألّفوا الدرس باللغة الغربية
ولا بد من وقت لترويض ألسنتهم على إلقاء
المحاضرات بالعربية هذا إن تيسر لهم
المصطلحات العربية .

أما أنصار - التعريب - وهم إلى الآن
قلّة - فيبدون الحجج التالية .

أولا إن لغة الأم هي اللغة المثلى
لاستيعاب المعارف .

ثانيا إن التعريب قد يؤدي في بعض
الحالات على الأقل إلى العربية عن المجتمع
ومهددات التلاحم مع الشعب الذي يعاني
من الأمية لغّة وثقافة .

ثالثا . إن التعريب وسياء فعالة لربط
الحاضر بالماضي وبعث التراث العالمي الذي
بلغ مرتبة عالمية في تاريخ العرب .

فيها، إذ تضم ثلاثة وأربعين معلما وربعمهم
تقريبا غير عرب . في حين لا يتجاوز
عدد المعلمين في دائرة اللغة العربية اثني
عشر معلما، وقيل إن أحد أساتذة التاريخ فيها
أراد أن يدرس التاريخ بالعربية فلم تستحب
الجامعة .

ولا تمرد جامعة بير زيت بالتدريس
اللغة الإنجليزية، فقد أراد أول رئيس لكايه
العلوم والتكنولوجيا أبو ديس أن يعرب
التعليم فلم يوفق . إذ ما كاد يترك الكاية ويتول
رئيس آخر حتى انتهى التعريب وبدى
بالتدريس باللغة الإنجليزية ، ولا أعتقد
أن ذلك راجع إلى اتجاه قومي أو غير قومي
بل إلى أسباب علمية فنية .

والحق أن لأصار « التعريب » - التعليم
بالغة عربية - حججا قوية رغم أن الجامعات
العربية ترى أن الجامعات العبرية كايها تدرس
بالعبرية لجميع طلابها، سواء أكانوا يهودا
أم عربا .

وما الحجج التي يسوقها أنصار التعريب ؟

أولا : إن العاوم تظور في العرب بسرعة
فائقة ولا يمكن للترجمة أن تلاحق بالتطور .
لا سيما في العلوم والتكنولوجيا .

ثانيا إن جميع المصادر تكاد أن تكون
كلها غربية .

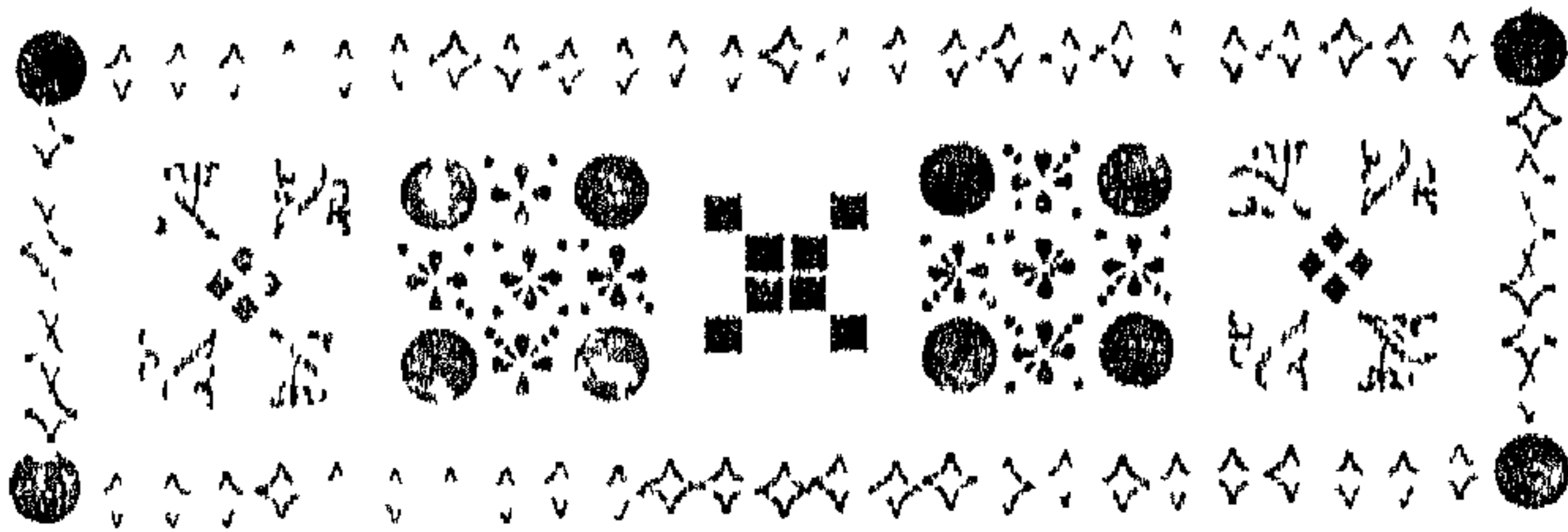
رابعاً : إن الدراسة الثانوية في معظم المدارس باللغة العربية ، والتغريب يحدث انكساراً حاداً في الاتجاه التعليمي .

خامساً . إن اللغة العربية استطاعت أن تتجاوز تلك العقبات في مرحلة قصيرة وأن تصبح لغة العلم والتعليم الوحيدة رغم ما بينها وبين العربية من فارق إذ بعثت الأولى من رقاد دام قروناً كثيرة ، ولم يحدث للعربية مثل هذا الرقاد ، فقد كانت لغة العلم شرقاً وغرباً في العرون الوسطى ثم نراحت في بعض العصور فقط .

والحق أن لكل حجة التقوية ويبدو أن هناك حلاً وسطاً يرى أن التعريب يمكن أن يمر في ثلاث مراحل الأولى أن تكون اللغة العربية لغة تدريس العلوم الطبيعية ، مادة قصيرة من الزمن ولكن يجب أن بدون تدريس معظم العلوم الإنسانية باللغة العربية

وحدها ، وفي المرحلة الثانية يدرس باللغتين أي أن يستعين المعلم بالكتاب العربي والأدوات العربية ويشرح بالعربية ، كما هو واقع في اليابان مثلاً ، وفي المرحلة الثالثة يكون التدريس بالعربية بعد أن ينوهر الأساتذة الذين درسوا العربية ، وألفوا بها ووقفوا على مصطلحات العاوم ، أي بعد أن يتكون جيل جديد يقف على قدم المساواة مع الأساتذة والباحثين الغربيين . وهذه المرحلة الثالثة مرحلة طبيعیه تشرئب إليها الأعناق وتتواءم مع طموحنا القومي ، ونحن على ما يبدو سائرون في هذا الاتجاه بخطى ثابتة وقد فطعت سوريا شوطاً كبيراً في هذا المصير ، وتلتها مصر العربية ، ومن الواضح أن المصلحة نهضة أن لا يصحى العلم في سبيل اللغة وأن لا تصحى اللغة في سبيل العلم وحده اللغة العربية ، لأنها لغة دينا وقومية وتراثنا وأهوى رابطه بفيت لنا في عصر التحدي الخطير .

أسحق موسى الحسيني
عضو المجمع من فلسطين



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزي السيد شعيبان

رقم الايدع بدار الكتب ٢١٠ / ١٩٨٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

١٩٨٤ - ١٩٨٦ - ٢٠١٥

